

کتاب المونس

به اشعار

افریقیس و تونس

۱۲۸۶

كتاب المونس

في

اخبار افريقية وتونس

تأليف

الفقيه النبيل العلامة ابي عبد الله الشيخ

محمد بن ابي القاسم الرعيي القيرواني

المعروف

بابن ابي دينار

رحمهما الله تعالى

طبعة اولى

في مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية

١٢٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله الذي لا يبدأ احد في كتاب إلا باسمه ليصل الى التمام *
لا يدون ديوانا إلا ويشحنه بالنشاء عليه بما له على العباد من الفضل
الانعام * ولا يورخ تاريخا إلا ليعلم من عجائب مخلوقاته وغرائب مصنوعاته
نا تعجز عنه العقول وتقص عنه الافهام * الملك الذي بيده مقادير الامور
مدى الدهور والاحوام * الذي اخترع العالم بحكمته وابرزه للوجود بقدرته
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاکرام * احده جد سن اقر برؤيته واعترف
بوحده ففهم من غير شك ولا ايهام * واشكركه شكر من وهبه جزلا من فضله
فطلب منه المزيد بالشكر لقوله أشكروني اذككم من الخير والانعام * واتهد
ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له المنفرد بالتصرف في ملكه وملكوته
بالعدل والاکرام * واتهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جاء بالصدق
وقطع دعوى الملحد ببلاغته من كلام العزيز العلام * وهاجر من اعز البقاع الى
اعز البقاع فاقام الدين واطهر شرائع الاسلام * ويوم هجرته صار تاريخا لمن
تمسك بشريعته بين الانام * صلى الله عليه وسلم صلاة عاطرة يتصوع من
خشرها مسك الختام * وعلى اله الطاهرين الطيبين الذين انى عليهم الملك
العلام * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
من جميع الانام * وعلى اصحابه الذين فتحوا مشارق الارض ومغاربها

وهدموا صوامع الشرك وقتلوا عباد الاصنام * واعلنوا بكملة التوحيد فتأثر
 الهدى وانقطع الباطل وارتفع الخصام * صلاة وسلاما ادخرهما ليوم العوض
 والزحام * يوم تبيض وجرة وتسود وجرة تكون لي نجاة من النار وثوبته بالقبول
 في دار السلام * ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم
 الدين السادة الفضلاء الاعلام * ما قرنت طير على ايكه ورقمت على منابر الاصابع
 خطباء الاقلام * وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة الملك الغفار * محمد بن
 ابي القاسم الرعيي القيرواني المشهور بابن ابي دينار * عامله الله بلطفه *
 واسبل عليه ستائر حلمه وعطفه * بمنه وكرمه * آمين * قال بعض اهل العلم
 ان في علم التاريخ عبرة لمن يعتبر * وتذكرة لمن يتذكر * لانه ينبي عن صنع
 الله في القرون الخالية * وكيف تصرف قدرته بارادته في الامم الماضية *
 وحكمته تعالى جلوبته في مخلوقاته بعدله واحسانه بحسب ارادته على
 مر الدهور والازمان * وهو سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن
 من شأن * وقيل تعالى فل سيروا في الارض على احد اقوال المفسرين هو
 النظر في كتب السير * والتطلع على اخبار الماضيين من البشر * فمن امعن
 النظر في اخبار الماضيين رآى ما يعجب منه العجب * وان قامل سير الملوك
 سرح طرفه بمرآة الزمان في مروج الذهب * وان شئت سمعت باخبار
 الزمان * اغتم ازهار حدائقها عن فرائد المرجان * وعلم ان الدر المشرق *
 في اخبار اهل المشرق * وان استغرب فالمغرب * عن احوال اهل المغرب *
 فان اختصر فالمختصر في اخبار البشر * والحديث شجون * والعشق جنون *
 والجنون فنون * وكل حزب بما لديهم فرحون * ولهذا كثرت كتب السير
 في غالب المعمور من الارض الا ان كل امته يستمد بعضها من بعض * والبلاد
 متفاوتة على قدر مراتبها * والعتول مختلفة فيما تجمع من عجائبها وثرائبها *
 الا ان مدينتنا الحضرة العلية * ومروست البلاد الافريقية * تونس حرسها
 الله تعالى لم يتقيد لجمع اخبارها مصنف * واذا قامل المتامل الى معانيها
 وترتيبها وجددها احق بالتصنيف من غيرها اذا كان المتامل منصفا لا

متعسف * لانها عروس بلاد المغرب ونزهة الاقليم الاغربي ودار الخلفاء
من بني ابي حفص * وهي اشهر من نار على علم وخبرها روتها الثقة بالنقل
والنص * وتمت محاسنها وان كانت غير ناقصة بالدولة العثمانية * وعظم
صيتها بين حبايبها لما نشرت عليها الاعلام الحاقانية * إلا أنه تقدم لابن
التهتائي مجموع لطيف الخبر فيم من احوال القوم * وانفق من بضائع بني
ابي حفص ما تيسر له ولكنه غالى في السوم * وما ذاك إلا لانه لم ينظر الى
حليته تونس في هذا الزمان * ولم ينظر الى معناها ومغناها الذي لم شان
واي شان * ولو أدرك زماننا لطغى بقلبه والقي العصا * ولو شاهد حسنها
في حل الهناء لقال هذا ما لا يعد ولا يحصى * ولما تمت محاسنها اصابتها
سهم من نظر المعيان * فلم تخطا رمية حتى راينا مصارع العشاق في حرب
الاخوين ومقاتل الفرسان * وكانت قبل اليوم في ذروة الشرف * واحلها في
تبعم مقيم في الرعة والتوف * الى ان قدر الله علينا بخطوب واي خطوب *
وقابلها الزمان بعد التسم بوجه قطوب * فتكدرت احوال اهل البارد *
واصبح كل انسان يقول نفسي نفسي ولا يسأل احد عن احد * وقد كنت
اثمنى ان اجد من فيه نبأه ليجمع ما حدث في زماننا من الوقائع العجيبة *
ويضيئه الى ما جعد ابن السماع في تلك المدة البعيدة الى هذه المدة الثرية *
وكم تشوقت الى هذا الجمع بنفسي * وملت اليه بحسبي وحسبي * الى ان قدر
الله علي بفرقة الاحباب وموت الاولاد * وذهبت بما تنقطع عنه كيدي وكبد
غيري من اهل البلاد * فكان هذا هو الباعث لي في هذا التقييد * واستشرت
مامونا في مشورته فرسم لي برايم الرشيد * فجمعت ما كان مشرقا بالرواية
والسند * وجعلته مقام تبريد اشتعال الكبد بموت الولد * وجعلت اتسلى به
من حزني * لانني في غمرات امتلا القلب منها وقال قطبي * ورحم الله ابن الوردي
حيث قال - لي مهجة في النازعات وعبرة : في المرسلات وفكرة في هل لى -
والا فكيف لي ان اكون من فرسان هذا الميدان * ولست من ابناء
الخصراء على الحقيقة حتى يحصل لي هذا الشان * ورحم الله الاخف حيث

قال - فسد الزمان فسدت غير مسود : ومن الشقاء الفردي بالسودد - ولكن
لي العذر وقد نطقنا على موائد الكرام وأساء في مغفورة عند العلاء من اهل
الحضرة وان كنت معدودا من العوام * والآن فكيف لي ان اضرب بقداحي
بين القوم وافوز بسهم * ام كيف يكون لثاني بين العلاء نصيب او قسم *
وانا خائن في ضلالت الجاهلة * وسارح في مروج اللهب والبطالة * فصرت
كحاطب ليل او جامع سيل * وطلع صباح الشيب فبدت آية النهار مبصرة
فصحت آية الليل * وفقد الشباب والاحباب * اعظم المصاب * قال بعضهم -
شيمان لو بكت الدماء طيهما صيناي حتى تؤذنا بذهاب

لم يبلغ العشار من حقيهما - فقد الشباب وفرقة الاحباب
وما انا استهدفت للرامي * وبرزت مراعي * وقدمت ما اورده ابن الشماع
ليكون البناء على اساس * واجمع الى كلامه ما انقله عن غيره وما رويته عن غير
واحد من الناس * واذا ذكرت شيئا مما ثبت عنده * اذيل عليه بنكت
من كلام الغير وكل احد يتفق ما عنده * وابذل جهدي بقدر الطاقة عسى
ان يحصل لي نصيب * واجتهد فيما اردتم ان شاء الله وما كل مجتهد
مصيب * فان ظهرت بشي مما رتمت وبلغت لنا * كنت ابن طفر على
الحقيقة ونظمت في سلك نجباء الابناء * ومن الله استمد الاغانى والطول *
لاني عاجز ولا قوة لي ولا حول * واسأله التوفيق في القول والعمل * والنجاة
من الخطا والزلل * ان شاء الله تعالى * وصيته * تونس في اخصار
افريقية وتونس * ورتبه على سبعة ابواب بعدد ابوابها وخاتمة *

الباب الاول في التعريف بتونس : الباب الثاني في التعريف بافريقية :
الباب الثالث كيف فتحتها الجيوش الاسلامية : الباب الرابع كيف
استولت عليها الخلفاء العبيديين : الباب الخامس في الامراء الصنهاجية :
الباب السادس في الدولة الحفصية : الباب السابع في الدولة
العثمانية : والخاتمة تتضمن احداثا ظهرت في الديار التونسية ، وماثر
فتخر بها بين جيرانها الافريقية ، وما تميزت به في البلاد المغربية *

الباب الاول

في التعريف بتونس

قال ابن الشماخ مدينة تونس هي اسلامية احدثت بعد النمايين من
الهجرة * وكان ابو جعفر المنصور العباسي اذا قدم عليه رسول صاحب
القيروان يقول له ما فعلت احدي الثيروانيين يعني تونس تعظيما لها *
وهي اليوم قاعدة البلاد الافريقية وام بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء
الخصبيين ومهاجر اهل الاقطار من الاندلس والمغرب وغيرها * فكثر خلقها
واتسع بشرها ورجب الناس في سكنها وحدثوا بها المباني والكرام وبينها
وبين قرطاجنة عشرة اميال * وبين تونس ومرساها بحيرة يقال انها كانت
كبيرة الجنات والمياه والزرع طيبة الفواكه فغلب عليها ماء البحر * قلت
عرف بها صاحب الجغرافية حيث قال ومدينة تونس في الجزء الثاني من
الاقليم الثالث * ومدينة تونس في ذاتها قديمة اسمها في التواريخ ترشيش
ولما فتحها المسلمون وحدثوا البناء بها سموها تونس * ومدينة تونس في
جون خارج عن البحر وهي على بحيرة محشرة وعرضها اكثر من طولها وذلك
ان طولها ستة اميال وعرضها ثمانية اميال ولها فم يتصل بالبحر وهو المسمى
فم الوادي * وذلك ان هذه البحيرة لم تكن قبل وانما حفر في البر حفر
انتهى به الى مدينة تونس ومن فم هذه البحيرة الى مدينة قرطاجنة ثلثة
اميال ونصف * قلت الذي ذكره صاحب الجغرافية انها قديمة
لا شك فيه لقول غيره وذكر سبب فتحها وكذلك حفر البحيرة يدل انه
كان في زمن الاسلام لان قبل الاسلام كانت قرطاجنة حائلة بينها وبين
البحر والبحر بعيد عنها جدا وانما احدث البحر بعد خراب قرطاجنة *
وما ذكره ابن الشماخ انها كانت بساتين ومزارع تشهد له الابار التي في
وسطها وربما وقع فيها صيادو السمك احيانا ويتجنبون مواضعها ولهم بها
خبزة * قال ابن الشماخ ومدينة تونس سور يدور بها وان دورها

اربعة وعشرون الف ذراع * فمسست ولم يذكر الباني لسورها حيث كانت هذه اسلامية والحاري على السنة اظهرها ان بناءه كان على يد الشيخ سيدي محرز والشيخ المذكور كان في اول المائة الرابعة الا ان يكون الشيخ جدده بعد المحنة التي وقعت عليها من ابي يزيد الخارجي وذلك في سنة ست عشرة وثلاثمائة لانه نهب افريقية ومدينة تونس ونهب منها نحو اثني عشر الف خابية زيتا غير الاموال والعبيد والامتعة والدواب والنساء والاطفال وغير ذلك وسياتي خبر ابي يزيد بعد ان شاء الله تعالى وكذلك القصة لم يذكر بناءها * وقال عند ذكر المولى عبد الواحد انه سكن بقصبتها عند حلوله بتونس وهذا يدل على ان قصبتها متقدمة عن زمن بني ابي حفص * قلت ولعلها من بناء بني الاغلب كما سياتي والعمال كانوا يسكنون بنا وابناء خرواسان كانوا يهاجروا من طاعة بني باديس * والغالب على ظني انها القصة القديمة واما هذه فهي بناء بني ابي حفص كما سياتي ان شاء الله تعالى * قال ابن الشماخ وجامع تونس فليح الصنعة حسن الموضع مطل على البحر بناة عبيد الله بن الحبحاب ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة وانفذ اليها البحر * قلت عبيد الله بن الحبحاب كان عاملا لهشام بن عبد الملك بن مروان على مصر وارسله الى افريقية سنة عشر ومائة فلما وصل القيروان اخرج المستنير من السجن وارسله الى تونس واليا عليها ولعله لم يدخل الى تونس وتقدمه البكري حيث قال ومدينة تونس دورها اربعة وعشرون الف ذراع وذكر بناء عبيد الله بن الحبحاب * قال ومدينة تونس اسمها في الاوائل ترشيش ويقال لبحرها بحر رانس ومرساها مرسى رانس وان حسان بن النعمان افتتحها وذكر غيره ان زهير بن قيس البلوي افتتحها * فمسست وقع التناقض بين قوله من بناء بني امية وبين قوله افتتحها حسان وقول غيره افتتحها زهير وزهير كان سنة سبع وستين وحسان سنة سبع وسبعين والبناء سنة ثمانين الا ان يكون الفتح اولاً ثم استقر بها قدم المسلمين واستوطنوها

والتخذوا بها المنازل والديار وكان نزولهم بها في سنة ثمانين فلذلك نسبت
الى بني امية ولم يكن قبل ذلك ينزلها احد من المسلمين وابن الشماخ ادرى
ببلده * وقال البكري وبمدينة تونس بحيرة دورها اربعة وعشرون ميلا
وهي في جبل يعرف بجبل ام عمرو وفي بحيرتها جزيرة مقدار ميلين تسمى
شكلي تنبت الكلخ وبها آثار قصر خرب * قسست في زماننا هذا بها
قصر مشيد والذي حكاه البكري وغيره عمر بعد ذلك في حدود الاربعين
والسعمائة على ايدي النصارى وبنوا فيه حصارا متعا الى ان اخذه من
ايديهم العسكر العنفاي وسياتي ان شاء الله تعالى وخرب وما تبقى منه الا
هائره وجدت في زمان الحاج مصطفى داي بعد السبعين والالف وهو الى يومنا
هذا غير عامر * قال ابن الشماخ وتونس دار فقه وعلم وعلى عشرة اميال
منها غربا وادي مجردة ويقال ان من شرب منه قسا قلبه * وسميت تونس
لان المسلمين لما فتحوا افرقيته كانوا ينزلون بازاء صومعة ترشيش ويتناسون
بزايب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها هذا الاسم * قسست
ذكر غيره ان العرب كانوا يسمعون اصوات الرحبان طول الليل في صوامعهم
فيمنسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس * وقال ابن الشباط وجدوا
زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع
الزيتونة * وذكر غيره انهم لما نزلوا بازاء صومعة تونس الراجب الذي
نسبت اليه الصومعة فقالوا صومعة تونس اطعمهم ديشيش المخططة فصار
عادة لاهل البلد في راس كل سنة حتى كاد ان يكون عندهم من الواجب
وانهم راوا مكانا محرقا عنه بالشوك فسالوا الراجب عن سببه فاخبرهم انه
يرى في بعض الليالي نورا ساطعا من تلك البقعة قال -- فعلت ان سيكون
لها شان فصنتها من الغدرات وبول الكلاب -- فصلوا في تلك البقعة وهي
موضع الحراب والتخذوا هناك مصلاهم * قسست ان صح هذا
فلشرف سابق لهذه البقعة بحيث صلى بها الصدر الاول من المسلمين
والفصلاء من المتأخرين وامم بالناس فيها عدة اعلام ونجباء كرام وهي بقعة

مباركته يستجاب فيها الدعاء إلى يومنا هذا والله الحمد * وقسالة الكبرى
يدور بتونس خندق حصين ولها خمسة ابواب * وقسالة ابن الشباط
لها في زماننا عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصبته *
قلت وفي زماننا لها سبعة ابواب ولم يبق في القصبته إلا باب قدر وهو
مغلق في هذه الوقت * وذكر غير واحد أن لها خمسة أسماء . ترويش .
وتونس وقيل تانس . والخصراء . والخصراء . والدرجة العليا * فترويش
اسمها في القديم ، وتونس حادث لها واشتقاقه من التانيس ، والخصراء لانها
حصنة السلاطين من بني حفص . والخصراء لكثرة زيتونها . والزيتون لا يزال اخضر
طول الزمان وهو الشجرة المباركة . اولان خيراتها كثيرة عن غيرها وسعة ارزاقها
وقد يقال لمن هم في سعة من الرزق خضر المربع فلذلك عبر عنها بالخصراء ،
والدرجة العليا قيل لأن بها الجامع الأعظم وقيل لارتفاعها عن غيرها من البلدان
وارتفاع صيتها في كل اوان * ولقد اخبرني من اثق به ان السلطان احمد
صاحب مراکش لما ارسل جيشه صحبة محمود باشا مدلكم الى بلد السودان
وفتحها الى تنبكت واخذ على أهلها البيعة لامتادته وكان بها اذ ذاك
الاستاذ العالم العلامة الشيخ ابو العباس احمد عروف بابا رحمه الله سأل
الناس لمن بايعوا فاجابوه بسلطان مراکش فقال لست اعلم في اقليم الغرب
سلطانا إلا صاحب مدينته تونس حرسها الله تعالى * انظر ايها المتامل كيف
ثبت عند هذا العلامة خبر تونس وسلطانها مع قرب بلادها من مراکش
وبعدها عن تونس والشيخ احمد صاحب اطلاع وهو من اكابر علماء وقته
وما ذاك إلا لفخامته ذكرها وعلو قدرها زادها الله علوا * ولنرجع الى قول
ابن الشباط قال وجامع تونس رفيع البناء مطل على البحر ينظر الجالس فيه الى
جميع جواره ويرقى الى الجامع من جهة المشرق على اثنتي عشرة درجة * قلت
ابن الشباط محقق فيما ينقله ولم يذكر من الباني لهذا الجامع إلا ما ذكره
غيره وهو ان عبيد الله بن الحبحاب هو الباني له كما مرء انفا ولعل عبيد الله
هو الذي اسمه * وذكر ابن ناجي ان زيادة الله بن الاغلب بنا جامع

الزيتونة وسور تونس وقصبتها فهي من بناء بني الأغلب * قلت
ولعل البناء الضخم هو من بناء الأغالبة ويشهد لذلك ما هو مكتوب في
القبلة التي فوق الحراب اسم أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي سنة
خمس ومائتين وزيد فيه على بنائه الأول كما زيد فيه في أيام بني حنص
والله أعلم * وقسمل ابن الشبط وتونس أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة
وفندق كبيرة رفيعة وبها حجرة عشر حمار * قلت في وقت هذا
بها أربعون حمار * قسمل ومصادات أبواب دورها كلها رجم مديع وهي دار
علم وفقه ولي منها قضاء أفريقية حجرة كثيرة * ويصنع بنونس عانية الماء
من الخرف شديد البيض في نهاية الرقة تكاد نشع لبس يعلم لها نظير
في سائر الأقطار * ومدينة تونس من أشرف مدائن أفريقية وأطيب ثمره
وانسب فاكهة وبها من أجاس الخوت الذي لا يكون مثله في غير *
قلت رحم الله ابن الشبط وغيره لو شاهدوا في هذا الوقت من خيراتهم
وكثرة بساتينها وجنائها لا معجزهم الوصف وراوا من الفواكه ما ليس له حد ولا
طرف وشهادة الله أنه يوجد فيه ما لا يوجد في غيره كثرة وحسب بحيث
لا يدخل تحت حصر وإذا افتخر المصريون بمصرهم قلنا لهم هذه تحت مصر
وناهيك أن في فصل الخريف يدخل إليها كل يوم أربع من ابن حبل من
العنب هذا خلأف ما يباع مع العنب من نين ويطبخ وفيها من الفواكه
الرطبة واليبسة * ولقد أخبرني بعض حدة المحاسب في سنة إحدى وستين
والف أنه حصر ما بيع للخمرات من العنب فكان مقداره ستمائة ألف
حل خلأف ما يباع في أسواقها وقس على هذا القدر وفيه كذبة وأما الخرف
فهو أقل شيء في الفخر وهم أهل الحضرة أعلى من ذلك * وقسمل صاحب
القنساس لانسوار وتونس من بلاد أفريقية بينا وبين القنساس أربع مراحل
وهي ما بناه بنو أمية والمدينة القديمة الرومية اسمها قرطاجنة ويسب إلى
تونس جماعة من العلماء منهم أبو الحسن علي بن زياد التونسي سمع من مالك
الوطا وثقه طبعه ونقحه به سمعوني وعش بعد مالك نحو من خمس سنين

وقبره بداره داخل باب المائة * وقسمت ابن السباع ومنهم الشيخ الامام
 العابد سيدي محرز بن حلف وقصرة بداره داخل باب السويقة ، وبقيتي
 مدينته تونس جبل يعرف بجبل السويقة لا يثبت شئ وهو المسمى بجبل
 الجرار وفي اعلاه قصر مبنى مشرف على البحر * قلست القصر الذي
 ذكره هو مقام الشيخ العرف * له سبدي ابي الحسن الشاذلي نفعه الله ببركاته
 والعجب كيف عمل عن التعريف بالمقام مع ان الشاذلي متقدم على ابن
 السباع بزمن او لعل المقام لم يشتهر الا من بعده * فسأل وشرقي القصر غار
 منحنى الباب يسمى بالعشوق وبالقرب منه عين جارية * قلست
 لم يبق له اثر الا ان يكون المعارة التي تنسب للشاذلي ايضا في زماننا
 هذا والغر الذي ادركه قبل اليوم تحت الجبل وبه عين ماء يقال لها الحمام
 وخرب واليوم في موضعه ما جل وهو على الطريق على مشطى البحيرة * فسأل
 وحام مع تونس يرقى اليه من ناحية المشرق على اثنتي عشرة درجة وقد تقدم هذا
 القل عن غيره بريدة اصاح * وفسأل ابن الشبط وحسن تونس ومبنيها
 في حصرة مما يقصر منه الوصف وانشد لبعض الشعراء يمدحها

تونس تونس من جاءها * وتدركه حصرة حيث سار

فلو حل بها لارض العراق * لحن اليها حنين الحساوار

يحن اليها ويشفقها شقيق الفرزدق فقد السوار

والنوار امرأة الفرزدق الشعر المشهور وله فيها عدة قصائد في محبته ايها *
 وذكر البلاذري ان رهير بن قيس اختفها * وقسمت البكري اختفها
 حسن بن النعمان وقائل الصاري بفحصها فذعنوا له وسأله ان لا يدخل
 عليهم ونصع الخراج عليهم ويفرغوا له به يحملهم واصحابه فجاءهم الى ذلك
 وكانت لهم منس فاحتلوا بها اموالهم واهليهم ليلا واسلموا المدينة فدخلها
 حسن فحرق وخرب وبنى فيها مسجدا وخلق فيها طائفة من المؤمنين قال
 واعرت الزم من البحر على من بقي فيه من المسلمين فقتلوا وسبوا وغنموا ولم
 يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم ووصل الخبر الى حسن فرحل الى

نونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان
وكتب اليه بما نال المسلمون من البلاء فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه الامر
وكان اذ ذلك التابعون موافرين وفيهم اثنان من الصحابة ايس بن مالك وزيد
ابن ثابت فقتلا للمسلمين من رابط يوب برادس فلم الجنة وقالوا لعبد الملك
ادرك هذه البلاد وانصروا لها ليكون لك ثواب فنها من البلاد المقدسة
فكتب عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو وال على مصر ان يوجه نحو
الف قبضي ببلده وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عزهم حتى يصلوا
الى قرشيش وهي تونس وكتب الى حسان بن النعمان بامر ان يبنى
لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى آخر الدهر وان يصنع به
المراكب ويغير منها على سواحل الروم . فوصل القبط الى حسن وهو مقيم
بتونس فاجرى البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة فجعل فيها المراكب
الكثيرة وامر القبط بعمارها * فقال ابن الشبط وقد تقدم ان عبيد الله بن
الحجاب هو الذي بنى دار الصناعة فلعل من روى ذلك يريد ان عبيد الله
جدها وزادها تحصين فلم نزل تونس معمورة من يومئذ يعز منها المسلمون بلاد
الروم ويكتفون فيهم النكاية والاداية * وذكر البكري ان حسن هو الذي
خرق البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة * وقيل غير ان الوليد
ابن عبد الملك من مروان لما علم ان الروم اساروا على تونس وبلغ ذلك من
المسلمين كل مبلغ وان علماء المشرق كتبوا الى اهل افرقيّة من رابط عند يوم
برادس فاجابنا عنهم حجة وعظم قدر رادس عند العلماء وراى حسان
بعث الى الوليد يعلم باذاية الروم كتب الوليد الى عمه عبد العزيز بن
مروان وهو وال على مصر وافريقيّة ان يوجه ألف قبضي والى قبضيّة
ويحملهم الى بلاد افرقيّة وامر ان يخرق البحر الى تونس * وذكر غيرهما
ان الذي خرق البحر الى تونس هو موسى بن نصير وجعل دار الصناعة
بتونس وجرا البحر اثني عشر ميلا حتى اقمهم دار الصناعة فصارت مينا
المراكب وامر بصناعة مائة مركب وعمر بها بلاد الروم وعقد لولده عسدا لله

عليها وامره بالانصراف الى صقلية وكانت اول غزوة عزيزت في بحر افريقية
فسار صد الله الى صقلية فافتتح فيها واصاب ما لا قدرى قيمته ثم انصرف
قولا سالما وكانت تسمى غزوة الانصراف وعقد بعد ولده لبعض اصحابه على
مراكب اخر فوصل مرقوسة وملكها والله اعلم بحقيقة ذلك * وحاصل
الامر ان تونس ليست محتجة الى تعريف وذكرها طبق الوجود فهي كما
قال في المثل طبق الاسم المسمى لانها تونس العريب وقلبا يوجد غريب
دخلها الا وصلت له به علاقة ولا يفارقها الا وهو متحصر عليها وتن قطن
بها حنت عليه وحن لها ان فاروق وعزت عليه * وذكرها عبر واحد من
العلماء واثني عليه بحساس كثيرة لا تعد ولا تحصى * ورمز الحداثة بذكرها
في المسجد الحرام والمسجد الاقصى - وكيف يصح في الاذن شي : اذا احتج
النهار الى دليل - وهي حرسها الله واسطة البلاد الافريقية كما ان افريقية
واسطة البلاد العربية فهي بمنزلة الراس من الجسد بل بمنزلة العين من
الرأس واذا ثبت ما قلناه ونقرر ما قلناه والذي صح عندي انها قديمة من
بناء الاوائل والذي ذكر فتحها هو اقرب من غيره وان حسن هو الذي
فتحها وبنى بها مسجدا وعبد الله بن الحجاب راديه سبحانه كما ان
زيادة الله بن الاغلب راد فيه وصححه وكملت صحته في ايام بني حفص
كما سيأتي بعد ان شاء الله تعالى * وحسان بن النعمان هو الذي فتح
قرطاجنة وقطع عنهم القناة المجلوب عليها الماء وفتح تونس واتخذ بها
مسجدا وهو الجمع الاعظم وسمي بجمع الريثونة كما مر في اول الكتاب *
وتونس لا شك انها قديمة البناء وكانت معصرة لقرطاجنة * واسمها ترشيش
وقبل هذا الاسم علم لها من قديم الزمان الذي هو تونس * وسالت
بعض النصارى ممن لهم علم بالتاريخ فقال اسمها تونس في كتيب وهذا الاسم
باللسان الاغريقي معناه تقدم واوقفني على كتاب هذه في التاريخ وكتبا
المدينتين فيد صورتي تونس وقرطاجنة والحنانية ووادي بجزيرة وتونس اصغر
حما من قرطاجنة وسالت عن تاريخهم فقال ازيد من الذي سمع * وانصاري

لهم اهتمام بهذا العلم والبلاد كانت لهم وصاحب الدار ادرى بالذي فيها ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى * وامت من قبل بنها بنسوامية في حدود الثمانين والذي بنى الجمع ودار الصناعة عيد الله بن المحجوب سنة اربع صشرة ومائة فعيد اذ كيف يمكن ان يقال مكثوا نيف وثلاثين سنة بغير مسجد وهؤلاء القوم كانوا في صدر الاسلام إلا ان يكون تسييس المسجد في الاول والباء العنخيم في الآخر وبهذا يرتفع الاشكال بحول الله * واما السور فص بناء بني الاعلم والتعبية ايضا وكانت عمال افريقية سكاهاهم القيروان واول من سكن تونس من العمال الاغلبة * قال ابن سجي رحمه الله واتخذ هو الاعلم تونس لسنهاتهم وبنوا الجمع الاعظم * قلت ومات بتونس عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن الاعلم سنة ست بعد التسعين والمائتين مقتولا قتله بعض خدمته بانقضى من ابنة ريدة الله واستقل بالملك بعك * وبالجملة فن مدينة تونس لها حظ وافر * وحسن بهر * حارت قصبات السبق في البلاد العربية * وعظم شأنها بين جيرانها وحائنها الافريقية * ولا سيما في هذه الدولة التركية * والسلطنة الخفانية * خلد الله ايامها * وسير بالعدل احكامها * تميزت بجمع المحاسن * وصف منها كلء اس * والسعت عماراتها * وكثرت حيراتها * وعمرت فيها الاسواق والدور * وبنيت فيها المنازة والقصور * وظهر فيها كل حسن عريب * وهذا هو البها البعيد والقريب * وطابق الاسم المسمى كما يقال تونس العريب * إلا انها في هذا الزمان اصبحت بالحسن * وقسم في سوق الخوف من بعد الامن من شدة الفتن * عسى الله ان يجعل بعد عسر يسرا * واهله والله الحمد لهم اخلاق رصية ونفوس اية * وشغل ثاقب * ورأي صايب * وعلو شمس * وحدة اذهار * وعلوه مميزون عن سن سواهم بالذكاء والنباهة حتى ان الواحد منهم اذا لام الاشغال يحصل له في سنة م لا يحصل لغيره في عدة سنين * ورزقه الله تعالى سرا تميزت به بين البلدان * واعظم سرها جامعها الاعظم كانه بين المساجد مسجد سليمان * وذكرها العبداني في رحلته واثنى على اهله حبرا * وذكر

عليه السلام به هم اهل ولما ذكر مصر قال ساعلك بلعدي وستن كابر في النمل
فلينظر الاصل * وكان العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد بن مصطفى اللازهرى
نزيل تونس رحمه الله لا استوطن ههنا الديار التونسية وتانس به وحضر
عدد اهلها وامرائهم يقول لو سئلت عن ثلاث لاجت بلا ولو قطع راسي
لو قيل لى هل رايت اعلم من الشيخ ابراهيم اللقاني لقلت لا . ولو قيل لى
هل رايت اسر من جمع الزيتونة لقلت لا . والسؤال الثالث ياتي في محله
ان شاء الله تعالى * ولقد عالى بعض العلماء في مدح تونس وحريتها حتى قال
من لم يتزوج بتونسية ليس بمحصن وفي هذا القدر كفاية * ان له خبرة ودراية *
واو تتبعد محاسن اطلال هذا الكلام وخرجنا من الشرط * ول مد القلم لسانه
في هذا المحل حكينا عليه بانط * وصلى ان نصل الى ما هو اهم * وننتقل
من الخصوصية الى ما هو اهم * ومن توفيتي الا بالله عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم *

الباب الثاني في التعريف بافريقية

افريقية من بلاد المغرب وعند اهل العلم ان اطلق اسم افريقية فانما
يعنون به بلد القيروان واما اهل السير فيجعلونه اقليما مستقلا وله حدود ولهم
احتلاف فيم وافريقية اوسط بلاد المغرب وخير الامور اوسطها * وقيل انما
سميت بفرريقية لانها فرقت بين المشرق والمغرب ولا يفرق بين الاثنين
الا احسنهم * وقيل سميت افريقية باسم اهلهم وهم الافارقة والافارقة من
ولد فروق بن مصرايم وقال احرور الافارقة من ذرية قوط بن حام بن نوح
عليه السلام سموا باسم البلاد * وقيل ان افريقش بن ابرهة بن ذبي القرنين
لما غزا بلاد المغرب ودوح البلاد بنى مدينة سميت باسمه فسموا افريقية
وسموا اهلها الافارقة ذكوة المقريري * وقيل اسمه افريقين بن قيس بن صفي

الحميري افتتحها وقيل ملكها واسم جرجير فسميت به ويومئذ ول لاهلهـ
 ما اكثر بربرتكم فسموا بربر قاله ابن خلكان * وقيل كان اسمه افريقس
 بالسین المهملة فمرسها العرب بالشين المعجمة * ونقل ابن الشباط عن
 بعضهم انه كان يقول اسمها ابريقية من الرقيق لان سماءه خل من السحب
 قلست وهذا القول بعيد لان افريقية كثيرة السحب حتى قال
 بعضهم ان القيروان لا تخلو من السحب في غالب السنة ويعبر من فخص
 القيروان بمزاق لان السحب تتمزق منه حتى قل بعضهم تنشد السحابة
 بالقيروان وتمطر بصقلية وغالب بلاد افريقية كثرة البرد والامطار وحلب
 الاوقات لا تخلو من السحب * وسمعت بعض النحهاء يقول معنى قوله
 تعالى - اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض المجررى - يعني الارض المحرشفة على
 احد التأويل ولا يوجد في غالب المعمور اكثر خرسف من افريقية والله
 علم * وافريقية اقليم عظيم جمع المحسن الجميلة * والفوائد الجميلة *
 والمدن العظيمة * والمزارع الكريمة * والمياه العذبة * والفواكه الياسة
 والرطبة * والمباني المنيفة * والمدن الشريفة * والمسرح المعدة للصرع *
 والاثار البديعة للزروع * وجميع ما يحتاج اليه * وتقبل النفوس طيه *
 وجعلوا حدود المغرب من سيب بحر النيل بالشرق الى ساحل البحر المحيط
 من ناحية المغرب * وحد افريقية بالطول من برقة الى طنجة ومرصعها من
 البحر الشامي الى الرمال التي اول بلاد السودان قاله غير واحد * قلست
 في زماننا هذا لا يعبر بافريقية الا من واد الطين الى بلد باجة * وقال
 ابن الشباط واصاف افريقية اشهر من ان تذكر * او يخاف طيها من ان
 تسجد وتكر * ولم يزل بها على مر الزمان من العلماء والكتب * وذوي الوراثة
 في المعارف والاداب * تن تزدان باوصافه لا قطار * وتشرق بانوار كلامه
 الامطار * وذكر احاديث شريفة في فضل المغرب وفضل افريقية * وتقدمه
 ابن الدباغ في ذلك واورد احاديث وردت في فضل المنشير ورادس * وقال
 ابن تاجي لا شك ان الاحديث التي في المنشير ورادس موضوعه * وها انا

أورد من تلك الأحاديث ما ثبتت صحته على وجه التبرك * ذكر ابن الشبط
قسل في كتاب مسلم حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثني هشام عن داود
ابن أبي هند عن ابن عمر عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم - لا يرأل أهل المغرب ظهريين على الحق حتى تقوم الساعة *
وفي كتاب الطبعات في علماء إفريقية حدثني فرائد بن محمد فسال
حدث صد الله بن أبي حسن الجعفي عن عبد الرحمن بن رباد عن أبي
عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
- ليأتين أسس من أمي من إفريقية يوم القيامة وجوههم أفضل نورا من نور
القمر ليلة البدر * وذكروا عدة أحاديث وردت في إفريقية وأن المستشير
باب من أبواب الجنة * ولا شك أن لها حصنا وشدا والله أعلم * وحكي
بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زيد بن أعمم أنه قال كانت إفريقية
من طنجرة إلى طرابلس طلا واحدا وقرى منصلة صخرة حتى جيع ذلك
الكاهنة وذلك لما هزمت حسان من النعمان العسبي بعد ما فتح قرطاجنة
وتونس وهزم البربر هزيمة شبيعة وفروا أدم إلى برقة ورجع إلى القيروان
فسال هل بقي أحد ممن له شوكة قوية من البربر فقليل له امرأة ساحرة
يقال لها الكاهنة وهي بجبل أوراس مع عدد عظيم * فسر اليه والتقى
معهما وقتلوا أشد قتل وقتل من العرب خلق كثير وانهمز حسن وأبعده
الكاهنة حتى خرج من عمل قابس وأسرت من أصحابه ثمانين رجلا وذلك
في خلافة صد الملك بن مروان * وكتب حسان إلى صد الملك يخبره
بما لقي المسلمون فواحدة الجواب يمرة بمقام حيث أدركه كتب أمير المؤمنين
فدركه وهو في عمل برقة فاقام هناك خمسة أعوام بموضع بقل له قصور
حصان وبه سمي إلى الآن * ومسكت الكاهنة إفريقية خمس سنين صد
أصرف حسان عنها وقالت للبربر أن العرب يطلون من إفريقية الهدائن
والذهب والفضة ونحن إنما نطلب منها المزارع ولا نرى لكم إلا حراب
إفريقية حتى يياسوا منها وأرسلت قومها إلى كل ناحية لتقطع الشجر والريثون

فخربت البلاد بسره وهدمت الحصون وكانت كلها قرى مصلة * وفي
نواحي النصارى انه كان ملك افريقية وهو صاحب قرطاجنة مائة الف
جفن بين حصن ومدينة يحكم عليهم وانه لما غزا الى رومة المدائن اخذ
من كل بلدة رجلا ودينارا وسار اليها على ناحية المغرب على بحر الزقاق من
ناحية الاندلسية واخرجة واناخ على رومة وحصره حصارا شديدا وبعث
صاحب رومة عسكرة في البحر الى قرطاجنة واذبح عليها ووقع القتال بينهم
على وادي بجرة وكان بينهم قتال شديد وكان الخيالة من اهل قرطاجنة ثمانين
الف غير الرجال فعند ذلك رحل صاحب قرطاجنة عن رومة ورجع الى
بلاده ومن ذلك الوقت بقيت الافارقة في الاندلسية وملوكها من
السنين والله اعلم * وقال المشونى لم يدخل افريقية بى قط واول
من دخلها بالايمن حواري عيسى عليه السلام * قلت الحواري الذي
دخلها اسمه متى العشار وقتل بقرطاجنة وهو اول من كتب الانجيل بلسان
العبراني بعد رفع المسيح بتسع سنين * وقال غيره بل دخلها نبي الله
خالد بن سنان العسبي وكان في زمن الفترة ولكن لم يدخلها بدعوة وهو
مدفون في المغرب في بلد بسكرة وانكر بعض انكها ذلك وصحبه اخرون
والشيخ التواتي ممن اتهم انه هو * ورايت بحط والذي رحمة الله عليه
قال حضرت الشيخ المذكور وهو متوجه لزيارة فيي الله خالد بن سنان
العسبي ولم يكتب كتاب صفه الشيخ وثبت عنده صحته وهو في تلك البلاد
يسمونه خالد النبي ويزدرونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم *
ومن مدن افريقية - برقة - وطرابلس - وغدامس - وفران - واولجة -
وودان - وكوار - وقصعة - وقسطيلبة - وقابس - وحرية - وتيهرت -
وباجة - والاريس - وشقبرية - وصرة - وسيطلة - وباغية - وليس -
واذنة - ودرعة - وجانة - وسوسة - وبنزرت - وزعوان - وجلول -
وقرطاجنة - ونوفس - وكل هذه وقع عليها الفتح * وانما كانت دار الملك
اولا في قديم الزمان بقرطاجنة لما كانت بيد الافارقة لاشرقيين الى ان

دخلت عليهم البربر من بلاد المشرق بعد ما قتل ملكهم جالوت وتفرقوا في
البلاد فاجار اكثرهم الى افرقيته والمغرب واستوطنوا البلاد سهلاً ووعرها الى
ن ظهر فيهم دين النصرانية فتغلبت الروم على سواحل البلاد وصارت الى
من لهم ذمة * وكانت قرطاجنة اعظم مدن المغرب وهي قديمة البناء قال
بعضهم انها بنيت في زمن داود عليه السلام وان بين بنائها وبناء رومنة
اثنيس وسبعين سنة ولم يذكر في السابق منهما * فليست هذا بعيد
جدا إلا ان يكون بناءها الثاني او الثالث لقول احد المفسرين ان الذي
كان يخذ كل سفينة غصا هو صاحب قرطاجنة * وموسى كان قبل داود
عليهما السلام بزمن طويل * وذكر ان يجمع البحرين برادس والمجدار
بالحمديتة وهي طيبة واهل ناسان ايضاً يسمون بلدهم بالمجدار الى الان
والله اعلم * ويشهد لقدمها ما رويته الثقة عن عبد الرحمن بن زياد بن
انعم قال كنت واث غلام مع عمي بقرطاجنة نتمشى في اثارها ونعتبر بعجائبيها
فدا بقر مكتوب عليه بالمخيرية - انا عبد الله بن لاواسي رسول رسول الله
صالح * وفي رواية بعضهم - شعيب بعثني الى اهل هذه القرية ادعهم الى
الله تعالى اتيتهم صحن فقتلوني ظلماً حسيبهم الله * وذكر بعض المؤرخين
ان موسى بن نصير لما فتح الاندلسية ذكر له بها شيخ كبير فدعا به
فاذا الشيخ وقعت حاجبه على عينيه فقل له اخبرني كم اتى عليك من
السنين قل خمسمائة عام فسأله عن اشياء فاجابه الى ان قال له اين
بلدك قال قرطاجنة قال له كم عمرت بها قال ثلثمائة عام وبهذه البلاد
ماتني عام فسأله عن خبر بناء قرطاجنة فقال بقيت من قوم عاد الذين
اهلكهم الله بالريح العقيم فعمرها ما شاء الله ثم خربت وبقيت الى سنة
خراب حتى اتى النمرود بن لاوذ بن النمرود الجبار فبناها على البناء الاول
ثم احتاج الى الماء العذب فعث الى ابيه وكان ابيه بلشام والعراق وعنه
على السند والهند فارسل اليه ابوه المهندسين والفلعة فهندسوا له الماء حتى
اوصلوه الى المدينة ومكثوا يرتدون الماء اربعين سنة * ولما حضروا

اساسه وجدوا حجرا مكتوبا عليه بالخط الاول سبب خراب هذه المدينة
 اذا ظهر فيها الملح فيمنح حص ذات يوم عند عذير مدار الصاعقة بقرطاجنة
 اذ نحن بالملح منعقد على الحجر فعند ذلك رحلت الى هند وسر كان على مثل
 رأي في ذلك ، وسأله عن عمر الملك فقل عمر سبعة عشر سنة والله اعلم *
 وهذه الحماية من احجوبة الدنيا واذا افتخر المصريون بالاهرام فتعجز
 اهل افريقية بهذه الحماية على مصر لان اصل الماء منبعث من بين جنتار
 واليوم اسمه الحميدية وهي وراء رعان بمسافة بعيدة وجلبوا ماء رعان معها
 وكلم وجدوا في طريقهم ماء جلبوه من البهين والشعل مدة فراسخ وكاعت
 من اولها الى آخره مخوفة بمسائين والامياء جارية بينها * وجه نوارسج
 النصارى ان طول مسافة الحماية من منبعثها الى المدينة ستون ميلا على
 الامتدانة ويتعويجب وعطفتها ثلثمائة ميل ويبقى وثلاثون ميلا وانما كملت
 في ثلثمائة سنة واربع مائة * قلست لا يستغرب طول هذه المدة
 لان هذا الماء من اعرب الانبياء واذا كان طولها ثلثمائة ميل ويبقى وثلاثين
 ميلا فلا بعد ان يكون المساء في كل سنة ميلا مع هذا الانشا الذي
 به وطول عصر الثوم وسر شهدها حكم بعقله بصحة ذلك * وعهد
 النصارى كان بقرطاجنة ثلثة اسوار دائرة بها والحكم يضرب في سورها وهي من
 اعجب بلاد الله وكان تكسرها اربعة عشر الف ذراع وهي من اعظم بلاد
 افريقية * وقال البكري لو دخلنا الداخل ايام حمزة لراى كل يوم
 احجوبة وبها قصر يعرف بالمعلقة مفرا في العلو فيه طبقت كثيرة مطل على
 البحر * قلست لم يبق مما ذكر الا هذا الاسم وبقيت خرائب بها يسمونها
 المعقنة الى الان * قل وبها قصر يسمى الطير طرفه دار الملعب وقصر
 يشال له نرمس فيه سوارى من رحوم مفروطة في الطول يترسع على راس
 السدوية عشرة رجال وبينهم سفرة وسبعة مواجل نعرف بمواجل الشيطيين
 فيها ماء لا يدري من اين دخلها * قلست المواجل موحودة ليومنا
 هذا * قل وداحل المدينة ميد ندحها السفن بشرح وهي اليوم

ملاحظة عليه قصر وربط يعرف برج ابي سليمان * فاستمعت الملاحظة
التي ذكرها ورجح ابي سليمان هي لان البلاد التي عرف الاندلس ورجح
ابي سليمان بها معروف وملاحظة اخرى قريبة من اوهام المرمى والله اعلم
ايضا كانت * فاستعمل وفيه قصران من رجم يعرفان بالاختين فيهما
ماء جلوب من قبل الجوف لا يعرف من اين مبعده * فاستمعت هو
والله اعلم الماء الذي عليه ابار سكرة جلوب من الجوف من تحت الجبل
الذي جلب حفر وفيه ايضا ماء جلوب من تحت الملاحظة التي به لانهم
وجدوا ارض سكرة كثيرة المياه والعذب عليها الرمل محضروا الماء بتحكيم
البناء العظيم وحلوة متصلا ببعضه بعض واداروا بالساء كالحلقة لجمع الماء
فيها وانحصاره ولها مفذ الى نحو قرطاجنة * واخبرني بعض من اطلع
عليها انه راي المفذ الجري وراى بعض بنائها من ناحية الجوف والذي
من ناحية قميت من تحت الملاحظة * ونقول نحن لا خبرة له ان هذا
الماء بقصد بسائين سكرة وهذا شيء لا يثني بعضه ثمن سكرة اصعاف
مرات وانما هذا من عمل الملوك لامر مهم * وكذلك الخناينة في احيى
بعضه المولى السمر الحفصي وجلب الماء عليها الى بسائينه بابي فهر ويعبر
عنه اليوم بالبطوم عجز عن بنائها بالحجر وحمل اقواسها طائفة وهي اقواس
يسيرة وجلب الماء الى السكة التي هنالك وهي باقية الى الان هذا مع
صحامة ملكه وعلو سلطته وارتفاع صيته لم يستطع اصلاح بعض ما فسد
منها ولا قدر على رده كما كانت اول مرة * وبقية الحنية وبقية باقية
الى يومنا وهي تدل على امر عجب * واما اثار المدينة فلم يبق
منها الا ثنية حراب يعبر عنها بالمعلقة فيها امكن كان يستقر بها الماء *
واثار المدينة يراها من يركب البحر وبقية البنيان طهرة من تحت الماء
وهي ممتدة في البحر بين القلعة والمشرق * ولا شك ان البحر الذي
في حلق الوادي اليوم لم يكن قبل هذا الوقت وانما حدث بعد ما خربت
قرطاجنة * واذا كانت المعلقة قصرا من قصورها وبرج ابي سليمان متصل

فيها ومحسوب منها بل كما قالوا انه من البكاء الذي في وسطه يكون مساوية
ازيد من اثني عشر ميلا والله اعلم * وسمعت ثمن بذكر ان باب حهم من
بعض ابوابها وهي متصلة الى الجبل الذي نازاه بلد سليمان الاسما به
في زمن هذا * وفي سليمان المذكورة قصص ابي سليمان السبق ذكره
وبه داموس لم يعلم احد منتهى طرفه * فسحق المتصرف في البلاد
والعباد * وسبحان ثمن ايد دين الاسلام وعصاته بالنصر على اهل العباد *
وتزيقهم في كل واد * وفتح الله تعالى هذه المملكة العظيمة على يد حسان
ابن النعمان * في خلافة عبد الملك بن مروان * في سنة تسع وسعين من
الهجرة ودخل الى افريقية في جيش لم يدخل بماله احد قبله ومقداره اربعون
الف * وليس نزل على قرطاجنة وبها خلق عظيم التقى الفريقين والتقم
الحرب وقتل حسان شجعانهم وابطلهم فاجتمع رايهم على الهرب وكانت لهم
مراكب معدة فارتحل الملك ومن قدر معه ليلا * فسمتهم من هرب
الى لاندلس ومنهم ثمن هرب الى جزيرة صقلية * ولمسا علم اهل بواديها
بهروب الملك تحصنوا بها فقاتلهم حسان وحصرهم الى ان دخلها بالسيف
وارسل الى ثمن حولها وامرهم بهدمها وكسر القناة المجاورة عليها الماء وذلك
من قبل ان ينفذ البحر الى تونس وانما حدث من بعد ولله عاقبة الامور *
وانما اطلت الكلام عليها لانها بدبعة الاثار قريبة من هذه الدار واثارها
تنبى عن اخبارها والله يعلم وانتم لا تعلمون *

الباب الثالث

في فتح جيوش المسلمين افريقية وذكر كل امير دخل اليها في زمن الصحابة
وفي زمن التابعين وفي زمن الخلفاء وثن بعدهم الى ان
يتتهي بنا الغرض ان شاء الله تعالى

اصم سلم ان الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم فتح في ايهم جل
بلاد المشرق ولد فتح عمرو بن العاص مدينة مصر والاسكندرية بعث عقبة

ابن نافع بن بركة وروادته وب جاورهم من البلاد فمضت تحت دمه
الاسلام وسر عمرو بن العاص فعزا مدينة طرابلس وفتحها وافتتح جبال نفوسة
وكانوا على دين النصرانية كل هذا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه في سنة ثلث وعشرين * وفي اقامته عمرو بن العاص على طرابلس
بعث بشر بن اوطات ففتح ودان وجبال نفوسة ولم يتجاوز عمرو بن العاص
الى افليم افریقیة ورجع الى مصر فعلا رضي الله تعالى عنه *

الخبر عن قدوم عبد الله بن ابي سرح

وفي خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه اقر كل
عامل كان لامير المؤمنين عمر بن الخطاب وكان لا يعزل احدا الا عن شكاية
فاقر عمرو بن العاص على مصر وكان عبد الله بن سعد بن ابي سرح من
جند مصر * فامره عثمان على الجند وسرحه الى افریقیة وكان اخا عثمان
من الرضعة وسرح معه عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع
ابن الحبيب مسروعا حتى وصلوا افریقیة واوغلوا فيها ودارل فبس في طريقه
ورحل عنها وبث سراية في افریقیة وكان معهم من الجند عشرون الفا
الى ان وصلوا سيظلة * وكان الملك اذ ذاك جرجير وهو اعظم ملك
بافريقيّة * وقيل انه كان عاملا لهرقل وخلع طاعة هرقل واستقل
بملكه وحرب الدينر باسمه اي باسم جرجير وكان سلطانا من بركة الى
طنجة ودار ملكه سيظلة وكانت بين عبد الله بن ابي سرح وبين جرجير
مراسلات عابى جرجير عنده وتاهب للحرب وجعل ابنته على ديدبان مال
واقسم بدينه لا يقتل احد ابر العرب الا زوجه ابنته * وبلغ الخبر الى
عبد الله بن ابي سرح فاقسم بالذي جاء به محمد لا يقتل احد جرجير الا
نقله ابنته * والتحم القتال وكان عسكر جرجير مائة الف وعشرين الفا *
فانصر الله المسلمين وقتل جرجير قتله عبد الله بن الزبير واخذ ابنته
جرجير * وقسمل المسلمون المشركين وهزمهم الى ان دخلوا مدينتهم *
فسنرل عليها المسلمون وحاصروهم بها وفتحها الله عليهم وذلك في سنة سبع

وعشرين واعدوا فيها ما لا يحصى من ذهب وفضة وبعث بالبحر الى امير المؤمنين عثمان بن عفان وكان رسوله ابن الزبير فيقال انه بلغ بالبحر سنة ثمان وخمسة وعشرين يوما وبعث عبد الله بن ابي سرح سراية فبلغت نهر الفرات فصور قصبة فذلت الروم بافريقية والتج اكسرهم الى الحصون وداحلهم الرعب وبعثوا الى عبد الله يطلبون الصلح وبذلوا له ثلثمائة فطر من الذهب وان يرجع من حيث جاء * فاجابهم عبد الله الى ذلك وصر لهم وقبض المسل ثم انصرف عن افريقية بعد اقامة سنة وعشرين وكرر اجمع الى مصر بعد ما اذعن له بلاد افريقية كلها وغسم العاثم على الجند * وقسيل انه بعث عبد الله بن قافع بن الحصين وعبد الله بن دفع بن عبد القيس من فورهما ذلك الى كافرنة والاندلسية فبها من قبل البحر وغنموا ما شاء الله * وقسيل له رجع عبد الله الى مصر استعمل على حمله عبد الله ابن قافع بن عبد القيس وهذا قول سرقيل ان لاندلس كان فتحها في زمن عثمان واكثر الناس من المورخين يقولون في زمن الوليد بن عبد الملك وهو الصحيح او لعل الفتح مرتين قاله غير واحد والله اعلم *

الخبر عن قدوم معاوية بن حديج الى افريقية

وفيه خلاص بين المورخين

قسيل انه فزا افريقية في سنة اربع وثلاثين قبل مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه وله ثلث غزوات الاولى سنة اربع وثلاثين والديعة سنة اربعين والثالثة في خلافة معاوية ولم يذكر احد من المورخين ما كان في خلافة امير المؤمنين علي بن ابي طالب ولا ولده الحسن الا ان معاوية بن حديج كان سنة خمسين وكان معاوية بن ابي سفيان اذ ذاك خليفة وسنة اربعين كان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه والله اعلم * وفي سنة خمس واربعين في زمن معاوية بن ابي سفيان ارسل معاوية بن حديج الى افريقية في عشرة آلاف مقاتل وكان معه عبد الله بن عمرو بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان ويحيى بن

فقال له اصحابه: وعلى من نسلم يا ولي الله فقال على قوم يونس ولولا البحر
لا ريتكم ايهم * ثم قل - اللهم انك تعلم اني انما اطلب السبب الذي طلبة
وليأت دو القرنين الا يعبد الا الله - ثم كثر راجعا وتكلى الناس عن طريقه
خوفا من جيوشه وقد دوح البلاد وليس بافريقية تن يخالفه * ووصل
الى مدينة طبرية وكان ملكهم كسيلة فتقدمت جيوش عترة وبقي في نفر
يسير من اصحابه الى ان بلغ نهضة وبادس فغلثوا ابوابهم دونهم وشتوة من
اعلى اسوارهم ودعاهم الى الله فلم يجيبوا وبعثوا الى كسيلة وكان ممتن اسلم
على يده ابي المهاجر ففتح تلمسان * ثم صار في عسكر عترة فاستخف به
عترة وكان ذبح غنما لاصحابه فامر كسيلة بسلخ شاة فقال كسيلة ايها
الامير هؤلاء غلثاني فبى عليه فقام مضطربا وجعل يسلخ الشاة ويسبح يده
على ذنبيه والعرب نسخر منه فمر بهم رجل من العرب فقال ان التبري
يتوعدكم * وفسل ابو المهاجر لعقبة ان الرجل قريب عهد بالاسلام
فلا تهمه فلم يلتفت اليه عترة * ولما ارسل له الروم امكنته الفرصة
فقال ابو المهاجر لعقبة عاجله قبل ان يجتمع اليه امره فزحف اليه عترة
ففر امامه ووافه بمقبرة من نهضة فنزل عترة وصلى ركعتين واطلق ابا
المهاجر وقال له طيبة الحق بالمسلمين فقم بامرهم وانا اغنم الشهادة فقال
ابو المهاجر وانا اغنمهم ايضا فكسروا اعماد سيوفهم وتن معهم من المسلمين
والتحم القتل بينهم فتكاثر العدو فقتل عترة وابو المهاجر وتن كمن معهما
ولم يفلت الا القليل * واجتمع الى كسيلة جميع اهل المغرب من الروم
والبربر واشتعلت افريقية نارا وزحف كسيلة الى القيروان فلما سمع زهير
حرص الناس على لقائه فمتنعوا منه واقبل كسيلة الى القيروان بعساكر
البربر فخرج اهل القيروان حارمين منه ولم يبق بالقيروان الا الذراري
والضعفاء فبعثوا الى كسيلة وطلبوا منه الامان فامنهم ودخل كسيلة القيروان
وفر زهير بمن معه الى برقة واقام بها الى ان مات يزيد بن معاوية بن
ابي سفيان واما ملك معاوية

الملك بن مروان * فلما اشتد سلطانہ سالوہ ان ينظر في احوال افريقيه وتخليصها من يد كسيله فقال ما ارى لها الا زهيرا لدينه وورعه وهو اعرف الناس بسيرة عقبة فبعث اليه زهير وامدة بالجيوش والاموال وارسله الي افريقيه * فلما تراءفت عليه الجموع اقبل الي افريقيه في جيش عظيم وذلك في سنة سبع وستين وقيل تسع وستين من الهجرة والله اعلم بحقيقة ذلك *

الخبر عن امرة زهير بن قيس السلمي

ولما قدم زهير الي افريقيه وسمع به كسيله وحل عن الفيروان ونزل على ليس وقيل مس * ولما بلغ رهبا خصة لم يدخل الي الفيروان واقام على بابها فلانا وارتحل رابع يوم حتى اشرف على كسيله فترل الناس وباتوا على مصافهم ولما اصبح صلى بالناس ثم زحف بهم والنخم الحرب فقتل من الزبر خلق كثير وفر كسيله وقتل الي مس ومضى المسلمون في طلب الزبر يقتلونهم كيف شاءوا ورجع زهير الي الفيروان فحافه جميع من بافريقيه وتحصنوا بمعاقلهم ولم تقم لهم شوكة بعد ذلك ومضى تونس على احد اقرال بعض المورخين كما سبق * وقيل ان حسان بن النعمان افتتحها وقد مر في اول الكتاب * وقيل ان زهيرا كانت ولايته من قبل عبد العزيز بن مروان وصد العزيز على مصر من قبل عبد الملك اخيه ثم ان زهيرا راي بافريقيه ملكا عظيما فحكره لاقمة بها لرفاهيته عيشها وقيل انما جئت للجهاد واحاف ان تميل بي الدنيا وكن من الزاهدين العابدين فمكرو قافلا الي المشرق فلما انتهى الي بركة امر العسكر بالمسير على الطريق واخذ هو في مصابة قليلة على طريق البحر فوجد اقواما من النصرى اخذوا جلته من المسلمين اسارى فاستغان به المسلمون فوقع فيهم بمن معه فاستشهد رجته الله عليه وتس معه * ولما انتهى الخبر الي عبد الملك بن مروان عظم عليه ذلك وكانت مصيبتة به

مذل مصيبة عقبة رجهما الله * واستغاث المسلمون لعبد الملك وسأله ان ينظر في امر افريقية واتفق رايه على حسان بن النعمان الغساني وكان بمصر في عسكر عظيم عدة لم يحدث * وفستخت في ايدي زهير بن قيس باجة وشتبندرية وهي اليوم تسمى الكاف والاربع وهي قرية قريبة منها ومدينة تونس وقرطاجنة على الاختلاف في هذين البلدين والله اعلم *

الخسر عن ولاية حسان بن النعمان الغساني

فكتب اليه عبد الملك يامره بالتوجه الى افريقية واطلق يده على اموال مصر يعطي منها ما شاء لمن يرد عليه من الناس فوصل افريقية في اربعين الف ولم يدخل افريقية اعظم منه قبله وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل في سنة ست وسبعين وقيل تسع وسبعين * فسلبا بلغ القيروان ميل عن اعظم ملك بافريقية فليل له صاحب قرطاجنة * وكانت مدينة عظيمة تضرب امواج البحر سورها وبينها وبين تونس اثني عشر ميلا وبين تونس والقيروان مائة ميل وقد سبق التعريف بها ولحسن جئت بها هذا لاقتسم الفائدة * واعجب ما بقرطاجنة دار الملعب ويسمونه الطياطر وقد بنيت اقواسا على ساري وعليه مثلها * وصور في حيطانها جميع الحيوانات واصحاب الصنائع * وفيه صور الروح قصورة الصبا وجه مستبشر وصورة الدبور وجه عبوس * ورخصام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقية على نقله لم يمكنهم ذلك لكبرته * قلست لم يبق بها في زماننا من الرخام شيء * وضبط ابن الشباط قرطاجنة بفتح القاف وسكون الراء المهملة وبعدها طاء مهملة وفتح الجيم ونشديد النون وباء موحدة وقيل بكسر الجيم * وقسلس سمعت سن يقول قرطاجنة بفتح الجيم وكانت دار الملك بافريقية * فبسمعت اليها الخيل وصايقها وقطع القناة التي جلب عليها الماء وكان البحر لم يخرق الى تونس وانما خرق بعد ذلك * وهدم المدينة وشتت اهلها واستقام امرة * ثم ان حسانا بلغ ان النصارى تجمعوا له وساعدتهم البرابرة * فسار اليهم وهزمهم الى برقة ورجع الى القيروان فاستقام بها

رسال هل بقي احد اذا قل خذمت البربر والنصارى فقليل له امرأة يعذال
لهم الكاهنة وهي بجبل اوراس نخففه النصارى والبربر فتوجهوا الى لثانها
وعلمت الكاهنة بامره فقدمت اليه في عسكر عظيم من البربر والروم * فالتقى
الجمعون واقتتلوا قتلا شديدا ففر حصن منهزما وقتل من العرب خلق كبير
واسرت من اصحاب حسان ثمانين رجلا وانعت حسبا حتى خرج من
عمل قابس ونزل في برقة بمكان يعرف به الى اليوم يقل له قصور حسان
وقد سبق في اول الكتاب بما فيه كفاية ومكث هنالك خمسة اعوام الى
ان جاءه كتاب عبد الملك بن مروان واحده عبد الملك بمال والرجال وكر
راجعا الى افريقية * فلما سمعت به الكاهنة بعثت الى عمل افريقية
كلها وقطعت اشجارها وخربت مساكنها على بن العرب لا يصابون الا المدن
واذا اخليت المدن لم يكن لهم ارب في افريقية واسم الكاهنة دامية بنت
ينفاى وهي من مظماء البربر الذين ملكوا افريقية وكما سبق في اول الكتاب
انها كانت ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة * وكانت الكاهنة اطلقت
من اسرقه من العرب الا واحدا اسمه خالد فآخنت بينه وبين ولديها
وقالت لهم اني مقتولة وكانها تنظر الى راسها يركض به الى ناحية المشرق
ثم امرت ابنيها وخالدا ان يمشوا الى حسان ويستمنوه فتوجهوا الى حسان
واخلوه بالخبر * ثم تقدم حسان حتى التقى به واقتل قتلا عظيما حتى
ظن الناس انه الفنا * فانهزم الكاهنة ونعها حسان وقتلها بمكان يعرف
ببئر الكاهنة وقيل في طبرقة وبعث براسها الى عبد الملك * وعقد لولدي
الكاهنة على اثني عشر الفا من البربر الذين اسلموا وبعضهم الى المغرب
يجاهدون في سبيل الله ولم يبق له بفرقية منازع فرجع الى القيروان
وقد دانت له البلاد وذلك في سنة اربع وثمانين وكتب الخراج على
النصارى وعلى ستمسك بدين النصارى من البربر وتقدم ان زهيرا اخت
تونس نقله ابن الشباط عن البلاذري وعن البكري ان حسانا اختها *
قسال ابن الشباط وعمل الفتح كان مرتين والله اعلم * وسبق في اول

أبي الحكم بن العاص وعدة أشراف من قریش ففتح مدينة سوسة وكان
 أرسل إليها عبد الله بن الزبير وقائل الصاري الذين بها وظهرت منه شجاعة
 هوية على باب سوسة بحيث أنه صلى صلاة الصبر والعز قريب منه ولم
 يكثر به ورجع إلى معاوية بن حديج وأرسل ابن حديج عبد الملك
 ابن مروان إلى جلولاء محاصرها أيام وصل من أهل مددا كثيرا وفتح
 قوة وسبوا الذرية وأصابوا معنما كثيرا وقسم معاوية التي بين المسلمين والله
 أعلم هل كانت في سنة أربع وثلاثين أو خمس وأربعين وبين جلولاء والقيروان
 أربعة وصرون ميلا وقرب جلولاء متسرة لني عبيد يعرف بسر دانيته ليس
 بأفريقية أجل منه وكانت كثيرة النمار وأكثر رباحينها الياسمين والورد وبها
 قصب السكر * قسسال ابن داخي كان يدخل إلى القيروان أربعون
 جلا ورذا جلولاء في اليوم ويوردها يترب الثقل * وأرسل معاوية بن حديج
 جيشا في البحر في مائتي مركب إلى صقلية فتكرها وسبوا وغنموا وأقاموا شهرا
 وانصرفوا بغنائم كثيرة * وبعث معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي
 سفيان * وفي سنة إحدى وأربعين فتح بنزرت وكان معه عبد الملك بن
 مروان فشذ عن الحبش فمر بمرواة من العجم فقرته وأكرمته فشكر لها
 ذلك ولما ولي الخلافة كتب إلى عامله بأفريقية أن يحسن لها ولاهل
 بيتها * وبشررت قديمة البناء وهي أجل بلاد على ساحل البحر * قسالت
 وسمعت سن يقول معنى قوله تعالى - ونمود الذين جابوا الصخر بالوادى -
 هي بنزرت * وسمعت سن يقول في قوله عز وجل - وسئلهم عن القرية
 التي كانت حاضرة البحر - هي بنزرت * وسمعت سن يقول مكان
 الحاكم به يهودي في الزمن السابق ولما ضعف أمرهم وصاروا تحت الذمة
 عاملهم المسلمون الذين تملكوهم بأن جعلوا سوقهم يوم السبت فكأثر لهم من
 ما سبق من إذاهم حتى لا يتصرفوا معهم في معاشهم يوم السبت والله أعلم
 بحقيقة ذلك * وسمعت معاوية بن حديج روي عن ثابت الأنصاري
 في حربة ففأخذه وهي جزيرة في البحر تقرب من قدس وبينها وبين

البر بجاز وفيها بساتين كثيرة وزيتون كثير * وفسل ان رويح بن
 ديث كان عاملا معاوية بن حديج على طرابلس سنة ست واربعين فغزا
 افرقيية من طرابلس سنة سبع واربعين وفتح جربة والله اعلم * ورجع
 معاوية بن حديج الى مصر فلما وصل حصر عزم معاوية بن ابي سفيان
 عن افرقيية واقرة على مصر ووجه معاوية عقبة بن نافع الفهري الى افرقيية
 في عشرة آلاف من المسلمين وقابل سن بها من النصارى والبربر حتى افناهم
 واتخذ القيروان للعسكر وهي القيروان التي في زماننا هذا * وسبب بساتينها
 منكور في غير هذا المكان مبسوط بزيادة بيان واخطت به الجمع الاعظم
 وصلى فيه * وكان عقبة رضي الله تعالى عنه مستجاب الدعوة * وقيل
 ان غزوته هلك كانت سنة اثنتين واربعين والله اعلم * وفي سنة احدى
 وخسين نزل معاوية بن ابي سفيان عقبة عن افرقيية وولى مسلمة بن
 مخلد على مصر وافرقيية *

الخبر عن ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري

فلما وصل الى مصر بعث مولى له اسمه ديسر ويكنى بابي المهاجر
 الى افرقيية فلما وصل اليها كره ان ينزل في بلد اختطه عقبة فعد عن
 القيروان وبني مدينته واخلى القيروان وامر الناس بعصاة تلك واسمها تيكروان
 فلما سمع عقبة بذلك حنق عليه ودعا الله تعالى ان يمكنه من ابي المهاجر
 فاستجاب الله دعاءه وسياتي بعد * وفي ولاية ابي المهاجر فتحت جزيرة
 شريك * قسدت جزيرة شريك هي الجزيرة المعلقة في زماننا هذا
 التي بها جام الانف وبنها الاندلس مثل سليمان وتركوي وغيرهم واليه ينسب
 باب الجزيرة في يومنا والله اعلم * وجزيرة شريك كانت عامرة في ذلك الوقت
 وبها مدن وقصور كثيرة وخيرات ومارع حسنة وهي بين مدينتي سوسة
 ومدينة تونس * وسميت جزيرة شريك نسبة الى شريك العبي
 الذي كان واليا عليها وبعث اليها ابو المهاجر حنش بن عبد الله الصنعاني
 فانتهكها وغنم منها وقتل اهلها وسبى سبيا عظيما * وحسنه عقبة الى

المشرق فشكى إلى معاوية ما فعله أبو المهاجر به فوجهه بالرجوع إلى
 عليه * وتسوفي معاوية رضي الله تعالى عنه واستخلف ولده يزيد بعده
 فولى عقبته بن زافع افرقيية في سنة الثنتين وستين من قبل يزيد بن معاوية
 فسار عقبته حنف على امي المهاجر * فلما بلغ افرقيية اوثقه بالحدود وامر
 بتخريب مدينته التي بناها واحاد الناس إلى القيروان ومروها واجمع عقبته
 على الغزو في سيل الله * واستخلف زهير بن قيس البلوي على القيروان
 وبقي في عسكر عظيم حتى نزل مدينته بنغية وهي قريبة من جبل
 اوراس والجبل مطل عليها وكان قد لجأ اليها جمع من البربر والنصارى
 فقاتلهم عقبته قتلا شديدا وهزم الروم والبربر وغنم منهم خيلا لم يروا احسن
 منها * ولحق حطهم إلى الحصن وارتحل عنهم إلى مدينته ليس وهي اذ ذلك
 من اعظم مدائن الروم فقاتلهم اشد قتلا وهزمهم إلى باب الحصن * وليس
 قريبة من بلد قسطينة وبينهم مرحلسان واكثر اشجارها التين والعنب
 والخوخ والجز * فاستخت في ايام عقبته عداس ايضا ولكن في ولايته
 الاولى ستة ائتين واربعين قتل وسبي وبلغ في غزوته إلى بلد السودان وعامة
 بلاد البربر وفتح بران وفتح وادان وقصعة وقسطينة فتحا ثانيا لانها فتحت
 قبله وارثدوا فعددهم بغزوته هذه حتى اذعنوا له * وكذلك تظفرت وتقيس
 وتابس والحامة * ولما غزا قران خرج اليه ملكهم فصالحه على ثلثمائة
 عبد وستين ميدا * وغزا قصور كوار وفرض على اهلها ثلثمائة عبد وستين
 ميدا وهذا اذركه هو واصحابه العطش فصرى ركعيس وسال الله سبحانه
 وتعالى الماء فجعل فرسه يجر حتى طلع الماء وهو الذي يقال له
 عين القوس إلى زماننا هذا * وصايق على اهل كوار ورحل منهم واخذهم بغتة
 عد ما رحل عنهم واطمانوا فاباح في مدينتهم وسبي نساءهم وذواربهم ثم
 نصرف إلى زويلته ثم رجع إلى معسكره فاقام فيه مدة اشهر وسار بعد
 ذلك إلى قصعة وقسطينة * وذكروا ان بني سور قصعة ظلام النمرود *
 سم نوحه إلى المغرب ففتح مدينته سبتة ومدينته طجة * وسبست

مدينة على بحر الرقني من ناحية المغرب وكان صاحبها اليسن وهو الذي
 امان طارق بن زياد على دخول بلاد الاندلس * وهي مدينة قديمة من بناء
 الاول وهي في زمانه في يد اعداء الدين اعداها الله للاسلام * فمما كان صاحبها
 واقرة على بلاده وسار الى طنجة ففتحها وقتل رجالها وبنى فيها وهي طنجة
 البيضاء وكانت دار ملك ملوك المغرب * وقيل انه كان لملك من ملوكها
 في مسكة ثلاثون فيلا وهي في اخر حدود افريقية في المغرب وبينها وبين
 القيروان الف ميل وهي اليوم في يد الكفرة اعداء الله تعالى للاسلام وما
 ذلك الا من اصل الفتن التي كانت بين ملوك المغرب الاشراغ الذين
 كانوا بمدينة مراكش حرسها الله وملكوا العرايش والمعمورة والسريجة ووهران
 وعدة اماكن بالمغرب اعداها الله تعالى للاسلام وذلك بعد الف من الهجرة *
 ووصل عقبة الى السوس الادنى والسوس الاقصى ومن طنجة الى تاجرا
 مدينة السوس الادنى عشرون يوم وليس في بلادهم شجر ولا نخيل ولا
 زيتون وندمهم القمح والشعير والاشنام ولباسهم الصوف * ومن تاجرا الى
 طرفلة مدينة السوس الاقصى مسيرة شهرين * وليس وراء طرفلة انيس
 في المغرب الى منتهى بحر الرمل * ومن طرفلة الى غانة ثلثة اشهر والله
 اعلم * قال وقابل عقبة اهل السوس وسبى منهم سبا كثيرا وفتح
 مدينة يعلى وسبى منها سبا لم ير مثله حسنا * وكانت الجارية منه
 تباع بالف واكثر من ذلك اي الدنانير * وفتح درعة وهي مدينة
 عظيمة لها وادي يجري بالماء وعليه اسواق بعدد ايام الجمعة كل يوم سوق
 وربما كان سوقان في اليوم الواحد في اماكن متفرقة وذلك لكثرة اهلها وطول
 عمارتها * وقسمت مدينة تليس وكانت حصينة واليهب التجار كثير من
 البربر والنصارى لخصانتها فحاصروهم شهة وقاتلهم حتى فتحها واصاب غنائم
 كثيرة * ووصل الى درعة من بلاد السوس الاقصى ودخل الى بلاد لبتونة
 في الصحراء وفر الناس ارباب لا يقوم بين يديه احد ولا يعارضه الى ان
 بلغ الى البحر المحيط - قال فدخل فيه فقاتلهم فرسه وقال - وعليكم السلام -

الملك ان حسمت حمر الذي خرق البحر الى تونس وانه بعث الى عبد الملك بن مروان يحصره بحمل فونس حتى بعث له التبط كما مرع انفا ومهد فواعد افريقية الى ان قتل موسى بن نصير والله اعلم *

الخبر عن امارة موسى بن نصير القرشي

من قبل الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ما عزل عمر حسب ما وقيل انه استعفى منه وان الوليد اراده الى افريقية فممنع منه وحلف عنهم فكتب الوليد الى عمر عند العريز ان يبعث موسى بن نصير الى افريقية وقطع افريقية عن عمر عند العريز وارسل اليه موسى بن نصير فقدم لافريقية سنة ثمان وثمانين فوجد البلاد خالصة لاختلاف ايدي البربر عليها ولم سمعوا به مروا امامه الى المغرب فتبعهم يقتل ويسبي ولا يدافعهم احد حتى بلغ السوس الاذني فاستامنهم ان يبربر فامتهم وولى عليهم واليا واستعمل على بلاد طنجة طارق بن رقاد مولاه وبرك معه سبعة عشر الف فارس من العرب والبربر ثم رجع الى افريقية ففتح بجامة * وقيل كان فتحه على يد بسر بن اربعة استعمله موسى بن نصير وبعث بخمسة الى الوليد ومحتج زعمان وكان بها عدة قري وبها من البربر عالم عظيم فعزاه موسى بن نصير وقيل جمعهم وسبي منهم سب عظيم فبلغ سبيهم عشرة آلاف وهو اول سبي دخل القيروان في ولاية موسى بن نصير وغزا هوزة وزناخة وصنهاجة * وقيل ان موسى كانت اول ولايته من قبل عبد الملك بن مروان سنة ثمان وسبعين ولم يزل الى ايام الوليد بن عبد الملك فتوالت عليه فتوحات موسى ابن نصير فطلعت منزله عند الوليد * وقيل ان موسى هو الذي خرق البحر الى تونس وبني دار الصناعة وصنع بها مائة مركب وغزا صقلية * وبعث ولده مروان الى السوس لاقصى في خمسة آلاف فارس فغنم منه ما لا يبلغ الحصر * قيل ان السبي بلغ اربعين الفا * وبلغ موسى الى ما لا يعلمه غيره الى البحر المحيط ورأى عجائب يتصور عنها الوصف وهي مدونة في غير هذا الموضع بطول شرحها لمن يسعد ورأى ما لم يره غيره * وبعث الى

الاندلس طرف مولاه ولقبه ابو زرعة في سنة احدى وتسعين وبلغ الى جزيرة
 طريف وبه سميت الى الان * وفي سنة اثنتين وتسعين بعث مولاه طارفا
 الى الاندلس وكان معه على طنجة واقام على الدخول اليها الى صاحب
 طنجة وقيل صاحب سبتة وقيل اليان وصل الى القيروان مستنجدا بموسى
 ابن نصير لامر حدث عنده من قبل رديق ملك الاندلس وهون على موسى
 فتح بلاد الاندلس وان موسى كتب الى طارق يامره بالسير الى الاندلس *
 وكانت دار الملك بها مدينة طليطلة وركب طارق في البحر ونزل في
 جبل الطر هكذا اسمه في زماننا هذا وانما اسمه جبل طارق لانه سمي
 به واقام اليان صاحب الجزيرة الخضراء من عمل طنجة وشرحه بطول
 ذكر ذلك صاحب كتاب المغرب وفي الاكتفاء لابن الكردبوس والطبري
 وصاحب المختصر وغير واحد من اهل السير والعمدة عليهم * ولما حل طارق
 بجبل طارق وسع به رديق ملك الاندلس حشد جيشه وجمع جوعه
 واتي الى طارق فالتقى معه وكانت ايام القتال بينهم ثمانية ايام فهزم
 الله الكافرين ومنح النصر للمسلمين * وكان مع طارق اثني عشر الفا
 وعسكر الروم شيء عظيم واصحاب المسلمون من السبي ما لا حد له من
 الذهب والفضة والجوهر حتى ان الرجل منهم اذا ضلعت دابته وجد فيه
 حافرها مسمارا من ذهب او فضة او حصيات من جوهر وهذا شيء لم يسمع
 بمثله * وفتح اشبيلية وقرمونة وشذونة ومورور واستجة وقرطبة وطليطلة
 وباجة واردة وسرقسطة واكثر بلاد الاندلس * ولما سمع موسى بن
 نصير بهذا الفتح احب ان يكون شريكا معه فستخلف ابنه عبد الله على
 افريقية وشخص بنفسه وذلك في سنة ثلث وتسعين وكان في عشرة آلاف
 فارس * فسار على غير الطريق التي سلك عليها طارق وفتح في طريقه
 عدة مدن اخر * وغزا موسى من طليطلة الى الجلالة فطلبوا الامان من
 موسى وسار على سرقسطة مسيرة عشرين يوما وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة
 شهر * وكانت اقامته بالاندلس عشرين شهرا وخرج عن الاندلس

وتقدم إلى الوليد كذب يقول فيه - يا أمير المؤمنين إنهم المحشرون وليس
بالفتح - وأقبل بمائة عجلة وثلاثين عجلة مملوءة بالذهب والفضة والبلور
وعائث لا يعلم قيمته إلا الله ومن ابتاع المملوك والأسرى ما يقرب من
ثمانين ألف أسير وأمة أئمة التي كانت لسليمان بن داود عليه السلام وأق
أفريقية سنة أربع وتسعين واستخلف ذلك عبد الله على أفريقية وعلى
الاندلس وذلك عبد العزيز * وأقبل يجر الدفيل خلفه ووصل إلى مصر
سنة خمس وتسعين ورحل إلى الشام فوجد الوليد في شكائته التي ماتت
فيها * وبعث إليه سليمان أخوه بمصر أن لا يدخل في أيام الوليد
لأنه كان ولي العهد فخالفه موسى وحل دمشق والوليد في مرضه فلما
ولي سليمان الخلافة خلفه على موسى بن نصير ومصادره بمائتي ألف دينار *
وحج سليمان ومعه موسى فمات في تلك السنة بعد ما طلب في مصادره
في أحياء العرب وقضى حكره حتى أن خدومه هم بالهروب عنه لما فلق
منه فلما رأى موسى ذلك دعا الله أن يقبضه فاصبح ميتاً رجسته الله
تعالى عليه وكان معجب الدعوة فسبحان المعز المذل بعد ما ملك ما لم
يملكه غيره وحز نصف المعنور من الدنيا لم يمت حتى احتاج إلى السؤال
في أقرب مدة ومات في مصادره رجسته الله عليه * وأنما اطلت الكلام
هنا لأن غالب أهل بلدنا ليس لهم اعتناء بالخبر فدا نظر أحد في هذه
الأوراق علم أن أفريقية لها صيت في كل زمان * وأن هذه البلاد كلها
فتحت على يد عمل أفريقية * وكانت دار الأمانة بالقيروان * ومنها
فتحت صقلية أيضاً في آخر المائة الثالثة كما سيأتي أن شاء الله تعالى *
وموسى بن نصير هذا من التابعين يروي عن تميم الداري رضي الله تعالى
عنه * وكان مقلداً كريد شجاعاً لم يهرم له جيش قط ذكره ابن خلكان
وأثنى عليه بزيادة ثأله * ونقل عن الليث بن سعد أنه قال بلغ الخمس
ستين ألف رأس في غزوة أفريقية على يد موسى بن نصير وأنه وجه ذلك
عبد الله فائة بمائة ألف رأس من السببا ووجه ذلك مروان إلى ناحية أخرى

فاته بمثلها * وقسمال الصدي ثم يسمع ممثل ساي موسى بن نصير في
 الاسلام واستصحب عدد هدمه الى الوليد سبعة وعشرين فاحا مكلت بالدر
 والباوت تيجن ملوك الاندلس اليوناني ومن الرقيق ثلاثون الف رأس
 وقيل ان الوليد بن عبد الملك هو الذي نغم طبعه واقامه في الشمس
 يوم كاملا حتى خر مغشيا عليه * والاصح انه صادره سليمان بن عبد الملك
 وحج معه في سنة تسع وتسعين وقيل سبع وتسعين ومات في الطريق بوادي
 القوي والله اعلم ذكره المسعودي وابن خلكان وغالب المرحون بابسيط
 من هذا * وكانت ولايته بفرقيته ست عشرة سنة ومات ولم من
 العمر ثلث وسبعون سنة * وتاسست ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة
 سنة ست وتسعين عزل عبد العزيز بن موسى بن نصير عن الاندلس *
 وقيل عبد العزيز هذا كان احا موسى بن نصير * وبسعت اليه الشيخ
 ابن مالك * وكانت ولايته عبد العزيز على الاندلس سنة * وبسعت
 الى افرقيته عبد الله بن كرز واقام بفرقيته الى ايام امير المؤمنين عمر بن
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه * وعبد الله بن كرز هذا هو القائل كنت
 عامل افرقيته في ايام عمر بن عبد العزيز فشكوت اليه الهوام والعقارب
 التي بافرقيته فكسب الي وم علي احدكم اذا امسى ان يقول - وما لك
 الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولمصبرون على ما ءاديتمونا وعلى الله فليتوكل
 المتوكلون - قسنت وعلى رأس المائة الاولى دانت له جميع افرقيته من
 برقة الى السوس الاقصى ولم يبق بعد قائمة للنصري واببرو الذين هم *
 فسمتهم من دخل في الاسلام ومنهم من ضربت عليهم الجزية * وكانت
 بها عدة قرى عامرة بالكفر الى بعد المائة الرابعة * وكانت لاسقفه
 ثاني من الاسكندرية من قبل البترس الذي بها الى نصري افرقيته
 والآن طهر الله تعالى هذه البلاد من دنس الشرك والله الحمد * وكانت
 الولاية في الرستن الاول سكنتهم الفيروان ويعلمون بعنائهم الى اقصى المغرب *
 وفي ايام عمر بن عبد العزيز عزل عبد الله بن كرز الذي كان عاملا

اسليمان بن عبد الملك وبعث الى الاندلس حذيفته بن الاخصوص *
 وبعث لافريقية محمد بن زيد الانصاري فقدم بها الى ولاية يزيد بن عبد
 الملك بن مروان * فعزله يزيد بن عبد الملك بن مروان وبعث الى
 افريقية يزيد بن ابي مسلم الذي حكان وزير الحجاج بن يوسف الثقفي
 وكان سجنه سليمان بن عبد الملك بن مروان وبني في السجن ايام سليمان
 وایم عمر بن عبد العزيز فلما استخلف يزيد بن عبد الملك اطلقه من السجن
 وبعثه الى افريقية والى عليه فلما قدم افريقية واجتمع بمحمد بن يزيد
 الانصاري قال له يزيد الحمد لله الذي مكني منك والله لو حمل القضاة
 بيني وبينك لسبقته اليك * وقيل كان بينك عنقود عن العنب وانه قال
 والله لو سبقني ملك الموت عن اكل هذا العنقود لسبقته اليك واعر بتقييدك
 وحطه في الطع فيمناهم في المحبوبة اذ اقيمت صلاة المغرب فقدم يريد ليصلي
 بالناس فلما سمع طعنه راحل فقتله واشهر الى محمد بن يزيد ان سر به
 امن الله قال محمد عسرت وا - متعجب من صنع الله ذكره ابن حلكن باسط
 من هذا * وذكره صاحب الفرج بعد الشدة * وقيل سبب قتل يزيد
 ابن ابي مسلم انه اراد ان يسير في الناس بسيرة الحجاج فدموا عليه حتى
 قتلوه * وقيل ان الذي قتلوه من الخوارج * وقيل ان اهل افريقية
 كتبوا الى امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك - ان لم نخاع لك طاعتنا
 عاملك سرفينا بالجوهر فقتله - فرد عليهم محمد بن يزيد الانصاري وصرفه
 ببشر بن صفوان الكلبي * وبعث الى الاندلس عقبته بن الحجاج واقام
 ببشر بن صفوان الكلبي بافريقية الى سنة خمس ومائة * فقتل من افريقية
 بهدية عظيمة الى يزيد بن عبد الملك فبلغه في الطريق وفاة يزيد فقبل
 بهديته الى هشام بن عبد الملك فودعه الى عمله بافريقية فلم يرل بها الى
 ان مات في سنة تسع ومائة * واستخلف ببشر بن افريقية ابي قرط
 الكلبي فعاش بها * ولمس بلغ خبره الى هشام فزله وراى مكانه عبيدة بن
 عبد الرحمن القيسي وذلك في شهر ربيع الثاني وثمان مائة فقدم عبيدة الى

افريقية بعث المستنير بن الحارث غازيا الى صقلية فاصابهم ريح فاعرقتهم
وسلم المركب الذي به المستنير والقثم الريح الى طرابلس * فكتب
عيدة الى عامله بطرابلس يمره بامساك المستنير وان يشد وثاقه ويرسله
اليه ففعل به ذلك وارسله الى القيروان فلما وصل الى صيدة جعله وطيف
به في القيروان والنداء في السجون * وانما انتقم من المستنير لانه اقام بدم
الروم حتى دخل الشتاء واشتدت عليه امواج البحر حتى طبخت المراكب
ولم يزل محبوسا الى ولاية عيد الله بن الحجاب مطلقا ابن الحجاب
وبعشه الى تونس كما مر في اول الكتب وسيأتي بقية خبره ان شاء الله *
فقلت وهذا ينبغي ما تقدم من ان عيد الله بن الحجاب هو الذي
بنى دار الصناعة بتونس ودار الصناعة صخرة من المكن الذي ينسب به
المراكب لان المراكب غزت من بحر تونس من قبل ان ينزل عليها ابن
الحجاب برس طويل - ويوجد قول من قال ان الذي بنى دار الصناعة
هو حسن بن النعمان او تن قال ان موسى بن نصرة هو اول من فرغ في
بحر تونس اميرة * وابن الشماخ صرح على ان الباني لدار الصناعة عيد
الله بن الحجاب والعقل والنقل يشهدان بحلالي ذلك والله اعلم وسياتي
بمزيد اصحاح * وام يزل عيدة بن عبد الرحمن الفيسي الى سنة عشر ومائة
فقل الى المشرق وقدم على هشام بن افرقية ومعه هدايا كثيرة * وكان في
ما قدم به من العبيد والاماء والحواري المتكبرة سبع مائة جارية وغير ذلك
من الخصيان والخيول والدواب والاقاني من الفضة والذهب فقدم على هشام
بهداية واستغفاه فاعفاه * وكان خلق على افرقية عقبة بن قدامة التجيبي
الخبر عن ولاية ابن الحجاب

فكتب هشام الى عيد الله بن الحجاب وكان عامله على مصر فامره
بالسير الى افريقية وولاية ايمها وذلك في ربيع الاخير سنة عشر ومائة
فستخلى ولك على مصر وقدم الى افريقية فاستخرج المستنير من السجن
وولاية تونس * وبسعت حبيب بن ابي عيدة بن عثمة بن نافع الى

السوم وارض السودان فغنم منهما لم ير مثله واصاب ذهباً كثيراً وكان في ما
 اصاب جريس من حسن تسميه اسربوا جرس لس لئلا واحدة منهم الا
 ندي واحد * ووجه خالد بن ابن حبيب الفهري الى الربر بطنجة
 ومعه وحوه اهل افريقية من فريس ومن الانصار فقتل خالد ورس معه ولم
 ينج منهم احد فسمت غزوة الانصار وقل عبيد الله بن الحبحاب الى هشام
 في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة ذكره صاحب كتاب الاكتفاء ابن
 الكرديس * ونقل ابن السكيت ان عبيد الله بن الحبحاب ارسل حبيب
 ابن ابي عبيدة في الكرخ عزيا الى صقلية في سنة اثنين وعشرين ومائة
 فظفر ظفرا لم ير مثله ونزل على سرقوسة وهي اعظم مدنها مصقلية فقاتلهم
 وقائلوه حتى ضرب بابهم بالسيف فاثار فيه فذهب المصري فاذموا بداه
 الجربة فاخذها منهم ورجع سار الى عبيد الله بن الحبحاب * وكتب ابن
 الحبحاب رئيسا نبيلا واميرا حليلا وكان بليغا حافظا لايام العرب وهو الذي
 بنى الجامع بتونس ودار الصلعة سنة اربع عشرة ومائة كما تقدم كذا نقل
 ابن المشط وذكر عن غيره ان ولايته كانت سنة ست عشرة ومائة وقل
 الى المشرق في جمادى الاولى سنة ثلث وعشرين ومائة والله اعلم *

الخبر عن ولاية كلثم بن عيص القيسي

قال صاحب الاكتفاء وفي جمادى الثانية من سنة ثلث وعشرين ومائة وحده هشام
 ابن عبد الملك كلثم بن عيص القيسي الى افريقية فلم يقدح عرا الى طنجة
 فقتله البربر هلك ولم يذكر وفاته ولم يذكر ذلك اجالا لا تفصيلا ولم اطاع
 على خيرة في غيره ولعل صاحب تاريخ القروان ذكره باسط عن هذا واني
 مشرق الى رواية هذا التاريخ ولم يصل به وعل ما ذكرته في هذا
 المجموع هو موجود في تاريخ القروان بزيادة ايضاح وما جمعت هذا القدر
 اليسر الا من غيره ولي العذر فيما جمعت من تشتت السال وترادف المحن
 والاهوال ومن ضيق الوقت وكثرة المقت وقلته لا اطلاع وقصر الداع وقلته
 لمستند وكثرة الدقد والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله *

الخمر عن ولاية حطالة بن صموان

قال بن الكردبوس ولا سمع هشام بن عبد الملك بوجهة كتالوس من
عيسر ارسل الى افرقيته حطالة بن صموان في عشرين سنة اربع وعشرين
ومائة وقدم بها الى ايام مروان بن محمد * وفي ايام هشام بن عبد الملك
عزل عقبة بن الحجج عن لاندلس وولى مكانه الحسن بن صرار الكلبي
وقدم والي بلاندلس تسعة ايام وهو الذي جوز اليها من اهل الشام عشرة
في الالف رجل وهم بهم ابن يفرن الزباني اذ كان قم بها عليه فظفر به
وصلبه وصلب عن يمينه كلب وعن يساره خنزيرا وخلفه قردا وامامه دبا
واسكن اهل دمشق البيرة واهل فلسطين شذونة واهل الاردن وسقة واهل
قنسرين حبان واهل مصر بجه واهل حص اشلية وبهم سميت اشيلية حص
ومات بها في ايام هشام فولى عوصه الهيثم بن الكلبي وما ذكرت هك النبذة
ثلاثا لابن ان لاندلس كانت من تحت ايدي ولاية افرقيته ومنه فتحت
والزيرة لا فرقيته عما سواها من بلاد المغرب وكل بلد بالمغرب كانت تحت
ايدي البلاد لا فرقيته ولم تزل الولاية تنرد اليها من ايام الفتح من قبل
الخلفاء الامويين الى ايام هشام بن عبد الملك * ولم توفي هشام سنة خمس
وعشرين ومائة في ربيع الاخر وكانت خلافة تسع عشرة سنة وسبعة اشهر
وعشرة ايام قام بلامر بعلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي
مت هشام فيه * وكان يحب اللهو والصيد واطهر الملامى وانهك في
شرب الخمر وجهه بالكأثر وعم الخمر في ايامه حتى كاد يقتل فيم جبهه وبنى
أمية ومثاله مذكورة في شر ما موضع وقم عليه يحيى بن زيد بن علي بن
الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم فبعث اليه الوليد جيشا
فقتل يحيى في تلك الحروب وجيء برأسه الى الوليد وصلت جثة زيد
ولم يرل مصلوب الى ايام ابي سلم * والوليد هو الذي قرأ في المصحف قوله
تعالى - واستفتحوا وخب كل جبار متيد - فنصبه غرضا للشباب وجعل يقول
تهددني بجبار عبيتي - فيها انما ذاك جبار عبيد

إذا رجت ربك يوم حشر صقل يا رب مؤمني الوليد
فلم نطل أيامه حتى عاقله القدر وقم عليه ابن عمه يزيد بن الوليد
فلم يترك له عينا ولا انرا وقطع راسه وحمله الى دمشق وكانت خلافته
سنة وشهرين وقام بالامر بعد الوليد المذكور ابن عمه يريسد *

الخبر عن خلافة يزيد بن الوليد

ابن عبد الملك بن مروان

بسويح بعد موت ابن عمه الوليد في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين
ومائة ويسمى يزيد النقص * وقسم عليه مروان بن محمد بن مروان بن
الحكم عصباء فعمله يزيد بالوليد * ولما دخل دمشق فر يزيد فظفر
به مروان بن محمد فقتله وصلبه وكانت خلافته ستة اشهر * وقسم
بالامر بعك اخوه ابراهيم *

الخبر عن خلافة ابراهيم بن الوليد

ابن عبد الملك بن مروان

بسويح في اليوم الذي مات فيه اخوه يزيد فلم نطل أيامه ولم يكن
له في دولته اقبال فكانوا ثائرة يسمونه بسامير المؤمنين وثارة بالامير فخط
وقام عليه مروان بن محمد وسار اليه في سبعين الف * وبعث ابراهيم اليه
سليمان بن هشام في مائة الف فقتلوا بغوطة دمشق فظهر عليهم مروان
وقتل منهم خلقا كثيرا ودخل دمشق * وحلح ابراهيم نفسه وكانت
خلافته شهرين وبعد شهرين من حله قتل مروان بن محمد واستقل
بالامر بعك *

الخبر عن خلافة مروان بن محمد بن مروان بن

الحكم ابن اخي عبد الملك بن مروان

بسويح في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ولقبه مروان الحمر ومروان
الجعدي * ولما ولي الخلافة نبش قبر الوليد واخرجه وصلبه وعزل مبد
الملك بن قطن عن لادلس وقدم عليها ثوابته بن نعيم الانصاري فقام

واليا بالاندلس اربع سنين الى ان ظهرت الدولة العباسية فبثى الامر بالاندلس سدى واتفق وايهم على ان يقدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري فاقام واليا عشر سنين الى ان دخل اليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان كما سيأتي ان شاء الله * ولما خرج الى ذكر مروان الجعدي * وفي ايام خلافته خالفت عليه حصن ففتحها وهدم سورها ولم يزل في تشييت من امره واضطراب النواحي وهو في ذلك يقيم الحج الى سنة ثلثين ومائة وقام ابو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس سنة تسع وعشرين ومائة * وكانت حروب كثيرة بينهم وفر مروان بن محمد وقبعه جيش بني العباس الى قرية من قرى الصعيد يقال لها - ابو صير - سنة اثنتين وثلثين ومائة * وكانت خلافته خمس سنين وعشرة اشهر وبه انقضت دولة بني امية من المشرق وظهرت دولة بني العباس * وكانت ايام بني امية الف شهر * ولما دانت لبني العباس بلاد المشرق قتلوا من وجدة من بني امية الا من استخفى منهم او من كان دخل الى بلاد المغرب * ومن الذين دخلوا المغرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم دخل بلاد الاندلس سنة تسع وثلثين ومائة فوجد احوال الاندلس غير مجتمعة ولم تصل اليهم ولاية من قبل الخليفة والناس فرق بين هاشم وامية فاجتمع الى عبد الرحمن كل من كان في بطنه حرارة او موجدة عن يوسف بن عمر الفهري فانضاف الى عبد الرحمن وقاسى به عبد الرحمن خطوباً * ولما بها وقائع مشهورة الى ان دانت له البلاد * وقام الفهري وهزمه وقتله وملك مدينته قرطبة ودانت له البلاد وبقي ملك ثلثا وثلثين سنة وثداولتها بنوه من بعده ولم يخطب احد منهم لبني العباس ولم يدخل تحت طاعتهم الى ايام عبد الرحمن الذي تلقب بالناصر لدين الله وتسمى بامير المؤمنين - لما ظهرت بنو عبيدة في افرقيّة ونسوا بامير المؤمنين تسمى عبد الرحمن بامير المؤمنين * وقسيل ان من تقدمه من اباائه

كان يحطب لبني العباس وعد الرجن هذا الذي تلقب بالناصر هو ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي توفي سنة خمسين وثلاثمائة * وكانت أمارته خمسين سنة ونصف سنة وعمره ثلث وسبعون سنة * ولمّا مضت من أمارته سبع وعشرون سنة ورأى ضعف الخلافة بالعراق وظهور العلويين بأفريقية فسمى بأمير المؤمنين * وتولى بعد ابنه المحكم وتلقب بالناصر وتوفي سنة ست وستين وكانت أمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وعمره ثلث وستون سنة وسبعة أشهر * وعهد له ولك هشام وعمره عشرة أعوام وتلقب بالمريد وهو الذي حبه محمد بن عبد الله بن أبي عامر الملقب بالناصر واستحكم على امر المريد هشام وأمر إليه الجند ولم يبق للمريد إلا الخطبة والسكة فدانت له ملوك الشرك وأنزلهم من صياصيتهم وحكم على ملوكهم وجعلهم عمالا له ودخلوا في طاعته * وكان حرم عاقلا وأكثر العزوات في بلاد الكفرة حتى أذلهم الله على يده وجعلهم ينقلون التراب من أقصى بلادهم إلى قرطبة وبني به الجامع وفعل بهم ما لم يفعل غيرهم ممن تقدمه وكان يقدل في حقه أنجب مولود ولد في الأسلام * ونقله في خزائن بيت المال وجعله تحت يده وكان خراج كاندلس حصوي زمن عبد الرحمن الناصر فبلغ خمسة آلاف ألف دينار فكان يجعل ثلثه في بيت المال والثلث للمجدد والثلث الباقي لبنائه وصلاته للشعراء والعلماء وغير ذلك * ومما اطلت في هذا الفصل إلا تكون الأندلسية أصل أصحاب من هذه البلاد ومنبت بناء الحكاية ليتصل بعضها ببعض وربما لم يخل هذا الموضع من فائدة وإن كانت في غير هذا أبسط من هذا وليعلم الراجع على هذه النبهة أن أفريقية لها الشرف السابق بين بلاد المغرب لأن الأندلسية فتحت منها في زمن الجاهلية وفي زمن الأسلام وكذلك الصقلية فتحت منها * وكانت مملوكة من تحت عمال أفريقية مدين من الأعوام * وكانت دار ملك بني الأغالبة القيروان

ثم قامت بها بنو عسيد الفواطم ثم تمكنت عليهم ملوك صنهاجة * وكان
لهم صخامة ملك وهم عمال للفواطم عندما دخلوا إلى بلاد المشرق * وكان
حكم بني الأغلب ومن كان قبلهم من الأمراء ومن كان بعدهم من صنهاجة
إلى حد السوس من بلاد المغرب إلا ما خرج عن أيدي بني الأغلب عند
تمكن الإدارة من بلاد المغرب * وكان أولهم إدريس بن عبد الله بن
حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذلك بعد
المسعين والمائة في أيام المهدي أمير المؤمنين العباسي وإدريس بن إدريس
هذا هو الذي بنى مدينة فاس * وبسقية أخبارهم تأتي بعد أن شاء الله
تعالى من ذكر الخلفاء الذين كانوا بالمغرب وملوك لموتهم وبني عبد المؤمن
الذين يقال لهم دولة الموحدين لكي يرتبط النظام بدولته بني حفص ومن
بعدهم أن شاء الله من الأمراء الذين كان أسلافهم بتونس وكيف تسقل
الامر من حال إلى حال والله هو المتصرف في البلاد والعبد لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون * ولما آل بنا الغرض إلى هنا نذكر الآن من دخل
أفريقية من أمراء بني العباس ونسود أسماءهم على الولاة من غير أنطب إلى
ما تمس الحاجة بنا إليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل *

ذكر الولاة من قبل العباسية

ولما كان قيام بني العباس بالمشرق وتشتت جمع بني أمية
وكثرت الفتن بفرققة واشتغل بنو العباس بتمهيد البلاد في المشرق
وهاجت فتن الخوارج بالمغرب قام أبو الخطاب رأس الخوارج بفرققة وكثر
هرهم واشتدت شوكتهم فارسل أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث بن
مقبلة الخزازي سنة أربع وأربعين * وقسم إلى ابن نبانة الذي
بعث محمد بن الأشعث أمير المؤمنين عبد الله السفاح سنة ثلث وثلثين
ومائة والقول الأول أصح * فحارب الخوارج وقتل أبا الخطاب وشرذ
الصلبية وبهدهم وبني سور القيروان من الطوب سبعة عشر أذرع
وذلك في ربيع الأول من السنة المذكورة وكمل في رجب الفرد لأصب

سنة ست وأربعين وهو أول قائد للسودة * والسودة كناية لبني العباس
لأن شعارهم السواد وكانوا يلبسون السواد وكانت أعلامهم سودا وشعارهم
سودا لأنهم خرجوا طالبين لدم الحسين وزيد رضي الله تعالى عنهما فجعلوا
شعارهم السواد * فمنهم عمر بن حفص بن واد قبيصة بن أبي
صفرة أخو الهذيل بن أبي صفرة المشهور لنبهته ذكوة ولقبه هزاهم
معناه ألف رجل بالفارسية لغة فارس وما لقب بهذا إلا لشجاعته كان
يقوم مقام ألف فارس في الحرب * وكان بطلا شجاعا أولاه المنصور أمير
المؤمنين واسمه عبد الله المنصور أخو أمير المؤمنين عبد الله السفاح ولي الخلافة
سنة ست وأربعين ومائة وكنيته أبو جعفر وكان مقدما عمر بن حفص
وأولاده ولأيات منهم البصرة والسند وغيرهم وسيرة إلى إفريقية سنة إحدى
وأربعين ومائة ومعه خمسة آلاف فارس واجتمع إليه وحوه أهل القيروان فواصلهم
وأحسن إليهم وأقام الأمور المستقيمة ثلاث سنين وأشهر ثم سر إلى الراب
وبنى مدينته طنبجة وذلك بعد أن ورد عليه كتاب المنصور وقتله الخوارج
بإفريقية * ومنهم الأمير يزيد بن حاتم بن أبي قبيصة بن الهذيل بن
أبي صفرة دخل إفريقية سنة خمس وخمسين ومائة من قبل المنصور وكان
معه خمسون ألفا من العسكر فقتل الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص
المتقدم ذكوة ومهد البلاد ودانت له العصاة ودخل القيروان لعشر بقين
من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ورتب أمر القيروان وجعل كل صناعة
في مكانها وكان جوادا مشهورا * وحسبى منه سخنون أنه كان يقول
والله الذي لا اله إلا هو ما هبت شيئا قط كهيبة رجل واحد يزعم أنني ظلمته
وأنا أعلم أنه لا راحم له إلا الله يقول بيغي وبينك الله * وهضم جامع
القيروان ما عدا الحراب وبناه واشترى العمود الأخضر بمال جزيل *
وكان جوادا سريعا يعد من الكرماء * ولما رحل عن العراق كان في
صحته يزيد السلمي عامل مصر فكان يزيد بن حاتم يفتق على الجيشين من
عنه وهذا غاية الكرم * وقصصك جماعة من الشراء فأحسن إليهم وقصصك

سروان بن ابي حفصة الشاعر فافشك هذين البيتين -
 اليك قصرنا النصف من صلواتنا مسيرة شهر ثم شهر نوملسه
 فلا نحن نحصى ان يخيب رجأونا لنديكث ولكن اهد البرء حلسه
 فسامر للمجد بطلاياهم وقال من احبني يعطي هذا الشعر درهما
 فحصل له خمسون الف درهم وزاده من مثلك حسين الد مرجع الشاعر
 بمائة الف درهم في بيتين * قلت انظر ايها المتامل في نفاذ سرق
 الادب في ذلك العصر وقلته نفاده في زماننا هذا حتى ان الشاعر في هذا
 الزمان ربما جهد جهك في مدح انسان ويود ان يحصل له من الممدوح
 السماع فضلا عن المجاورة فلا يحصل على شيء وكفى بمن يبخل بسبعه والامر
 لله وكانت ولاية يزيد خمس عشرة سنة ومات بالقيروان سنة سبعين
 واستخلف ذلك من بعك فعزله امير المؤمنين هرون ارشيد باخيه
 روح بن حاتم رحم الله تعالى الجميع * والامير روح بن حاتم بن
 قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي اخو يزيد بن حاتم المقدم
 ذكره كان عالي الهممة ولي الولايات الكبار خمسة من الخلفاء - الساج
 - والنصور - والمهدي - واليهدي - والرشيد - ودخل افرقيته سنة
 احدى وسبعين بعد موت اخيه يزيد واقام بها اربع سنين * ومن
 لا تنافى الغريب انه كان واليا على السند واخوه يزيد على العرب فلما مات
 اخوه يزيد كان الناس يقولون ما بعد قري هذين الاخوين احدهما
 بافرقيته والاخر بالسند فاتفق ان الرشيد عوله عن ولاية السند ويثبته
 بافرقيته فمات بها في شهر رمضان سنة اربع وسبعين وصية ودفن مع اخيه
 في قبر واحد والله عاقبة الامور * وفي ايامه ظهرت دولة الادارة بالمغرب
 وبسويح الامام ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن
 ابي طالب بمدينة ويلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين
 وسبعين ومائة واستفحل امره بتلك البلاد وسياتي بقية من خبره ان
 شاء الله تعالى * ومنهم من لاير هزيمة بن اعين الهاشمي ولاية امير

المومنين هارون الرشيد افریقیة سنة تسع وسبعين وقدم الى افریقیة يوم
الخميس لثلاث خلون من ربيع الاخير من السنة المذكورة واقام بها الى
سنة ثمانين * وفيها سما بني بلد المنستير قاله ابن خلكن * ونقل ابن
الشباط انه بنى القصر الكبير بالمنستير سنة ثمانين على يد زكرياء بن
قادم * وبني سور مدينة طرابلس واس الناس في ايامه * وقفل الى
المشرق في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة بعد ما كتب الى الرشيد
يستغفیه عن الولاية لما رآه من الخلف فاعفاه الرشيد * وكتب اليه
بالقدم الى المشرق وعاش الى ايام امير المومنين المأمون وكان يعتمد عليه
في الامور العظم * وفي سنة مائتين حقد عليه وجسه ثم ارسل اليه من
قتله في السجن رحمه الله * وكان من اكبر قواد المأمون ممن عاصد
طهر الحسين في محاربة الامين * ومنهم ابراهيم بن الاعلب كان
سنة اربع وثمانين ومائة من قبل هارون الرشيد وقيل خمس وثمانين وهو
الذي بنى مدينة القصر على ثلثة اميال من القيروان * وهدم دار الامارة
التي كانت بالقيروان قبلي الجمع وانتقل الى القصر وجعله دار الامارة
وعمرت باراته مدينة القصر وصار بها اسواق وجامعات وفنادق وجامع
وذلك في سنة اربع وثمانين ومائة ومات سنة خمس وثمانين ومائة *
ومنهم زيادة الله بن ابراهيم بن الاعلب استقل بالامر في سنة احدى
ومائتين واقام في الولاية الى سنة ثلث وعشرين ومائتين * وقسم عليه
منصور الطنبذي وحاصره اثني عشرة سنة وسببه اهل القيروان في الجور
والاخر الامر انتصر على الطنبذي وهرمه * وكان الطنبذي قدم مع جماعة
من الجند وملك مدينة القيروان وافریقیة وكانت بينهما واقعات وفي اخر
الامر انهزم منصور الطنبذي وفتح الله عز وجل لزيادة الله وعد اليه ملك
افریقیة وهو الذي سور مدينة القيروان وحضر الجامع بهما وانفق عليه
سنة وثمانين الف دينار بعد ما هدمه ما عدا الحراب ايض وبني سور
مدينة سوسة * وفي ايامه بعث الى صقلية احمد بن الفرات وكنى

قاضيهم بالقيروان ومعه من الجيش نحو عشرة آلاف فركب البحر من سوسة
وسار إلى صقلية والتقى بصاحبها بلاطه * ونقش اسم الله على
مائة ألف وخمسين ألفاً فهزم الله الكفار وفتحهم وهدموا
شملهم واستفتحوا من صقلية مواضع كثيرة * وفوق أسد بن الفرات وهو
محاصر لسرقوسة في ربيع الآخر سنة ثلث عشرة ومائتين ودمر * ذلك
وسكنها المسلمون واستوطنوها ما شاء الله وتداولت عليها الولاة من قبل
القيروانيين وكان محمد بن عبد الله بن الأغلب والياً على صقلية سنة ثمان عشرة
ومائتين ومات سنة سبع وثلاثين وفتح فيها فتوحات عظيمة وكان مقامه
في بلبيس لم يخرج منها وأمسك سراً ومدة امره تسع عشرة سنة
في أن أحدها منهم العدو وذلك بعد الأربعين وحسماته وسياني بقية
خبرهم فيما بعد أن شاء الله * وبسوفي زيادة الله سنة ثلث وعشرين
ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم أبو عقاب وأسمه الأغلب بن إبراهيم
أبى الأغلب أخو زيادة الله المتقدم ذكره وبسوفي أبو عقاب سنة ست
وعشرين ومائتين رحمة الله عليه * ومنهم أبو العباس أحمد بن إبراهيم
وكان في زمانه سجنون بن سعيد وفي أيامه منع سجنون أهل الأهواء
من المسجد الجامع وكانوا قبل ذلك يجتمعون فيه ويظهرون مذاهبهم مثل
الأباصية والصوفية والمعتزلة فمعه سجنون من الاجتماع * وكان عامله
بصقلية ابن عمر محمد بن عبد الله بن الأغلب المتقدم ذكره ومات بها
سنة سبع وثلاثين ومائة * وبسوفي بعك العباس بن الفضل بن يعقوب بن
فزارة وسياني بعد أن شاء الله تعالى * ومنهم محمد بن إبراهيم بن
محمد بن الأغلب وكان في سنة أربعين ومائتين * وفي أيامه عصى أهل
تونس عليه فعاد عليهم وسبى منهم خلقاً كثيراً وله واقعة مشهورة مع الكرام
سجنون في رد المسبيات ومع بعض أمرائه من التصرف فيهم واستخرجهم
من دارة * وبسوسة تلامير محمد بن سجنون في ردهم فاقسم لا
يردهم ما دام قاضيها إلا أن يرفع يده عن القضاة سوى عندهم الله الجميع

وسمى ايامه فتح العباس بن الفضل بن يعقوب بن قرارة مدينته بانته من
صقلية وبنى بها مسجدا وصلى فيه الجمعة وهي دار الملك عندهم وكان
الملك قبل ذلك يسكن سوقوسة ونوفي بها سنة سبع واربعين ومائتين وتولى
بعك ذلك عبد الله بن العباس اميرا على الجزيرة * ومنهم ابراهيم بن
محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام بالامر بعد ابيه ومات في سنة تسع واربعين
ومائتين * ومنهم زيادة الله بن محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام
بالامر بعد اخيه وكانت ولايته عاما وستة اشهر وتوفي سنة احدى
وخسين ومائتين * ومنهم ابن اخيه ابو عبد الله محمد بن احمد
ابن محمد بن ابراهيم بن الاغلب تولى بعد عمه زيادة الله سنة احدى
وخسين ومائتين في جادى الاولى وكانت امرته شرسين وخسنة
اشهر ومات سنة احدى وستين ومائتين * وكان عامله على صقلية
خفاجة بن سفيان ارسله من افرريقية فعوا فيها عدة غزوات وفتح قنوص
عظيمة ولم يرل به الى ان اغتاله رجل من عسكرة فقتله وفر الى العدو
واقام الناس ابنه محمد بن خفاجة وارسل اليه الامير محمد فاقرة على عمله ولم
يرل الى سنة سبع وخسين ومائتين فقتله خدمه الخصميان واستعمل بعك
الامير محمد الاعلى على الجزيرة احمد بن يعقوب * ومنهم كاسمير محمد
سنة احدى وستين ومائتين * ومنهم كاسمير احمد بن محمد بن احمد
ابن محمد بن ابراهيم بن الاغلب قام بالامر بعد ابيه وهو الذي بنى ماجيل
القيروان وجامع تونس وله واقعة مشهورة * ومنهم الامير ابراهيم بن احمد
بن محمد الذي بنى مدينة رقادة وانتقل اليها وابندا بها سنة ثلث وستين
ومائتين فكملة سنة اربع وستين وسكنها واتخذها دارا ملكه * وكان
يكثرا لاقمة بتونس وكان ذا فطنة عظيمة وصاحب معروف وطالت عدته
وكانت ولايته سنة احدى وستين ومائتين وبعث الى صقلية الحسن بن
العباس تاعلا عليها فبعث الحسن سرايا وفتح عدة امكن مشهورة ودانت
ثم البلاد واصلح حالها في ايامه وانتقل من افرريقية الى صقلية بعد ما

استخلف والده ابا العباس احمد وحده في الله حق جهنمة * وفستج
الفتوحات العظيمة وتوفي بالدرب وحل الى القيروان سنة تسع وثمانين
ومائتين وصادق بجميع ماله رحمة الله تعالى عليه * وحكمت امارته
ثماني وعشرين سنة * وفي ايامه ظهر ابو عبد الله الشيعي فارض كرامة
يدعو الى آل البيت وسباني بقيته خيرة * ومنهم الامير ابو العباس
احمد بن ابراهيم بن احمد المتقدم ذكره استخلفه ابوه في افريقية بعد مسيره
الى صقلية واقام به بعد وفاة والده الى ان توفي سنة ثمان وثمانين
ومئتين وقام بالامر بعده ولك عبد الله بن احمد * ومنهم الامير عبد الله
ابن احمد بن ابراهيم بن احمد بن محمد وكان حسن السيرة كسر العدل مدح
معروف واحسان اشغل اليه الامر بعد ابيه سنة ثمان وثمانين وحكمت
اقامته بتونس وقيل سنة تسع وثمانين ومات بتونس سنة خمس وتسعين
مقتولا قتله ثلاثة من الصقلية بائنيق من ابنه زيادة الله لانه سحره من
شرب الخمر فاتفق معهم على قتل ابيه فقتلوه واحضروا راسه بين يدي
زيادة الله ولك وهو في السجن فلما نولي زيادة الله امر بقتلهم قتلوا وهو
الذي كان امر بذلك * ومنهم الامير زيادة الله بن عبد الله بن احمد
استقل بالامر بعد ابيه ولما لم ير الامر انعكف على لذاته ولازم المصحكين
واهدل احوال الرعية والمملكة وقتل من اعمامه واهل بيته من قدر عليه
وفي ايامه استفحل امر ابي عبد الله الشيعي القميم بدعوة الشاطبيين
بالمغرب * وارسل زيادة الله عسكريا مع ابن عمه ابراهيم وقادة اربعون الفا
فهزمهم ابو عبد الله الشيعي * ولما رأى زيادة الله هزيمة عسكره
وصعته عن مقاومتهم جمع ما قدر عليه من الاموال وخرج عن ملكه غارا الى
المشرق وذلك في خلافة المقدور بالله العباسي فوصل الى مصر وبها النوشي
عاملا عليه * فكتب الى المقدور يحضره بزيادة الله ثم سر زيادة الله الى
ان بلغ الرقة فوامه كتاب امير المؤمنين بالعود الى بلاده لقتل الشيعي
* يدعو سائل مصر ان يهلك به المحتاج اليه من المال والرجال * فوجه الى

مصر غماطه العامل بها وزيدة الله في انشاء ذلك متعسف على لذاته
واستماع الملهي وشرب الخمر فلما طال مقامه تفرق جمعه وفرت عنه اصحابه
وتناجعت به الامراض فتوجه الى بيت المقدس لقصد الاقامة بها فمات
بالرملية ودفن بها ولم يبق بالمغرب من بني الاعراب احد * وكسنت
مدة ملكهم مائة واثنى عشرة سنة تقريبا * فسبحان من لا يزول ملكه ولا
يفنى دوامه وتتصرف في العبد احكامه يفعل في ملكه ما يشاء وهو على كل
شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *

الكتاب الرابع في ذكر الدولة العبيدية

وابتداء امرهم والتأثم لاصلاح دولتهم

فالولهم ابو عبد الله الشيعي واسمه الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء
من اهل صنعاء وقيل من اهل الكوفة اخذ اسوار الدعوة عن ابن حوشب
وارسله الى المغرب فقدم الى مكة ايم الحج واجتمع بجمعة من المغاربة من
اهل كدمة وكان عددهم طرف من ذكر عالى البيت فجلس اليهم وتحدث معهم
وذكر لهم فصائل اهل البيت فانسوا به واعجبهم ومالوا اليه وسالوه عن قصص
فاظهر لهم انه يريد مصر لقصد التعليم فاستحسبوه معهم الى مصر * ولما كان
وحيلهم اخذ يودعهم وقد عز عليهم فراقه فسالوه الصلوة معهم الى بلادهم اذ
كان قصص التعليم والثواب فجابههم لما طلبوه وقفل معهم الى المغرب ولم يظهر
لهم مريضة وفي انشاء ذلك يسالهم من خبر بلادهم وصناعاتهم الى ان احاط بها
خبرة * ولما وصلوا الى بلادهم ننافسوا فيه وعدت تكون اقامته الى ان
كادت ان تكون بينهم فتنة * فعند ذلك سألهم عن خبر الاحبار ولم يكن
سألهم منه قبل ذلك فعجبوا منه وقال اذا جئناه نأبى كل قبيلة منكم في مكانها
فرضوا بذلك وكان اسمهم عندهم ابا عبد الله المشرقي وقدم المغرب منتصف
ربيع الاول سنة ثمانين ومائتين وانا البربر من كل مكان وذلك في زمن ابراهيم
بن احمد الاطري * فلما سمع به استصغر امره واحتقرة * ثم مضى ابو عبد
الله الى تيهرت فملكها وانشى وفود البربر من كل فجح ولا زال في زيادة من امره

الى ابيهم زيادة الله الاحول فبعث اليهم عدة الوى فجزمهم ابو عبد الله ولم
 راي زيادة الله اب عبد الله يتزايد امرة فر بهله وماله الى المشرق كذا تقدم
 ولما اتصل الخبر بابي عبد الله ان زيادة الله هرب وكفى اذ ذاك في بلد
 سببته رحل منها وقدم بين يديه عروبة بن يوسف بن ابي خنبر في
 الف فارس فرسلهم الى رقادة وامرهم ان لا يتعرضوا لاحد بمكرورة * فلما
 سمع اهل القيروان بذلك خرجوا الى ابي عبد الله وهتفوا بالفتح ودخل رقادة
 يوم السبت اول رجب سنة ثلث وتسعين ومائتين * ولما حضرته
 الجمعة كتب كتابا لخطيب رقادة وخطيب القيروان بما يقولان * ونقش
 على السكة من وجهه - بلغت حجة الله - وعلى الوجه الاخر - نشرقت اعداء
 الله - ولما استقام له الامر ومهد البلاد واجتمع باحبه ابي العباس استخلفه
 وخرج من رقادة في اول رمضان من سنة ست وتسعين وتوجه الى سجلماسة
 فحتر له المعرب وخافه زناتة وقبائل العرب والبربر المحاذون له فطلبوا منه
 امانا * ولك قرب سجلماسة سمع به اليسع بن مدرار وكان عاملا لبني الاغلب
 وكان زيادة الله كاتبه يخبره بخبر المهدي وعواد دأبت في بلك فبعث الى
 المهدي وسأله عن حاله فانسكر وكان وصل الى بلاده في زي الجسار
 فجنوز عنه ولما بلغه الخبر عن ابي عبد الله الشيعي اسكت المهدي وسجنه
 فلم يسمع ابو عبد الله بمسكته للمهدي كاتب اليسع ولطف اليه فلم
 يعر صه شيئا وخرج ابي اليسع فقتله ساعته من قنار وابنهزم فدخل ابو
 عبد الله البلد واستخرج المهدي وولاه من السجن وقرب اليهما مراكب
 رائعة فركبا ومشى ابو عبد الله ووجوه الثبائل بين يدي المهدي وابو عبد
 الله يبكي من الفرح ويقول هذا مولاي ومولاكم وانزل في قسطنط اعد له
 ورحل ابو عبد الله في طلب اليسع فطهر به وقتله بعد ما طيف في العسكر
 وحارب بالسيط واقدم المهدي في سجلماسة اربعين يوما ثم نهض الى
 افريقية وكان دحوله اليه في اريد من مئتي الف بين فارس وراجل *
 وكفى وصول المهدي الى رقادة يوم الخميس لعشر بقين من ربيع الاخر

سنة سبع وتسعين ومائتين ونزل بقصر من قصورها وفرق بإيها والسدور
على جميع الأجناد * وكتب إلى جميع البلاد فاحذ البيعة وأمر الخطباء أن
يذكروا اسمه على أسابر واستبد بالمرودون الدواوين وهو أول من تسمى
بمير المومنين * وفي هذه السنة زالت دولة بني مدرار من سجنه ماسته
الذين عا حرمهم اليسع بعد مائتين وستين سنة ودولته بني رستم من تيهوت
بعد ثلثين ومائة سنة ودولته بني الأعلب بعد مائة وأثني عشرة سنة والله
يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين *

الخبر عن خلافة الأمر المهدي

هو أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى
ابن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم نقله ابن خلكان
عن صاحب تاريخ القيروان وقال ابن خلكان وجدت في نسبه اختلافا *
قلت والناس مذاهب في نسبهم والله سبحانه وتعالى أعلم ومولده بسملية
وقيل ببغداد سنة مئتين ومائتين وأشتغل بالأمر سنة سبع وتسعين وكان
حلياً مهيباً حبيباً لكل من عارف بهيسية والتدبير للملكة ولما لم
الأمر بأمر الأمور بنفسه وبعث العمال وجبى الأموال واستعد على صقلية
أبا عبيد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء الشيعي * ولما استبد
بالأمر دخل أبا العباس الحسد وأخذ في تغيير قلوب أهل الدولة وظهر
الخبر والمهدي مسرلاً ذلك إلى أن فش بين الناس فتقدم المهدي على
أبي عبد الله وعلى أخيه أبي العباس فقتلها سنة ثمان وتسعين ومائتين *
وكان أبو عبد الله الشيعي يلبس الخشن من ثياب الصوف ويأكل الخشن
من الطعام ويظهر الزهد والورع وهو الذي بنى أسس بيت الفاطم في مملكة
المغرب وكان كالباحث من حقه بظلمه * واستقدم الأمر للمهدي وعهد
إلى ولده أبي القاسم محمد ونشأت الكتب عنه بولي عهد المسلمين وعصمت
عليه صقلية فبعث إليها أسطولا وفحمها وبعث إليها عاملاً من قبله *
وحالمت عليه طرابلس فبعث إليها جيشاً ففتحها وأمر أهلها بثمئة ألف

وإربعين ألف دينار * وفي سنة ثلثمائة خرج بنهسه إلى تونس وقرطاجنة
يرتاد لنفسه موضع يسعه لأن عنده خمر بوجل يخرج على دولته فوقع
اختياره على المهدية فيها وحصنها ولب مد الحيط على أول حجر من أسس
البلد أمر راميًا فرمى بالقوس فأنتهى السهم إلى موضع المصلى فقل - إلى
هذا الموضع أي موضع السهم يبلغ صاحب الحصار - يعني اب يريد الخارجي *
وأمر بقياس مسافة الرميّة فبلغت مائتي وثلاث وثلاثين ذراعًا فقال - هذا
مقدار ما نقيم المهدية في أيدين * وبعث ولده ولي العهد إلى مصر فمات
الاسكندرية والقيوم وحاربهم عامل مصر فهمهم ورجع إلى المغرب ثم رجس
أيضا سنة سبع وثلثمائة إلى المشرق فوقع الوفاء في عسكرة فكرر راجعا
إلى المغرب * وفي سنة خمس عشرة خرج ولي العهد إلى المغرب وبلغ
إلى تيفرت وأمر ببناء مدينة سماها الحمدية وهي السيلة وأمر عمله
أن يخرجون من الأقوات بها ويستكثروا منه * ولما دانت له العبد وصفت
البلاد عاجله حمله ودنت أيامه ونوفي للنصف من ربيع الأول سنة
أنتس عشر وثلثمائة عن ثلث وستين سنة * وكانت خلافته خمس
وعشرين سنة رحمة الله عليه ودفن بالمهدية وبعث دعوتهم من برقة
إلى المغرب * وفي أيامه انقرضت الفراطيم الأدارسة عن المغرب ولم تكن
لهم قوة بعد ذلك * وكانت عماله بفاس وأصاليهم إلى مدينة سبتة كانت
لبني أمية * وملك مدينة فاس سنة خمس وثلثمائة على يد قائده تطلت
وبأيامه صاحبها وسباني أن شاء الله تعالى *

الخبر عن خلافة النعم بإمر الله أبي القاسم

نزار - وقيل محمد - بن المهدي

تولى بعهد من أبيهم مقام مقام أبيهم واتفق سيرته وجهز أسطولا وأمر
عليه علي بن إسحاق فسبى مدينة جوة وبعث ميسور الفتي في مسكو
صخم إلى المغرب فبلغ إلى مدينة فاس * وفي أيامه ظهر أبو يزيد بن
كيداد الخارجي * ولندكر طرفا من أخباره - هو أبو يزيد مخلد بن

كيداد مولده بلد السودان واصل أبيه من مدينة نوزر وهو زناقي الأصل
 وأبى له أبوة في المغرب فتعلم القراءان العظيم وحفظ جماعة من النكار
 فتعلم مذهبهم الحديث * وكان يعلم أولاد المسلمين وكانوا يتصدقون عليه *
 ومذهبهم نكفير أهل السنة واستباحة أموالهم * وسكن نقيوس ولزم بها
 مسجدا يعلم الأطفال * فكان يلبس جبّة صوف وعلى رأسه قلنسوة صوف
 وفي شقه سحرة وكان يعتد الخروج من السلطان وصارت له جماعة
 بعظمته ويسمعون منه وذلك في أيام المهدي ولم يزل على ذلك إلى أن
 اشتدت شكيمة وقويت شوكتهم فنشر عارته في بلاد البربر * وفي أيام
 الغاثم صظم امرأة وأفسد البلاد وحصر باعية وقسطيلية وفتح بجاية وهناك
 أهدى له جوار المشرك كان يركب وبه دخل إفريقية ونهب بلد الأربص
 وفر الناس إلى جامعها فقتلهم فيه واقتصر أصحابه فيه الأبرار وعمل بهم
 ما لا يفعلهم مسلم * وأرسل الغاثم جيشا مع بشر الفتى لحراسة بلاد باجة
 فسمع به أبو يزيد فرحل إليه وجعل كتل من مر على مكان أفسده وسي
 حريمه وانتقى مع بشر هزمه بشر أولا وعود معه القتل ثانيا فهزم بشرا وفر
 بشر إلى مدينة تونس ودخل أبو يزيد دجة بالسيف وأباحها نلثا وحرق
 دياره وسي حريمها وبعث بالأطفال الرضع وفعل بأهلها العجائب فخافته
 جميع القبائل وأثروا طوعا وكرها * ووصل الأخيصة والبند وبعث جيشا إلى
 بشر وهو بتونس فخرج إليه بشر بالتونسيين وهزمه * ووقعت فتنة بتونس
 فكاتب أهل تونس أبا يزيد وأمنهم وولى عليهم رجلا منهم ونزل أبو يزيد
 بفحص أبي صالح * قلست هو الفحص المعلوم في زماننا قريب من بلد
 زعوان وأقتل مع الفتى بشر على «رقلته» فهزم عسكر أبي يزيد مرة أخرى
 وقتل منه أربعة آلاف رجل وأسر خمسمائة فانفذهم إلى المهدي فقتلوا
 هناك * ورجع أبو يزيد فجمع جوعا آخر وانصرف إلى الحريرية بقرب
 القيروان فاقبل مع طلائع الكتائب فهزمهم إلى رقادة * ونزل أبو يزيد على
 أربعة أميال من القيروان ومن الغد نزل في شرقي رقادة في مائة ألف بين

فرس وراجل وزحف إلى القيروان فقتل مع أهلها فمهرهم * واني أبو
 يزيد إلى ماجل باب تونس من القيروان وركن بنوده * ودخلت البربر
 إلى القيروان فنهبوا وافسدوا * ونزل بعد ذلك في رقدة وخرج شيوخ
 القيروان وطلبوا منه الأمان فقتل * هلا طلبهم قبل اليوم - فعدوا له
 فمطلمهم وعسكرة مع ذلك ينهبون في البلاد ويتلون * فسلوة ثاب وقائوا له
 قد خربت القيروان - فقتل لهم - وما عسى أن يكون خربت مكة وبيت
 المقدس مرتين - ثم أمنهم بعد ذلك وانه الخبر أن عسكرا قادم عليهم من
 نحو القائم فإدى في القيروان - من نخلف عن الجهد معي حل دمه
 وماله - فتفرع خلق كثير وانقضى مع عسكرو القائم بعد ذلك فكانت
 الهزيمة أو تنفع على أبي يزيد ثم انتصر وملك الأخيصة والفرات وهزم
 عسكرو القائم حتى بلغ المنهزمون المهديّة فوجلت فلوب الدس اذ ذاك
 وانتقلوا من الرض إلى المدينة واقسام أبو يزيد في قيطنة ثمانية وستين
 يوما وهو يبعث سراية إلى جميع بلاد إفريقية والحصون التي بها على البحر
 وأخذ جميع ما فيها من اقوات وسلاح * وبعث جيش إلى بلاد سوسة
 فدحها بالسيوف وحرق المنارل وسى النساء ومثل بالناس بقطع لا يدي
 والأعضاء وشق فروج النساء وبقر بطونهن وفعل بأهل سوسة ما لا تعلم
 أعداء الدين ولم يبق بفرقيّة منزل عامر * وفرت الناس إلى القيروان
 حفاة عراة ومات أكثر أهل إفريقية جوعا ومطش ونهب مدينة تونس
 وأخذ منها اثني عشر ألف خاية ريتا غير الأموال والعبيد وقد مر خبرها
 في أول الكتاب * ونهب من غيرها من البلاد ما لا يحصى وجل ذلك
 البربر إلى بلادهم لأن عامة جنده بربر * وكسب إلى قبائل البربر
 يحثهم على الجهاد إلى المهديّة * وفي سنة ثلث وتلثين وثلاثمائة
 القائم بحفر خندق على أرباض المهديّة * وأنفذ الكتب إلى منهاجته
 وكثامة يستفزهم إلى المهديّة ويحرضهم على قتال أبي يزيد * ورحل أبو
 يزيد ونزل قريبا من المهديّة ونهب ما حولها وخرج إليه حش الثائمين

واقبوا معه فلهزمهم وسار أبو يزيد إلى الخندق المحدث بخاصته واحتل مع الخراسانيين هناك فلهزمهم * واقبهم أبو يزيد وسن معه البحر إلى أن وصل الماء صدور الدواب وجوز السور وبلغ إلى مصلى العيد ولم يبق بينه وبين المهديّة إلا رمية سهم وأصعبه في زويلة ينهبون ويقتلون ثم قويت نفوس أهل المهديّة وتحموا واحتلوا قتلاً شديداً فزالوا أبو يزيد وأصحابه من البلد ورجع أبو يزيد إلى مقيظته وأمر بحفر خندق على عسكرة وأنته جميع القبائل من طرابلس وقابس ونفوسة والزاب وأقاصي المغرب * وحاصر المهديّة أشد حصاراً ومنع عنه الداخل والخارج وزحف إليها مرة أخرى وكان بينهما حرب شديدة مات فيه وجوه عسكر القائم وزحف إليها مرة ثالثة فكان بينهما الفناء لأعظم فانتصر فيه عسكر القائم وأنهزم أبو يزيد وقتل من أصحابه خلق كثير ورجع إلى موضعه مخزياً * وزحف إليها المرة الرابعة فكان بين الفريقين القتل الشديد * واشتد الغلاء في المهديّة وخرج منها عالم عظيم من شدة الجوع * فعند ذلك فتح القائم خرائن الطعام المدخرة عنده من عهد أبيه ففرقها في جندة وعبيده * وعظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الميتة والدواب والكلاب * وقر غالب أهل البلد حتى لم يبق مع القائم إلا جندة * والبربر كل سن وجدوة في الطريق شقوا بطنه لئلا يكون فيها ذهب وفعّلوا بهم من المنكرات ما لا يحل * وكذب القائم إلى كتمانته واستقرهم وفي أثناء ذلك تفرقت عساكر أبي يزيد لانشغالهم بالنهب ولم يبق معه إلا اليسير فعلم القائم بذلك فتأهب للخروج لابي يزيد فخرج عسكرة والتقى مع أبي يزيد فتناوشوا الحرب ساعة ورجع كل إلى موضعه واتصلت بينهما عدة وقائع والحرب تارة وتارة * ودخلت سنة أربع وثلثين وثلثمائة وقع فيها اختلاف في عسكر أبي يزيد فتفرقت جوعه ولم يبق معه إلا ثلثون رجلاً فرجع إلى القيروان وأسلم ما كان معه * فخرج الفاس من المهديّة ونهبوا ما خلفه فصاحت حالهم ورخصت أسعارهم وأخذوا جميع ما خلف من طعام وامتعة وأخبية وفازات وغير ذلك * ولمسا وصلوا

يريد القيروان نزل بالقصر ولم يخرج اليه من اهل البلد احد والصبيان
يسخرون به ويضحكون منه * وبلغ القائم خبره فبعث عملا الى البلاد
واخرجوا اهل ابي يزيد وتسامعت الناس انه هزم * ثم تقوى عزه مرة
اخرى وانتبه البرابر من كل فية فبعث عسكريا الى تونس فدخلها بالسيوف
يوم السبت لعشر خلون من صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانتبهوها
وسبوا النساء والاطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد * ولجسا كثير من
الناس الى البحر فماتوا غرقا ودخل غيرهم قنطرة فماتوا جوعا * وبعث
القائم عسكريا الى تونس فالتقى بعسكر ابي يزيد عند وادي مليان فاشتلتوا
فانهزم عسكر القائم ولجأ الى جبل الرصاص واعدوا القتل ثانيا فانهزم
اصحاب ابي يزيد ورجع عسكر القائم الى تونس فنهب وقتل من بها من
النكار الخوارج واخذ لهم نحو ثلثة آلاف حمل من الطعام وذلك يوم
الاثنين لخمس خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة ورجع الى المهدي *
ولما سمع ابو يزيد بهذا الخبر جمع جيشا عظيم وزحف به الى تونس
فقتل من عاد اليها من اهلها واحرق ما بقي منهم وتوجه الى باجة ففعل
بها كذلك * وكان بافريقيته من السبي والهرج ما لا يوصف
ولم يصل سبي تونس الى القيروان وشب الناس فاسترعوا السبي من ايدي
البرابر وانتدب جمعا اخر فاجتمع له عدة اقوام ورجل الى سوسة وحاصرها
في جمادى الاخيرة سنة اربع وثلاثين ومعه من البربر سبعة وثمانين الفا *
واقسام على سوسة الى ان فرض القائم الامر الى ولده المنصور وجعله ولي
تهذه في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة * وفي شوال من السنة
المذكورة توفي القائم بامر الله وتولى ولده المنصور الخلافة *

الخبر عن خلافة المنصور بالله

ابو الطاهر اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم نزار بن الامام المهدي
مؤيد بعد وفاة ابيه سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ولم توفي والده حكيم مؤيد
وبدل المل للجنود وكان شجاعا قوي الحاش فصيحاً فهو يرتجل الخطبة

ولما استوفى له الأمر جدي قتل أبي يزيد وخرج في طلبه فزاله من مدينة
سوسة بعد عدة واقعات. وانهم أبو يزيد إلى القيروان فمعه أهلها من الدخول
وقتلوا من دخل إليهم من أصحابه والتحق به المنصور إلى القيروان وكانت
بينهما عدة وقائع والحرب سجال * ولاحقاً انتصر المنصور بالله وهزم أبا
يزيد إلى المغرب وأسر بعد عدة وقائع جرت بينهما هنالك ومات أبو يزيد
بعد أسره بأربعة أيام. وأحر المحرم سنة ست وثلثين وثلثمائة فلما مات سلخ
جلده وحلله قطناً وبعث بالبشائر إلى جميع صلبه وقفل إلى إفريقية ولما
وصل القيروان خرج إليه الناس وهنوه بالفتح وأظهر لهم أبو يزيد ووضع على
صكتهم قرناً وطيف به في الناس ثم جل إلى المهدية وصلب على السور
إلى أن نسيته الرياح * وبقي المنصور مدينة المنصورية بأزاء القيروان تقديراً
بهذا النصر ورجع إلى المهدية وأقام بها إلى أن مهدها ورجع إلى قصره
بالمصورية ولم يظهر وفاة أبيه إلا بعد ظهرة بابي يزيد وهالك تسمى بأمير
المومنين * وفي أيامه أطع زيري بن مناد وخدم بني عبيد هو وبنوه من
بعده وفي سنة ست وثلثين بعث المنصور إسماعيل بن الحسن بن علي بن
الحسين عاملاً على صقلية ودامت ولايته إلى سنة ثلث وخمسين وثلثمائة
وبقيت في عقبه وفي سنة أربعين بعث المنصور اصطولا عظيماً إلى صقلية
لأنه سمع بملك الروم عازماً على الحركة إليها وتوفي رحمه الله يوم الجمعة
آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلثمائة وعشرة أربعين سنة وولايته سبع
سنين وثمانية عشر يوماً وكان أكد بالعهد لولده أبي تميم معد ودفن بصبرة
في قصره رحمه الله تعالى * وكانت له مواقف مشهورة مع أبي يزيد
وبشر القتال فيها بنفسه وكادت تكون الدائرة عليه مراراً حتى لولا لطف
الله به وثبت جاشه وحكم أبو يزيد قد استولى على جميع بلاد إفريقية
حتى لم يبق لثقاتهم أبيه ولا له إلا المهدية * ولما مات أبوه وأبو يزيد محاصرين
له أخفى موت أبيه وهو يدبر الأمور ولم يظهر موت أبيه إلا بعد ظهرة بابي
يزيد الخبيث وكانت أيام أبي يزيد أزهد من بلتين سنة دمر فيها غالب

الأقليم الأفريقي * والمنصور رحمه الله تعالى أربى عن أبيه وجده في الصبر
وقوة الجأش والمخاطبة بالادب * فسسال أبو جعفر المورودي خرجت
مع المنصور يرمي هزم أبي يزيد فسايرته ويده فصيب ربحان فسط من يده
فمسخته ونزلته أية وثقاعلت له وأنشدته

فأقلت عصاه واستقر بها النوى كما قرعنا بالأياب المسافر
فقال - الا قلت ما هو أحسن من هذا وأصدقى فالتقى موسى عصاه
فإذا هي تلغى - ففككون - فقلت أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت ما عندك من العلم وأنا قلت ما عندي * وكان مؤمرا من أرق
أصابه فعالجهم طبيبهم اسحاق بن سليمان الأسرائيلي ونهاله عن دخول
الحمام فلم يقبل منه ودخل الحرم فيست الحرارة الفريزية ولا ربه السهر
والطبيب ملازم على معالجهم والسهر ببق على حاله فله اشتد امره سل عن
طبيب غيره فأنزه به فشكا إليه حاله وفلة النوم فعالجهم بهما ينهم به
فمات رحمه الله *

الخبر عن ولاية المعز لدين الله

أبو تميم معد بن المنصور بالله أمي الطاهر اسماعيل بن القاسم بامر
الله أمي القاسم محمد بن المهدي عبيد الله مولده بالمهدية سنة تسع
عشرة وثلاثمائة وبويع بعهد من أبيه في حياته وجددت له البيعة بعد وفاة
أبيه في شوال وقيل في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة فهدر
الأمور وساسها وأجراها على أحسن أحكامها وفي اليوم الأحد سابع ذي
الحجة جلس على سرير ملكه ودخل إليه الخاضع والعام وسلموا عليه بالخلافة
وله من العمر اثنان وعشرون سنة * وكان المعز ملكا عادلا جوادا سمحا
شجاعا جاريا على منهج أبيه من حسن السيرة وإنصاف الرعية وفي سنة
التيين وأربعين وثلاثمائة رحل المعز إلى المغرب وعهد إلى جبل أوراس وجعلت
فيه خيولهم وقائل من به من أعضائه حتى أطاعوا له وفقد إلى مولاه قيصر
بولاية المغرب كله وعلى أشهر زيري بن مناد الصنهاجي وعلى المسيلة

وأعمالها جعفر بن علي بن جندب المعروف بابن كاندلسي وعلى باعانية
وأعمالها نصير الصقلي وعلى فاس أحمد بن بسكر وعلى سجلماسة
محمد بن واسول وقد عصى فيما بعد وتلقب بالشاكر لله وعلى قابس بن عطاء
الله الكشامي وعلى مدينته سرث بسيل الصقلي وعلى أجدابية ابن كافي
الكشامي وعلى بوقرة وأعمالها أفلاح النساب وعلى خراج إفريقية صولته
الكشامي واستوفت له أمور البلاد كلها وهاداه ملك الروم * وفي سنة خمس
وأربعين وثلاثمائة أرفعت رتبة جوه الكاتب وصار في رتبة الوزارة وجعل
مظفر الصقلي على اعنته الخيل ونحت يده من رقادة إلى أعمال مصر يدبرها
ويجي أموالها * وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة في صفر بعث مسكرا
ضخم روى عليه غلامه جوه المذکور وكان جوه رجلا حارسا وامره أن
يأخذ من كل بلدة عددا معروفا فخرج جوه بأمه لا تحصى فدخل مدينته
أفكار فنهبها وأمر بهدمها وسار إلى مدينته فاس وحاصرها فلم يفتحها ورحل
إلى سجلماسة وأسر صاحبها محمدا وكان قد خطب لنفسه وتسمى بالشاكر
لأنه ثم مضى لا يدافع أحد له أن بلغ إلى البحر المحيط وأمر بصيد السمك
وجعله في قماقم بلقاء وأرسله إلى مولاه المعز وكتب إليه كتابا وجعل فيه
من شريع البحر ورجع إلى فاس فنزل عليها وحاصرها وفتحها وأخذ صاحبها
وقيدة وجعله مع صاحب سجلماسة وجعل لهما قفصين من خشب وجعل
كل واحد في قفص وجعلهما على الجمال وقفل إلى إفريقية بعد ما دوح المغرب
وخطب لمولاه في سائر بلاد المغرب ما عدا سبتة وكانت غيصة ثلثين شهرا
ووصل إلى المصورية فطيف بصاحب فاس وصاحب سجلماسة في البلد
وسجن واستوت للمعز البلاد ودانت له العباد ولم يبق بلد إلا اجتمعت فيه
دهونه ودخل تحت طاعته الفواطم الذين في أقصى المغرب وبعث إلى
صقلية الحسن بن عمار بن علي بن الحسين وتوفي بها سنة ثلث وخمسين
وثلاثمائة وبعث المعز إلى ذلك أحمد بن الحسين بولاية صقلية وفي سنة
أربع وخمسين خرج المعز مستشرفا على البلاد ومعهما وبلغ إلى تونس وقرطاجنة

ورأى عجائبهم ثم أرحل إلى غيره وأقام ثمانين يوماً في عينته ثم رجع إلى المنصورية * قلت وهي المعر عنها بصيرة إلى زمانه هذا * وفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة أمر بحفر الآبار في طريق مصر وإن يبنى لهم في كل موضع قصر وفي آخر جمادى الثانية من السنة المذكورة جاء الخبر بوفاء كافور صاحب مصر وفيها وجه مولاه جوهر إلى المغرب في عسكر عظيم فمهد البلاد وحشد سائر الأجناد وقبائل كتامة وجبى م على البربر ورجع إلى مولاه سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وخرج المعز بنفسه إلى المهديسة وأخرج من قصور أبيه خمس مائة حل دنائير ورجع إلى قصرة ولما كان في يوم السبت لاربع عشرة حلول من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة رحل القائد جوهر في عسكر عظيم من السرور وكتامة والزوييليس والمجد بعد م وسع المعز عليهم بالارزاق والعطية وانفق فيهم مالا جزيلاً وأعطى من ألف دينار إلى عشرين ديناراً حتى عمهم كلهم بالعطاء * وسار القائد جوهر في عدد يقصر عنه الوصف ومعه ألف حل من المال وإم الخيل والعدد والسلاح فلا تحصي * ودخل جوهر إلى مصر يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من شعبان من السنة المذكورة وصعد المنبر لعشر بقيت من شعبان ودعا لمولاه المعز * وفي النصف من رمضان وصلت النجيب بالبشارة إلى المعز وصورة الفتح فعمه السرور وصار في كل وقت يصل إليه حكمب القائد جوهر يحثه على الرحيل إلى مصر وإن الشام والحجاز تحت طاعته وقامت له الدعوة في تلك البلاد * وفي سنة ستين وثلثمائة وصل جعفر بن القائد جوهر بهديته من عند أبيه وفيها من أواني الذهب والفضة والعماريات والسروج المحلات وأعمال الامتعة وصنوف الثياب وظرائف الشرق ودخائر الملوك مالا يوصف ومعه القواد الذين حكم عليهم جوهر عند تملكه مصر فاقبل عليهم المعز وعفا عنهم وجلس لهم في زي عجيب وجعل التاج على رأسه ودخلوا عليه فسلم عليهم ولاطفهم وأكرمهم غاية الأكرام * وفي شوال سنة إحدى وستين غزم على المسير إلى مصر ورحل من المنصورية

واقام بسردانية ولحقه عمله واهل بيته وجمع ما كان له في قصوره وكنائس
مقاهر بسردانية اربعة اشهر وسردانية قرية من القيروان وكانت قصوره
وبساتينهم بها * وفي اول صفر رحل منها واطلق النار في زربها ولا حذى
صبرة قال - سلام عليكم من مودع لا يرد ابدا * وخلف على افريقية
بلكين بن زيري الصنهاجي وكتب له بولاية المغرب كله وسيأتي
خبره بعد ان شاء الله تعالى وكان بلكين فارق من عمل قابس ورحل المعز
من قابس يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول من السنة المذكورة ودخل
طرابلس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من الشهر ورحل عنها يوم السبت
ثلاث عشرة بقين من ربيع الثاني فوصل الى سرت في الرابع من جادى
لاولى ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له باجدابية ورحل من اجدابية
فنزل بقصره المعروف بالمعزية في بوقرة وتم في سيرة منها الى ان وصل
الاسكندرية فنزل تحت منارها واتاه اهلها فسلموا عليه وبك دخل عليه
قاضي الاسكندرية سلم عليه ولم يسلم على ولي مهنه فقل له المعز يا قاضي
هل جججت قل نعم يا امير المؤمنين فقل له هل سلمت على الشيخين قال لا
فقال له وبك ذا قال شغلي السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
شغلي السلام على امير المؤمنين حين لم اسلم على ولي مهنه فاعجب المعز
منه * وساله مرة اخرى فقال له هل رايت خليفة قط قال واحدا يا امير
المؤمنين فقال له ومن هو قل انت والباقي ملوك فسر بكلامه ودخل
الاسكندرية ومضى في منزلها ودخل الحمام بها * ثم رحل عنها ووصل الى
مصر يوم السبت لليثين مضى من شهر رمضان واقام هناك ثلثا واخذ العسكر
في التعدية باثقالهم وانزل الناس في مصر والقاهرة وغالب العسكر في الفارات
والمصارب بين مصر والقاهرة ، والقاهرة هي التي بناها القائد جوهر لاجل العسكر
لما صاقت بهم مصر فسميت باسم استاذة المعز فيقال القاهرة المعزية وهي
التي فيها القلعة والجامع الازهر ومصر في ذلك الوقت هي مصر العتيق لان
ويقال لها القسطنطينية في زمن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه

وامسا مصر فرعون فيقال لها متي والله اعلم * ويوم الثلاثاء الخامس خاور
من رمضان سنة اثنى عشر وستين وثلاثمائة عبر المعز النيل ودخل القاهرة ولم
يدخل مصر وتلقاه القائد جوهر عند الجسر الثاني فترجل عند لقائه وقبل
الارض بين يديه ولما دخل القاهرة دخل القصر الذي كان معدا له فدخل
يجلسا وخر ساجدا لله تعالى ثم صلى ركعتين وفي العشر الاخيرة من المحرم
سنة اربع وستين عزل المعز القائد جوهر عن دواوين مصر وجباية اموالها
وكان في المعز مدل وانصاف وكان ينظر في النجوم * والمعز لدين الله هو
آخر الخلفاء العبيديين بالمغرب واول الخلفاء منهم بمصر واسكن الجند
بالقاهرة واقسموا منازلها وسكن كل طائفة بمكان معروف بها فيقال حارة
زويلة الى يومنا هذا ينسب اليها باب زويلة من اجل الزويليين سكنوا
هناك وحارة كتامة والبرقية وعدة حارات بها باقية الى اليوم بسماتها
وتوفي المعز لدين الله بمصر في سابع شهر ربيع الاول سنة خمس وستين
وثلاثمائة وعمره خمس واربعون سنة وقيل ست واربعون وكانت خلافته
ثلاثا وعشرين سنة وخمسة اشهر وايام مقامه بمصر ستان وتسعة اشهر وبقيتها
ببلاد المغرب * وسبب موته ان ملك الروم ارسل اليه رسولا عدة مرار وتردد
اليه بافريقية ومصر فخلا به بعض الايام وكان اسمه نكولته فقال له المعز لدين
الله اذكر اذ اتيتني وانا بالمهدية فقلت لك لتدخلن علي بمصر وانا ملك
عليها قال نعم فقال له وانا اقول لك لان لتدخلن علي ببغداد وانا خليفة
فقال الرسول ان امتني على نفسي ولم تعصب اقول لك ما عندي فقال
له قل ما عندك وانت غامس قال بعني اليك الملك ذاك العام فوصلت
الي صقلية فالتقي غلامك بجيشه فرايت منه العجب ثم جئت الي
سوسة فرايت بها من جندك وضخامته ما اذهل عقلي ثم سرت الي
المهدية فما كدت اصل اليك من كثرة اجنادك وخدمك وكثرة اصحابك
فكادت اموت ووصلت الي قصرك فرايت نورا غطي بصري ثم دخلت
عليك وانت على سريرك فرايت عظمتك وخطبتك خالقا لا مخلوقا فلو قلت

لي اذك نخرج الى السماء لتتحقق ذلك ثم جئت اليك لان فم رايت
من ذلك شيء وما اشرفت على مدينتك هذه كانت في عيني موداة مظاهرت ثم
دخلت عليك في قصرك فما وجدت عليك مهابة مثل ذلك العام فقلت
ان ذلك كان مقبلا وانه لار بصد ما كان عليه فاطرق المعز رأسه وخرج الرسول
من عنده واحذت المعز الحمى لشدة ما وجد وثقل مرضه وانصل به حتى مات
رحمة الله عليه وعهد لولده ابي منصور نزار الملقب بالعزيز بالله *
الحسبر من خلافة العزيز بالله

ابو منصور نزار بن المعز لدين الله ابي تميم معد بن المنصور ابي الطاهر
اسماعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي حيد الله مولده يوم
الخميس رابع صفر المحرم سنة اربع واربعين وثلاثمائة بلهيدية وولي الامر بعد
وفاة ابيه في ربيع الاخير سنة خمس وستين وكان شجعنا حسن العهد اديب
فاصلا خطب له بمصر والشام واغريقية وفتح حصن وحا وحلب والموصل
وخطب له بليص وكان استجاب بلشام يهوديا اسمه ميشما واستكتب يسى
ابن نسطور النصارى فاعتز بهم الصارى واليهود * فكتب اهل مصر قصة
وجعلوها في يد تمثال من قراطيس وفيه - بالذي اعز اليهود بميشما والنصارى
بعيسى واذل المسلمين بكث الا ما كشفت ظلامي - فلما راي الرقعة امر
باخذها وقراها فعلم ما اريد بذلك فقبض عليهم واخذ من ابن نسطور ثلثمائة
الف دينار ومن اليهود شيئا كثيرا * وصعد المنصور يوما فراى ورقة مكتوب فيها
بالظلم والجور قد رحمتنا * وليس بالكفر والجماعة

ان كان ما تدعيه حقا * بين لنا كاتب البطاقة

لان العزيز كان يدعي علم الغيب وذلك انه كانت له مجائر يسرق
الاخبار من الدور ويأينهم بها فكان يقابل الناس ويقول ما بال احدكم
قال كذا وفعل كذا فيتهم السامع ويظن ان ذلك من سر اعطيه ويزعم
هو انه يعلم الغيبات ولا يعلم الغيب إلا الله * وكان حليته بافريقية
خليفته ابيه يلكين ووزيرة يعقوب بن كلس كان يهوديا واسلم وكان

من عجائب الدهر وخبره مشهور في غير ما موضح وأولا الاختصار لذكرنا
جميع أخباره * وكتب العزيز بالله إلى الحاكم صاحب الأندلس كتابا يسيه
فيه فاجأبه الحاكم فد عرفنا فهاجرتنا وأو عرفناك هجوتك يعني به أنه
دعى في نفسه وقبل أن الحكاية بالعكس والله أعلم بذلك ومات بمدينته
بليس من أمراض لحقت به النقرس والثولنج وله من العمر اثنان وأربعون
سنة في ثمان مئتين سنة وست وثمانين وثلاثمائة ورجت الله
تعالى عليه *

الخمس عن خلافة الحاكم بامر الله

أبو علي منصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله بن
المتائم بامر الله بن المهدي عبيد الله مولده ثالث ربيع الأول سنة خمس وسبعين
وثلاثمائة وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة ست وثمانين وثلاثمائة وعشرة عشر
سنين وقيل إحدى عشرة أخذ له البيعة برجوان خدام أبيه وكان خصيا
أيض اللون وهو الذي دبر دولة الحاكم بامر الله وبلغ في النصيحة له
وقتل الحاكم بعد ذلك وبرجوان له بمصر حارة مشهورة إلى يومنا هذا
ينال لها حارة برجوان * وكان الحاكم متناقض لخلق بامر بالشيعي ثم
بمهي عنه وأخاره في ذلك مشهيرة وكان سفاكا للدماء قتل عددا كثيرا من
أهل دولته ومات في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربعمائة وعشرة سبع
وثلاثون سنة وأيام خلافته خمس وعشرون سنة * وقبل أن اخته دبرت
في قتله لأمور ظهرت عنه فموت سن اختله وكان ينفرد بنفسه ويركب جارية
ويطوف في الأسواق ويقيم الحسبة بنفسه * فاتفق وكوب الحاكم إلى
جبل جلوان وكان قد كمن له فيه سن قتله هناك وانوا به إلى أحته سرا فدنته
وكان بعض شيعته من المغاربة يرمون أنه يعود فكأوا إذا رأوا سجدته
في الجور سجدوا لها زعما منهم أنه في السجود * وقيل أنه أراد أن يدي
اللوحية - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - وأخذت أخته البيعة
إلى ولده أبي حاشم علي أظهر لاعتزاز دين الله *

الخسبر عن خلافة الطاهر لا عزاز دين الله

ابو حشم علي بن الحكم بامر الله ابي علي منصور بن العزيز بالله ابي منصور برار بن المعز لدين الله ابي نعيم معد بن المصور بالله ابي الطاهر اسمعيل بن القائم بامر الله ابي القاسم محمد بن المهدي عيد الله مولده في رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة بويج له يوم عيد النحر سنة عشر وأربعمائة وكان جمل السيرة حسن السيرة مصدا للرياسة يحب الدعة والراحة * وفي ايامه طمع من طمع في اطراف بلاده ونصعصعت دولته ومات في منتصف شعبان سنة ست وعشرين واربعمائة وابان خلافته خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وايام وبلغ عمره ثلث وثلثين سنة وقم بالامر بعده ولده المستنصر بالله ابو نعيم *

الخسبر عن خلافة المستنصر بالله

ابو نعيم معد بن الطاهر لا عزاز دين الله بن الحاكم بامر الله مولده بالبحرنة العربية سنة عشرين واربعمائة بويج بعد وفاة ابيه في شعبان سنة سبع وعشرين واربعمائة وجرى في ايامه ما لم يجر في ايام احد من اجداده منه الغلاء الذي وقع في ايامه حتى اكل الناس بعضهم بعضا * ومنها انه خطب له ببغداد سنة ولم تمكن لغيره قبل وذلك سنة خمس وثلثين * ومنها قيم الطبايعي باليمن وخطب له على منابرهم * ومنها انه لم تزل دعوتهم بالمغرب من اول امهم الى ايامه قطعها المعز بن بديس الصنهاجي وسي في خيرة * وخطب له بالكوفة وواسط والوصل * ومنها انه ولي وهو ابن سبع سنين واقام في الخلافة سنين سنة وهذا شيء لم يبلغه احد من اهل بيته ولا من بني العباس * واقام الغلاء في ايامه سبع سنين حتى توجهت امره وبناه لبغداد من شدة الجوع وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وكان في هذه الشدة يركب وحده وحاشيته مترجلون وربما استعز دابة يركبها صاحب البطنة من عند كاتب الاشياء ابن همة الله وقسى شدائد واستوزر بدر الجمالي وحسنت احواله فيما بعد وكانت وعنته في ثمن عشر ذي

الحجة ستة سبع وثمانين وأربعمائة وخمسة ثمان وسبعون سنة وهو أطول
العبيديين مدة وأقدم بالأمر من بعده ولده المستعلي بالله *
الخسر عن خلافة المستعلي بأمر الله

أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لأعرار دين الله بن الحاكم
بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بالله أبي الطاهر بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده سنة ثمان وتسعين وأربعمائة
بلاحة ولي الأمر بعد أبيه سنة سبع وثمانين وأربعمائة ولم يزل من العمر
أحدى وعشرون سنة * وفي أيامه أخذ الأفرنج الطائيّة والمعرّة والقدس
ورهنّت دولتهم ولم يكن له مع الأفضل ابن أمير الجيوش حكم وانقطعت
دعوتهم من بلاد الشام وغلب عليها الأتراك وقت في صفر سنة خمس
وسبعين وبلغ عمره سبع وعشرين سنة وكملت خلافته ثماني سنين وأيام
واسمها بعد ولده أبو علي *

الخسر من خلافة الأمر بأحكام الله

أبو علي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله
أبي تميم معد بن الظاهر لأمرار دين الله أبي هاشم علي بن الحاكم بأمر الله
أبي علي منصور بن العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله أبي
ميم معد بن المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم
محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله مولده في المحرم سنة تسعين وأربعمائة
ببيع له بالخلافة سبع عشر سنة وخمس وتسعين وهو ابن خمس سنين
ولم يقدر على الركوب وحده لصغر سنه ودبر دولته الأفضل ابن أمير
الجيوش * ولما اشتد الأمر بأحكام الله قتل أمير الجيوش المتقدم ذكره
والأفضل هذا لقبه شاه شاه وأسمه أبو القاسم بن أمير الجيوش بدر الجمالي
الارمني قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة * والأمر هذا كان قبيح السيرة ظلم
الناس وأخذ أموالهم وسفك الدماء وأرتكب القبايح * وفي أيامه ملك
العدو كثيراً من بلاد مصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة في صفر ولم

يسكن أسرق منه نسبا في خلافة العبيديين لأنه العشر في الخلفاء على
سوق واحد إما عن حد ونوهي قتيلا ايض وتولى الخلافة بعده ابن عمه
الحافظ لدين الله *

الخمسبر عن خلافة الحافظ لدين الله

هو ابو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله بن الظاهر لاصراز
دين الله بن الحاكم بن العزيز بن ابر بن المنصور بن القائم بن المهدي
مولده سنة سبع وستين واربع مائة وتولى يوم قتل ابن عمه في صفر سنة
اربع وعشرين وخمسمائة وعلب على أمرة ابو علي اجد بن الافضل شاهنشاه
ابن امير الجيوش الجمالي وبقي الحافظ صورة معه من تحت حكمه وحسنه
وه آخر الحال دس الحفظ على الوزير فقتله ولحد من الخاصة فبدر الاجناد
له الحافظ واخرجوه من السجن وبايعوه مرة اخرى * وكان الحافظ ملازمه
مرض القولنج فصنع له شيرمة الديلمي طبل القولنج وكان مركبا من المعادن
السبعة والكواكب السبعة في اشرافه فاذا صرب به صاحب القولنج خرج
منه ريح متباعدة فيستريح * وهذا الطبل وجده صلاح الدين في خزائنه
عند تملكه الديار المصرية * ومات الحافظ في جمادى الاولى سنة اربع
واربعين وخمسمائة فكانت خلافتهم عشرين سنة وله من العمر بضع
وسبعون سنة وتولى بعده ولده اسماعيل بوصية من ابيه وتلقب
بإلطانر بالله *

الخمسبر عن خلافة الظاهر بالله

ابو منصور اسماعيل بن الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن
المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن
القائم بن المهدي عبيد الله مولده منتصف ربيع الاول سنة سبع وستين
وخمسمائة ببيع بالامر بعد ابيه وقتل في نصف المحرم سنة تسع واربعين
لاشياء اضرب عنها لاجل الاختصار وهي مشهورة في كتب التواريخ وببيع
ولده ابو القاسم عيسى ولقب بإلطانر بنصره الله *

الخبر عن خلافة العائز بنصر الله

أبو العباس عيسى بن الطاهر بالله بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن العزيز بن معمر بن المنصور بن القائم بن المهيدي عبيد الله بويج بالخلافة يوم قتل والده في المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ولم من العمر خمس سنين ولما أراد الوزير مبيعته أدخل الحمد وقال هذا ابن مولاكم فبايعوه * وكان الوزير هو الذي قتل أبه فلما رآه الأجناد ضجوا بالبكاء في وجه العائز وكان على كتف الوزير فصرع الطفل من ذلك وصار يهتريه الصرع والاضطراب إلى أن مات في رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة وهو ابن عشر سنين فكانت خلافة خمس سنين رحمة الله تعالى عليه *

الخبر عن خلافة العاضد لدين الله

أبو محمد عبد الله العاضد بن يوسف بن الحافظ لدين الله بن المستنصر بالله بن الطاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهيدي عبيد الله مولده سنة ست وأربعين وخمسمائة بويج بعبد وده العائز بنصر الله في رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة واستولى على وزارته الملك الصالح طلائع بن رزيك فكان العاضد كالحجور عليه * وكان راضيا خبيثا * وفي أيامه دخل شاور بالغز من الشام وقتل طلائع ومات قتيلا في أثناء ذلك شاور على يد أسد الدين شيركوه أرسله نور الدين إلى مصر وبعده ثولئ الوزارة ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب بن شادي وتمكن من المملكة وبقي معه العاضد صورة إلى أن خلعه * وخسب في حياته لني العباس والخليفة العباسي في ذلك الوقت الامام المستضيء بأمر الله في بغداد وذلك في حياة العاضد وكان مريضاً فلم يعلم بشيء من ذلك ومات يوم عشرين سنة تسع وستين وخمسمائة وانقرضت دولتهم من سائر البلاد فسبحن من لا يعنى ملكه *
قيل ابن خلکان سمعت من أهل الدار المصرية ان العبيديين

في اول امرهم قتلوا بعض الكتاب اكتب له القابا نصلح بالخلافاء حتى
اذا مولى احد خليفة القاب بشي منها فكتب لهم ورقة فيها عدة القاب
وآخرهم العاصد فكان هذا العاصد و آخر خلفائهم * وكانت ايامهم مئتي
سنة وستين سنة منها في مصر مائة سنة وثمان سنين واثنان وخمسون سنة
بالمغرب و عدة خلفائهم اربعة عشر خليفة اولهم المهدي و آخرهم العاصد *
ومما اطلنا الكلام عليهم الا لا رباط اخبارهم وانعم الفائدة وانما فرضنا ان
نذكر سن ملك افريقية لا غير * واما كان اول ملكهم بافريقية وكان
ظهورهم بالخلافه منها ورحلوا عنها للديار المصرية جذبنا مسافة الاخبار
منهم الى نهايت ايامهم ولولا خيفة التطويل لاتي بنا من اخبارهم بما فيه الغرض
واصرهم مطولة في غير هذا * ومنهم من صحح نفسهم واثبتهم ومنهم
من دم فسهم ورفضهم ولا يعلم الغيب الا الله وبليت لنا نذرة من اخبارهم
نائلي به في آخر الفصل الذي بعد هذا في محله ان شاء الله تعالى *

الباب الخامس

في الامراء الصنهاجيين

هذا الباب نذكر فيه ملوك صنهاجة وان كانوا في الحقيقة عمالا لبني
حبيد فانهم بلغوا درجة الملوك وكانت لهم ضخامة وصيت وعالم اهل
تونس لا يتحققون ولايتهم وان استغفر الله اقول ان ايامهم ودولتهم اقوى
من دولة بني حفص الا ان بني حفص خطب لهم بمراء المومنين ولم يخطب
لصنهاجة بهذا الاسم وزادت ايامهم على مائتي سنة واستقلوا بالامر في
افريقية حين سار المعولدين الله الى مصر فستعمل على عمله ابا الفتح
يوسف بلكين بن زيري بن مدد الصنهاجي وصنهاجة قبيلة من البربر
وقيل صنهاجة فخذ من ولد عبد شمس بن وائل بن حيسر وان الملك
افريقس بن وائل بن حيسر وقيل افريقس بن ابرهة بن ذي القرنين لما ملك
حيرا وعمر المغرب وبني مدينة افريقية حلف فيهم من قبائل حير وزعمائهم

صنهاجة وقد همهم على البربر ليدبروا امرهم ويخذلوا خراجهم وقيل صنهاجة
 أبو صنهاجة بن حصين بن سب نسلهم وقيل هم فخذ من هواة وهوارة فخذ
 من حير وصنهاجة تنقسم على سبعين قبيلة منهم لمثونة الذين ملكوا بلاد
 المغرب وسياتي من اخبارهم شيء ان شاء الله تعالى وفي هذا القدر كفاية *
 واول اتصال زيري بالمصور لما دخل المغرب في طلب ابي يزيد الخرجي
 ودخل بلاد صنهاجة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة هـ وافاء زيري بعساكره
 وأهل بيته ودخل في طاعته فخلع عليه ووصله بصلته ونصب له قارة وقلع
 سيفا وعقد له على أهل بيته ومن اتصل به من أهل صنهاجة والبربر وعظم شأنه
 وحضر مع المعز لدين الله عند دخوله للمغرب سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة
 واستعمله على اشبوروما والاها وكان حازما شجاعا شديد النفس وحضر
 مع جوهر لما دخل المغرب في سنة ست وأربعين وثلاثمائة على فاس وجوهر
 محاصر لها فكان زيري سبب لفتحها فزادت رتبته في الدولة ورأى جوهر
 ولاية تبهرت فضمها إلى عمله واتسعت ولايته وكان بينه وبين جعفر
 ابن علي المنعوت بالاندلسي وكان حاملا على المسيلة ضعفت في النفوس
 بسبب الولايات * وجعفر هذا أبوه الذي بنى المسيلة وأنضاف إلى جعفر
 عمل الزاب من بلاد المغرب . وكان طائعا للدولة العبيدية وبخطب لهم في
 بلاده وكان يعد من الملوك * ولما عزم المعز لدين الله على التوجه إلى الدير
 المصري شاع بين الناس ان المعز يريد ان يستخلف يوسف بن زيري
 على جميع بلاد افريقية فعظم ذلك على جعفر بن الاندلسي واتفق ان المعز
 أرسل إلى جعفر يأمره بالقدوم اليه وكرر ذلك مرارا فظهر جعفر انه قصد
 له فخرج من المسيلة وفر إلى زناتة فقبلوه وملكوه على انفسهم فخلع طاعة المعز
 قبل بلوغ الخبر إلى زيري فبادر بالخروج إلى جعفر في عدد من صنهاجة
 فالتقى معه وكان وقعة عظيمة فكسب زيري فرسه فقتل ومث قداحه
 خلق عظيم . وبعث جعفر بن علي اخاه يحيى إلى الاندلس والخليفة بها
 الحماكم الاموي يبشره بقتل زيري * ولم علمت زناتة ان يوسف بن

زيري يطالبهم بدم ابيه اضربت الغدر لجعفر وهزموا على امساكه فلما احس
بذلك فر الى الاندلس باهله واولاده فقبله الحاكم واجرى عليه الوظائف
السنية وبقي عنك في املى مكان مدة ثم نقم عليه الحكم ونكبه ثم افرج
عليه بعد ذلك وماد الى رتبته واسم يرل هنالك الى ايام الوزير ابن ابي عامر
فقتله سنة سبع وستين وثلاثمائة وبعث براسه الى بلكين * وكان زيري
المذكور حسن السياسة والتدبير في الرعية والتشديد على البرابر ما راى
الناس مثل ايامه في المغرب واقام على حسن السيرة ستا وعشرين سنة *
ولما مات كما ذكرنا وبلغ الخبر الى ملك بلكين وهو باشير وكان هو المقدم
عند معد يعطيه على جميع اخوته جمع اهل بيته وعبيدك واختار من جنك من
احب وخرج طالبا لثرا يده ، فدرك زنائة وكانت له فيهم فتكات
فقتلهم قتلا ذريعا وسبى نساءهم واعفاهم واجلهم من البلاد * فبلغ الخبر الى
معد فسره ففعل وارسل اليه ياحوة برد السبي والقدوم عليه فقدم على المعز
بعد ما استخلف على عمله من يتقى به ومهد قواعد بلاده ونفذت كتبه الى
عائلته * من يوسف بن زيري خليفة السلطان * ولم يترك في المغرب
عند احد من البرابر فرسا ولا جلا ولم يترك الا من يحتر ويحصد وقدم
الى المنصورية وقد شاع بين الناس انه المستخلف في افر يقية فهادته
على قدر مراتبهم وحشوة اموالهم وزادت مكانته * ولم وصل الى المعز جلس
له في الايوان وادخل عليه قبله احسن قبول وتحدث معه وشكروا فعالمه
وقلبك سيئه وخلع عليه خلعة من لباسه وقد يس يديه اربعين فرسا بسروج
الذهب المثقلة واربعين نخبا بانياب الفاخرة وخلع على جميع اصحابه
واكرمهم غاية الاكرام * ومن هنا نذكر توليته وبنيه من بعدك * وما
قدمنا ملك النبك الا لتوطئة لخبرهم وليعلم الناظر في هك الارواح مبتدا امرهم
الى ان ياتي على اخرهم ان شاء الله تعالى لارب غيره ولا خير الا خيرة *



الخبر عن ولاية الامير بلكين

هو يوسف بن زيري الصنهاجي ابو الفتح بلكين فوص له الامر بافريقية
والمغرب كافة م عدا طرابلس وعتاقية لم يدخلها في عمله وذلك يوم
الاربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة احدى وستين وثلاثمائة عند رحيل
المعز لدين الله الى المشرق وكتب له سجلا وامر الناس بالسمع له
والطاعة وسار معه الى قابس وكل يوم يوصيه ويؤكد عليه ولما اراد
وداعه قسائل له - يا يوسف ان نسييت م اوصيتك به فلا تنس ثلثا
لا ترفع الجبايا عن البادية ولا ترفع السيف عن البرابرة ولا تول احدا من
اهل بيتك فانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك واوصيتك خيرا باهل
المحصرة - وودعه وانصرف راجعا الى المنصورية فدخلها يوم الخميس
لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فنزل بقصر
السلطان بصيرة وخرج اليه اهل القيروان غهنوة واطهروا السورور بقدمه واقام
هناك شهرين وبعث العمال والولاة الى جميع البلد ونفذت اوامره في
افريقية والمغرب * ولما مهد الامور بافريقية رحل الى المغرب في شعبان سنة
ثلاث وستين وثلاثمائة * وفيها عصى اهل تيهرت فنزل عليهم وظهر باهلها
فسبى الذرية وذهب الاموال وبلغه الخبر عن زناتة انهم نزلوا على تلمسان
وملكوها فرحل اليهم ففروا امامه وفتح تلمسان * وبعث اليه المعز كتابا
يامره الا يتبعد عن افريقية ولا يتوغل في الدخول الى المغرب * وفي ايام
امره قام بالمغرب زيري بن عطية الزناتي فملك فاس وسجلماسة وما
جاورها وخطب فيهما لبني امية فصار اليهما بلكين بعساكر ضخمة ففتحهما
وطرد عمال بني امية * ونال مدينة سبتة وحاصرها ايما ثم رحل منها
واقى الى البصرة فنهب * فسلط البصرة التي بالمغرب هي التي يقال
لها اصيلة في زماننا هذا * وبعث هدية الى مصر سنة خمس وستين
وثلاثمائة فبلغه خبر موت المعز وولاية ولده العزيز فرد الهدية من طرابلس
سكنف هدية اخرى وسيرها باسم العزيز فكانت اول هدية قدمت عليه *

فكتب العزيز تجديدا بولايته على المغرب وبعث له سجلا ودراهم من
السكة التي ضربت باسمه أي باسم العزيز بالله صاحب مصر * وبعث
بلكين إلى العزيز بالله يطلب منه - سر - واجدا بية - وطرابلس - وإن
يضيفها إلى صلبه فابعم عليه بها وبعث بلكين إليها عماله وغزا بني غواط
فكانت بينهما حروب انتصر بلكين فيها وسبى منهم سبايا لم يدخل لأفريقية
اعظم منها وتوغل في المغرب حتى لم يبق له به منازع * وهربت زناتة أمامه
حتى دخلوا الرمال في الصحراء وخالفته أهل سبتة فدافع منصور بن أبي
حامر عنها بان بعث إليه براس جعفر بن كاندلسي الذي قتل أباه زيري
وتقدم ذكره وكانت مكاتيب معد الذي هو المعز بالله تصل إليه من مصر
إلى مدينة فاس * وفي سنة سبعين وثلاثمائة بعث ولده المنصور إلى القيروان
لتجهيز هدية إلى مصر فوصل إلى رقادة وأقام بها مدة وبعث بالهدية
وكانت أول هدية خرجت على يده وأول وصوله إلى القيروان لأنه لم يكن
دخلها قبل ذلك لأن ولادته كانت في أشير وأقامته بها ولم يدخل إلى
أفريقية إلا في هذه السنة ورجع إلى المغرب وفي سنة ثلث وسبعين وثلاثمائة
خرج ابن حزون وضرب على سجالسة فنهبا فوصل الخبر إلى بلكين *
فرحل إليه بلكين فأصابه في طريقه قولنج فمات في مكان يقال له واركلان
لسبع بقين من ذي الحجة بعد ما اسند وصيته إلى ولده المنصور رحمه الله *

الخبر عن ولاية المنصور بن بلكين بن زيري

استقل بالامر بعد وفاة أبيه وكان ببلد أشير فآخذ البيعة عن الأجناد
وأطاعه الخاص والعام وخرجت الأوامر من أمرة وبعث إلى العمال ونفذت
كله وكان رجلا عاقلا حفيظا عن الدماء يحب الرفق بالأمير فجلست الناس
على محبته ومهد الأمور بتدبيره وجلب القلوب بأعطائه وتبذيرة وفدت
إليه العمال بالهدايا فقبلهم أحسن قبول وعيهم بالعطايا وخرج من القيروان
التصاة والامناء ووجه الناس قدر ما تشي رجل لتهمته بالملك وتعزيتة في
أبيه فوصلوا إليه بأشير فوجدوه خارج البلد على جبلها فسلموا عليه وقبلوا

يده ودعوا له ففرح بهم وانزلهم منزلا حسنا * وفي ثاني يوم من وصولهم
جلس لهم مجلسا عظيما ودخلوا عليه وهو في زي عجيب من ضخامة الملك
واقف حوله الصقليات والاجناد واظهر لهم من ابهة الولاية ما ابهر عقولهم
وقال لهم - يعز علي حركتكم في هذا الرمن إلا ان سروري بروتشكم
احب الي من الدنيا وما فيها - وامر لهم بعشرة آلاف دينار ففرقت
فيهم وفي خامس يوم من وصولهم امر بهم فدخلوا عليه فلأطلهم وبما قل لهم
- ان ابي وجدي كانا ياخذان الناس بالقهر وانا لا آخذ احدا إلا بالاحسن
ولا اشكر على هذا الملك إلا الله سبحانه وتعالى - ثم امر لهم بالانصراف
الى بلادهم وارلى عبد الله الكاتب جميع افرقيته والنظر في جميع امورها على
ما كان عليه في ايام ابيه * وفي سنة اربع وسبعين وعمل المنصور في
رقادة فتلقاه اهل القيروان باجمعهم فسر بهم ووعدهم وعدا جيلا وانتم العمال
من كل بلد بالهدايا واهدى اليه عامله على القيروان ما لا يدخل تحت
حصر * وامر بتجهيز هدية الى مصر وهي اول هدية بعث بها الى نزار
من قبله بعد وفاة ابيه بلكس وكانت قيمتها الف الف دينار وصام
رمضان برقادة وامر ببناء مصلى للعيد فيها وخرج يوم العيد للصلاة في
زي عجيب بسرج مكلل بلدر والياقوت * وفي اخر ذي الحجة رجع
الى المغرب وصحبته عبد الله الكاتب خليفته على القيروان وخلف ولده
يوسف بن عبد الله المذكور وسلم اليه اعمال افرقيته قاطبة وفي هذه
السنة يعني سنة اربع وسبعين وثلاثمائة ازداد للمنصور ولده باديس وكنيته
ابو مناد لاحدى عشرة خلون من ربيع الاول من السنة المذكورة * وفيها
بعث مسكوا مع اخيه بطوفت الى فاس وسجلامة لتغلب زيري بن عظمة
الزناتى عليهما فالتقى العسكران فكانت بينهما مقتلة عظيمة وانهمز عسكر
المنصور وبلغ اخوة منهمزما الى اشير فلم يتعرض المنصور بعد ذلك الى بلد
زنات * وفي سنة ست وسبعين بنى قصرا له بصيرة فبلغ لانفاني عليه
ثم ثمانمائة الف دينار وخرس حوله الاشجار من كل ناحية * وفي هذه السنة

قتل عبد الله الكائب وولده يوسف وأعطى أعمال الفرنجة لولاه يوسف
ابن أبي محمد وفيها دخلت عمال المنصور إلى بلد كسامة وجبوا منها الأموال
ولم تكن قبل ذلك ندخل إليها * وفيها بعث نزار الخليفة بمصر
هدية إلى المنصور وفيها خالف عليه عمه أبو البهر بلد تيهرت فزحف
إليه المنصور بعسكرة فمر أمامه إلى المغرب فدخل المنصور تيهرت فنهبا
وطلب أهلها الأمان فأمّنهم ورجع إلى أشبر * وفي هذه السنة مات عامل
صقلية عبد الله بن محمد بن أبي الحسين وأوصى إلى ولده يوسف من
بعده وأثناء سجن من نزار خليفة مصر بالولاية فصاحت أحوال صقلية
في أيامه يعني أيام يوسف بن عبد الله * وفي سنة إحدى وثمانين
وثلثمائة وصل المنصور من بلقين إلى قصره الذي بناه في مسيرة واحد فيه
عيد الأصحى وخرج للناس يوم العيد في ذي حبيب من المركوب والملبوس
ورفع عن أهل المدينة بفيته خراج وكان مالا عظيما وعد ذلك من مناقبه *
وفي شهر ربيع الأول خشن ولده باديس وأهدت له العمال على قدر مراتبهم
وأنته هدية من عند ابن الخطيب عامله على زويلة فيها زرافة وطرف
من أثاث السودان وشيء مستنكر * وقدم إليه عامل طرابلس بهدية جليلة
فيها مائة حل من المال سوى الخيل ولطائف المشرق * وفي هذه السنة
وصل إليه سجل من المشرق بولاية ولده باديس من بعده فسر بذلك
وفيها عزل عامله عن الأربص وسير إليه حولة قبصر فوجد في المخازن التي
للوالى المعزول ستمائة ألف قفيز من الطعام * وفي ذي القعدة خرج منزها
إلى سردانية وخرج إليه الشيوخ من أهل القيروان وسألوه أن يعيد عندهم
فجابههم إلى ذلك * وفي سنة ثلاث وثمانين خرج ولده ولي عهده باديس
إلى مدينته أشير ومعه جدته يعلان * وفي سنة أربع وثمانين رجع من
المغرب إلى المنصورية وكانت أول سفره سافره فخرج إليه أبوه وأهل الدولة
وجمع أهل القيروان فسلموا عليه وكان يوما مشهودا * وأنته من مصر هدية
سنية ومعها الفيل فركب المنصور بعسكرة وتلقاها * ولما كان يوم العيد

خرج باديس لصلاة العيد والفيل امامه وركب في مركب عظيم ولم يخرج معه ابوه ذلك اليوم * واقاما بافريقية ولم يرجعا الى المغرب * وفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة توفي المنصور يوم الخميس لثلاث خلث من ربيع الاول ودفن في قصرة الكبير الخارج من صبرة وكانت امارته نحو ثلث عشرة سنة وكان وجهه الله كريما جواذا صارما حازما عاقلا عادلا بين الرعية وايامه طيبة * وفي هذه السنة في شهر رمضان كانت وفاة نزار خليفة مصر وتولى بعده ولده الحاكم بامر الله بعد وفاة المنصور بستة اشهر * ومن الملوك الصنهاجيين باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيوي بن مناد الصنهاجي وكنيته ابو مناد تولى ملك افريقية بعد وفاة ابيه المنصور في ربيع الاول سنة ست وثمانين وثلاثمائة ورحل الى قصرة بسردانية في رجاله وعبيده واتته الوفود بالتعزية في ابيه وتهنئته بالملك * واستقامت له الامور واحتفل بتجهيز هديته يرسلها الى خليفة مصر فجاءه الخبر بوفاة في شهر رمضان كما ذكر فبقيت بحالها في رقادة الى ان سيرها باسم الحاكم * وفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة عقد لعبد جاد بن بلكين على اشير والمغرب وجعله عملا على تلك البلاد * وفي هذه السنة جاء تسجيل من الحاكم بامر الله الى باديس ولقبه بنصير الدولة بخبره بوفاة نزار والده وعزيه في والده المنصور وبعث تن اخذ البيعة من باديس واهل بيته من بني مناد * وقلد باديس امور افريقية ل محمد بن ابي العربي وخرج الى المهديّة متنزها فقصده سوسة فاقام بها ايام ولما وصل المهديّة لعبت المراكب بين يديه ورمى النبطون بالنفط واقام بها اياما ورجع الى صبرة * وفي يوم العيد سنة سبع وثمانين وثلاثمائة خرج في زي لم ير مثله لقن تقدمه من ابائهم وبين يديه الفيل وزرافتان وجل ابيض ساطع البياض * وارسل له الحاكم خليفة مصر هديّة تشتمل على جوهر نفيس واثاث وطرف من بلاد المشرق تولم العتل فتلقاها باديس ودخلت بين يديه لصبرة * وجاءه الخبر ان زيوي بن عظمة الرناتي خرج بالمغرب وقصده الى بلد

اشير فجهز اليه جيشا عظيما وارسله مع محمد بن ابي العروبي عامله على افريقية
والنقى بزيري بن عطية قريبا من فيهرت فكانت بينهما حروب انهم
فيها عسكر باديس واحتوى زيوي بن عطية على جميع الاثاث والاثقال
والمال والسلاح * فلما بلغ باديس خبر الهزيمة خرج بنفسه الى قتل
زيري بن عطية فخرج من رقدة بعساكرة وشيعة مشيخة البلد والفقهاء
واهل القيروان وجد في سيرة الى اشير وكان زيري محاصرا لها فلما بلغه خبر
باديس رحل عنه وطم باديس في طلبه الى ان ادخله المغرب وكرر راجعا
الى اشير * وفي هذه السفرة خالف عليه اعمامه وكانت بينهم وبينه
حروب انتصر فيها باديس بعد ما كان بينهم الفتنة مائت فيها سبعة آلاف
من زناتة الذين كانوا مع اعمامه ورجع الى القيروان منصورا وبعث
برعوس القتلى فطيف بها في المنصورية والقيروان * وقسم في ايامه
لعل الزناتيين وعاش في جميع اعمال باديس وكانت له مع فلفل وقعات
مديدة * وخرج عنه بعض النوار بطرابلس فخرج بنفسه اليه واستنقذ
طرابلس وولى عليها من قبله * وكانت ايامه كثيرة الحروب والثوار عليه
من اعمامه ومن الرناتيين وكان منصورا عليهم في ايامه * وفي سنة ثلث
واربعمائة جاءته هدية من الحاكم صاحب مصر وسجلت له ولولده المعز
فخرج باديس الى لقائها وخرج ولده المعز ولم يكن خرج قبل ذلك ومعه
القضاة واكابر الدولة وترجل له وقرئت على الناس وفيها اضافة برقة الى
ما بيده من الاعمال فارسل عامله الى برقة * ولم تزل ايام باديس في
مكافحة الاعداء ورحل الى المغرب عدة مرار وكان مقداما جوادا يعطي
الطاء الضخم وكان محسنا لاصحابه ويعفو عن اساءتهم * وخرج الى
المغرب لقتل زناتة فادركهم اجله على مدينة الحمديتة اواخر ليلة من
ذي القعدة سنة ست واربعمائة فحكم اكبر دولته موته وتشاوروا بينهم
فاتفقوا عليهم على تولية ولده المعز وكان صغيرا اذ ذاك لم يبلغ عشر سنين
فجعلوا باديسا في تابوت ورجعوا به الى افريقية بعد ما حلفت الاجناد

لولده المعز وانتقادت له اجتماعه بعد موته أحسن انقياد وأوصلوه في تابوته
 إلى المهديّة وكان ولده المعز بها خرجت به جدته للنراهة وجعلتها حرزا
 لأموالها لما كانت ترى من الفس في دولته ولدها باديس فاستوطنت
 المهديّة * وسكانت ولاية بني زيري في مدينة اشير وانتقل المنصور بن
 بلكين إلى صبرة ثم ولده باديس كانت غالب أوقافه بصبرة إلا أن أيامه
 كانت أكثر حروبا * وأول من يبيع من بني مناد بمدينة المهديّة المعز
 كما سنذكره أن شاء الله تعالى * ومن ملوك منهاجّة المعز بن باديس
 ابن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي يبيع بالامارة يوم وفاة
 أبيه أخذت له البيعة على الأجناد بمدينة المحمدية لثلاث خلعت من
 ذي الحجة سنة ست وأربعمائة وصرة اذ ذلك ثمان سنين وسبعة أشهر *
 ولما وصل الخبر بموت باديس خرج عامل القيروان ومعه الفقهاء والشموخ
 من أهل البلد وأكابر منهاجّة فوصلوا إلى المهديّة وهزوا المعز في والده وهنوه
 بالملك وكانت جدته قباسير لأمور وتصرف الأحوال من رايها فأحسن
 لأهل القيروان وأمرتهم بالرجوع إلى بلادهم وركب المعز بالطبول ونشرت
 البنود على رأسه وقبل الوفود بأحسن قول وظهرت عليه مخائل الملك وفرح
 الناس بما راوا منه من العقل والنجابة وشمائل الكرم مع صغر السن وقابل
 كل إنسان بما يليق به * وفي أول المحرم وصل العسكر الذين كانوا مع
 أبيه وأنوا به محسولا في تابوت فدفن وجددت له البيعة مع الأجناد
 وركب المعز للقائهم وعرضت عليه أكابر الدولة وتعرف أحوالهم وأحسن
 إليهم ورحل من المهديّة إلى مدينة صبرة فحل بها ونزل بقصره وفرح الناس
 بقدمه * ولما استقر بصبرة خرجت طائفة من القيروان وقتلوا جمعة
 من الشيعة لأنهم كانوا يتجأهرون بمذهبهم الخبيث فقتلت نسائهم وأولادهم
 وكانت فتنه بالقيروان من أجل النهب والقتل ولجأ طائفة منهم بالجمع مع
 في المهديّة فقتلوا فيه * وكان لا يرى بالقيروان أحد منهم في الطريق
 إلا ضرب ضربا عظيما وربما قتل وأحرق واجتمع منهم قدر ألف وخسمائة

رجل نحت قصر المنصورية واستغاثوا بالمعز فامر بالكف عنهم * والسعر
هذا هو الذي طهر الله تعالى على يديه افرقيته من مذهب الشيعة وان
كان من مذهبهم الا انه كان لا يتمذهب بمذهبهم * وحمل الناس في ايامه
على مذهب الامم مالك رضي الله تعالى عنه وقطع م عداه * وكانت
بافريقيته مذاهب الصفورية والشيعة والاباصية والنكارية والمعتزلة ومن
مذاهب اهل السنة الحنفية والمالكية فلم يبق في ايامه الا مذهب الامام
مالك * والمعز هذا لما اشتدت سلطنته خرج عن طاعة بني عبيد وخطب
لبني العباس كما سيأتي * وخصر عن طاعته عمه جعد بالمغرب وحاصر
اشير فزحف اليه المعز بعساكر لا تحصى وكانت بينهما وقعات وحروب
انتصر بها المعز على عمه وءاخر الحبل رجع الى الطاعة وبعث ولده بكتاب
يسال فيه العفو عما سبق منه فعفا عنه * واجرى المعز على ابن عمه جاد في
اقامته كل يوم ثلثة آلاف درهم وخمسة وعشرين قفيزا شعيرا لدوابه ودواب
اصحابه وخلع على اصحابه مائة خلعة واعطاه ثلثين فرسا بسروج الذهب
ومن الثياب المشققات ما لا يدخل تحت حصر وانفذه الى حضرة ابيه
وفرغ من صلته في جميع بلاد المغرب * وبسعت اليه الحاكم خليفة مصر
نجديدا بولايته ولقبه بشرف الدولة * وفي سنة ثمان واربعمئة بعث
اليه مولاه صندل وكان عاملا على باغاية هدية فيها ثلثمائة وخمسة وثلثون
برذوخا بالنسروج المحلاة وعبيدا وشيئا مستكثرا * واهدى له الحاكم
صاحب مصر سيف مكللا بالدر ليس له قيمة وكتب اليه تشريفا لم
يكتب مثله لاحد من اجداده قبلا * وتوفيت جدته سنة احدى عشرة
واربعمئة فكننها بما قيمته مائة الف دينار وعمل لها تابوتها من العود
الهندي مرصعا بالجواهر وصفائح الذهب وسر الشابوت بمسامير الذهب
وزنها اثنى مئتين وادرجت في مائة وعشرين ثوبا وذر عليها من المسك *
والكفور ما لا حد له وقاد الشابوت بهدى وعشرين سبعة من نفيس
اللباس * وفي سنة ثمان مئة واربعمئة مائة واربعمئة * وحملت

إلى المهدية فدفنت بها وأمر العز بنخسب ناقة ومائة رأس من البقر
 والنف شاة فحوت وانتهبها الناس وفرق في مائتها على النساء عشرة آلاف
 دينار * وصنع وليعة لعرسه سنة ثلاث عشرة وأربعمائة لم يستكن مثلها
 لأحد في بلاد المغرب * ولما بدا بالحركة للعرس نصبت القباب خارج
 المدينة وفهر ما فيها من الأثاث والذهب وحمل المهر على عشرة أبعال كل
 بغل عليه عشرة آلاف دينار وحضر من الآلات الملاحية ما لا يوصف وقوم
 حذاق التجار ما جل للعروسة فكان أزيد من ألف دينار * وبقيت
 له مصانع وتصوير لم ير مثلها وصنع إيواسه الأعظم وبني الخورنق تشبيها
 بخورنق النعمان بن المنذر بالعراق * وأيسام ملككم أربت في الحسن
 على أيام بني مند * وفيه أيامه اشتدت شوكة زناقته من ناحية طرابلس
 وكانت له معهم حروب ولم فيهم فتكات * قلت والزنايون هم الذين
 يتنهي عليهم عدد من العمل ويذكرون كثيرا من بخلته أخبرهم عدد
 يذكرون سيرة بني هلال وما جرى لهم مع خليفة الزناني ولاهل طرابلس اهتمام
 بسيرتهم حتى لا يذكر بينهم حديث إلا بها وكذلك عند هوام أهل مصر له
 صيت لاستمات * والعز كان إكرام أهل بيته بالمال وكان ديناً يجتنب سفك
 الدماء إلا في حق وكان رقيق القلب حديد الذهن عارف بعدد صنائع من
 الألمان والتوقيعات وعلم لأجر ولم شعر جيد وهداة ملك الروم بهدية
 جليلة وفتح جزيرة جربة * وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أظهر الدعوة
 لبني العباس وورد عليه عهد من الأمام القائم بأمر الله العباسي وفي سنة
 أربعين وأربعمائة قطع خطبة بني عبيد وقطع بيوتهم وأحرقها بالنار * وفي
 أيام المعز خرج غالب البلاد عن طاعته وكثرت عليه المحالفون وخالف
 سوسنة وقفصة وصفافس وباجتة وخرج جل البلاد الغربية وفي أيامه كان
 ظهور لثوثة ببلاد المغرب واستولوا على جميعها وسياتي بعض خبرهم أن شاء
 الله تعالى * وفي أيامه جاءت العرب من المشرق وسكنوا بأفريقية وسبب
 دخول العرب إلى أفريقية أن المعز بن باديس لما قطع خطبة صاحب مصر

وهو المستنصر بالله كان يسب بني عبید سرا لے ان صرح به على المنابر
وكان یكاتب وزیر المستنصر ویستميله ویعرض له بالتخريف علیهم وانما
یكتب له تلويح لا نصريحا وكتب اليه قطعة بخط يده وتمثل فیها
بیت من الشعر وهو

وفيك صاحب قوما لا خلق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا
فقال الوزير لبعض اصحابه الا تعجبون من صبي بوبري مغربي يحب ان
يحدع شيخا عربيا عراقيا وانما اراد العزان يوقع بين الوزير وخليفته الشر
ولما طلع طاعة بني عبید وجاءته الخلع من بغداد اشار الوزير على المستنصر
العبيدي بارسل العرب فارسل المستنصر لے ضرب الصعيد الذين بمصر
وارسلهم لے المغرب واباح لهم من برقة الى ما بعدها واعاقهم على ذلك بمال
وهم رباح وزينة وعدي بطون من بني عامر بن صعصعة فلما وصلوا لے
افريقية عثوا فيها كيف شاءوا وملت ايديهم من النهب فتسامعت
بنوهم بذلك فطلبوا من الخليفة الاسحاق بن تقدمهم فسمعهم من ذلك
الا ان يعطوه شيئا من اموالهم فخذ منهم اضعاف ما اعطاه لبني عبید
وسرحهم ولما وصلوا لے المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة باقليم طرابلس
وكثروا صورههم وفسدوا البلاد ولمسا قروا من افريقية خرج المعز في
جمع من صنهاجة وزناتة فاجتمع له عسكر عظيم فالتقى معهم وكان
بيتهم صافي فخذلهم زناتة وانهزمت صنهاجة حتى لم يبق معه الا
عبدة وكان عدد العبيد عشرين الفا وثبت المعز في تلك الحروب ثباتا لم
يشبهه امير هزم جيشه وهاخر الحال انهزم ورجع لے المنصورية واقبل
العرب حتى نزلوا بازاء القيروان واقتتلوا بين وقادة والقيروان ومات بين
الفريقين خلق عظيم * ولما رأى المعز ما حل به ركن لے الصلح ورفع
الحرب بين العرب وبينه واباحهم دخول القيروان ليشتروا منها ما يحتاجون
اليه ووطن انهم يرجعون لے بلادهم فلم يغن عنه ذلك ومكوا البلاد بأسرها
واقسموا برابرها وفسدوا حواضرها وكان الخطيب جبالا * فلما رأى المعز كثرة

ضررهم ومجزه من دفع اذاهم وحل الى المهديّة وبها حشمه وكان ولده تميم واليا عليها وخرج في رمضان سنة تسع واربعين واربعمائة ونهبت العرب القيروان وكان ذلك سبب خرابها وجلاد اهلها عنها ولما وصل الى المهديّة تلقاه ولده تميم وترجل له وقبل يده وادخله البلد قسم الامر الى ولده تميم في حياته فقام بعمور الدولة احسن قيام وتوفي المعز سنة ثلث وخمسين واربعمائة فكانت ايام ولايته تسعا واربعين سنة وكان من الكرم على جانب عظيم قيل انه اهدى لبعض اصحابه في يوم واحد مائة الف وسبعين الف دينار الا ان ايامه كثرت فيها الفتن وقام كل عامل ببلده وخرج عن طاعته والملك لله وحده * وممن الملوك الصنهاجية تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري مولده بالمصورية سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وولاه ابو المهديّة سنة خمس واربعين واستبد بالملك يوم وفاة ابيه ودخل اليه الناس وهنوه بما صار اليه وكثرت في ايام تميم الثوار من كل فيه فقام عليه اهل تونس وخرجوا عن طاعته فارسل اليهم جيشا عظيما فحاصروها سنة وشهرين والقائم بتونس هو ابن خراسان فلما اشتد عليهم الحصار صالحوا عسكر تميم على ما رضي به تميم وارتحلوا عنها وخلفت عليه ببلد سوسة فحاصروها وفتحها منه وقطن دماهم وخرج عليه جو بن قلقل البرغواطي ببلد صفاقس فخرج اليه تميم في جمع من الربر والعرب مثل رغبة ورياح فكانت بينهم مصاف وانتصر تميم وانهزم البرغواطي * وفي ايامه طردت بنو ورياح رغبة عن افريقية وباعت القيروان من النظر بن علاء الناس بن جاد وجاءت بنو قرة من ناصية برقّة ونزلوا بازاء القيروان * وفي سنة سبع وستين واربعمائة اصطلح تميم مع النظر بن علاء الناس وزوجه ابنته وارسلها اليه في عسكر عظيم وبعث معها من الاموال والذخائر ما لا يوصف وولى ولده مقلدا على طرابلس وتم الصلح بينهما * وقام عليه مالك بن علي الصخري بجمع كبير من العرب ونزل المهديّة فقاومه تميم حتى رحل عنها خائبا الى القيروان فبعث اليه تميم بعسكر كثير محاصرة بها مدة فلما

علم مائل ان لا طاقة له فر عن القيروان وحاصر تميم فبس وصفاقس في وقت واحد وفي غيبته جاءت عمارة المهديّة من الجنويّة والبلنسيان نحو ثلثمائة مركب فنهبوا المهديّة وزوبلة واضرموا النار في البلد ولم يكن بها مدافع لهم لغلبة الجند عن المهديّة وكان عدد الروم ثلثين ألف مقاتل فغسروا ورحلوا عنها * وفي ايام تميم كانت الجماعة العظمى بافريقية والوفاة الذي لم يسمع بمثله وذلك سنة ثلث وثمانين واربعمئة وغالب اوقاته كان مقاوما فيهن لمن ثار عليه وقاسى حروبا مع العرب وبني عجم وكان رحمه الله ذكيا مفرطا في الذكاء وينظم الشعر ويجيز من مدحه ويحب المداومة والاستماع ومن قدمائه ابن رشيق القيرواني وله فيه المدايح الطنانة وكان احلم بني مناد واعفهم عن الامور العظام وانقدهم للشعر وله اخبار عجيبة اضربنا عنها خوف الاطالة * وفي ايامه استولى عدو الدين على جميع صقلية وكان ذلك سنة اربع وثمانين واربعمئة اعادها الله للاستلام * وحيث انتهى بنا ساق الحديث الى صقلية وان كنا اثينا بطرف من ذكرها فيما تقدم وجب لان ان نذكر طرفا منها لزيادة الفائدة ولكن على سبيل الاختصار وليكن المتامل هنا على بصيرة من ان صقلية كانت تحت حكم افريقية برهة من الزمان * فاقول وبالله المستعان قد تقدم في اول الكتاب فتح الجزيرة على يد الشيخ البرصكة اسد بن الفرات من قبل ابراهيم بن الاغلب في خلافة امير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد وقد اولتها المعال من قبل بني الاغلب الى ايسم ابي عبيد ولا كان الخليفة العبيدي وهو المنصور بالله بن القائم بن المهدي متوكلنا من البلاد العربية وثم له الحكم على سائر اعمالها عقد ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي ابن ابي الحسن الكلبي وذلك سنة ست وثلثين وثلثمائة واستمر الحسن بها حتى مات المنصور وتولى ولده المعز واقل الحسن الى افريقية واستخلف على صقلية ولده احمد في سنة اثنين واربعين وثلثمائة ووفد على المعز بجماعة من اهل صقلية فبايعوا المعز وخلع عليهم واعادته الى عمله * وفي

سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث إليه كتاب يهزمه بختن أطفال الجزيرة
وكسوتهم في اليوم الذي ينحس فيه المعز ولده في مستهل ربيع الأول من السنة
المذكورة فابتدأ الأمير أحمد بختن اولاده واحوته ثم الخدع والعام وحلج
عليهم ووصلهم من المعز مائة ألف درهم وخمسون جلا من الصلوات ففرقت
بين المختونين وكانت جللتهم خمسة عشر ألف طفل * وفي سنة اثنتين
وخمسين بعث الأمير أحمد بسبع طبرمين بعد ما فتحها وجلت ألف وسبع مائة
ونيف وسبعون رأس * وفي سنة ثلث وخمسين وثلاثمائة بعث المعز اسطولا
عظيما وقدم عليه الحسن بن علي والد الأمير أحمد فوصل إلى صقلية وكان
بينهم وبين الروم حرب شديدة انتصر فيها الحسن وقتل من المشركين
أزيد من عشرة آلاف وغنم مغنا عظيم ومن جلته سيف منقوش عليه -
طالباً صربت به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - فبعث به
وبالسبي إلى المعز وتوفي الحسن سنة ثلث وخمسين وثلاثمائة وفيها استقدم
المعز لدين الله الأمير أحمد من صقلية بماله وولده واستخلف يعش مولى
أبيه على الجزيرة ولما وصل أحمد إلى أفريقية أرسل المعز علي بن الحسن
تأقبا من أخيه أحمد وبعث المعز الأمير أحمد مقدما على اسطول إلى مصر
فلما وصل طرابلس اعتل بها ومات بها وبعث المعز إلى الأمير علي سجلا
بولايته بعد أخيه فمكث اثنتي عشرة سنة ومات في غزوة بالارض الكبيرة
بمكان يعرف بالشهيد عرف به لأن مقتله هناك * وتولى ولده جابر من
غير عهد من الخليفة وكان جابر سيئ التدبير فعزله الخليفة وبعث مكانه
جعفر بن محمد بن الحسين وبقي واليا عليها حتى مات سنة خمس وسبعين
وثلاثمائة * وتولى اخوة عبد الله وتوفي سنة تسع وسبعين * وتولى ولده
أبو الفتح يوسف بن عبد الله وكان حسن السيرة واصابه فالج فتولى
ولده جعفر في حياته واتاه سجن من الحاسك ولقبه تاج الدولة
واحدث مظالم على أهل صقلية فخرجوا عن طاعته وحاصروه في القصر فخرج
إليهم أبو يوسف في محفة وشرط للناس عزله وسكنهم وقدم عليهم أخاه أحمد

ولقبه زبيد الدولة وذلك سنة عشر وأربعمائة وبقي إلى سنة سبع وعشرين خرج عليه أهل الجزيرة فقتلوه وتولى أخوه الحسن ولقبه صمصام الدولة واضطربت الأحوال في أيامه وكثرت الشوارع فأخرجوا صمصام الدولة وانفرد كل إنسان ببلد فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمارر وطرا بني وغيرهما وابن الخوأس بقصر بانة وجرجنة وغيرهما والقائد ابن التمننة بسرقرسة وقطانية وقامت بينهم الفتن ونصر ابن التمننة بالأفرنج من مائطته وهون عليهم أمر المسلمين وكان أمير الصاري اسمه روجار فساروا مع ابن التمننة إلى البلاد التي بأيدي المسلمين فحاصروها واستولوا على مواضع كثيرة من الجزيرة فحينئذ فرق الجزيرة جماعة من العلماء واتوا إلى المعز يستنجدون فبعث أسطولا للجزيرة فلم يغن شيئا وذلك لاضطراب الجزيرة فلم يزل العدو يأخذ الجزيرة شيئا فشيئا ولم يثبت غير قصر بانة وجرجنة فحاصرها الأفرنج أشد حصارا حتى أكلوا البنية فسلم أهل جرجنة وبقيت ياقمة ثلث سنين ثم ادعوا واستغلب روجار على سائر الجزيرة في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ومات بعلة الخوانيق وعمره ثمانون سنة * وتولى بعده ولده فاربي عليه في الحزبي وسلك طريقة ملوك المسلمين من الجناب والجناب واسكن الأفرنج في الجزيرة مع المسلمين وأكرم المسلمين وقربهم ومنع من التعدي عليهم وكانت أساطيلهم مشحونة بالمسلمين والأفرنج وأخذ كثيرا من بلاد الإسلام وهو الذي أخذ المهدية وسوسة وجرجنة وطرابلس وأتممت يده في البلاد وملك عدة جزائر في البحر وبلغت بعونه إلى المشرق وملك أنطاكية وكانت له فتكات لغنة الله عليه * وجزيرة صقلية من أجل الجزائر التي في البحر وبها مدن عظيمة وأشهر مدائنها مدينة بليرم وهي المدينة العظمى على ساحل البحر محاذة ليه الجبال وهي ثلث أسطمة وبها المدينة القديمة المسماة بالخالصة كانت مستقر السلطان * وكانت الخالصة في أيام المسلمين دار الصناعة لإنشاء المراكب ومكنت في أيدي المسلمين مائتي وثيف وسبعين سنة أعادها الله للإسلام * وما ذكرت هذه النبذة إلا لتكونها فتحت على يد عمال أفريقية

ولم يزل نحت الحكم إلى أن قدر الله بردهما لأعداء الدين والمسبب
 المنحصر في الهلاك التماسد والفتن حسم الله هذه المأداة عنا لأننا في ظروف منها
 عسى الله أن يعافين ويلطفه يداركنا * ولنرجع إلى ما كنا فيه من بقية
 أخبار تميم بن العز قال ابن أيوب وتوفي تميم بن العز صاحب أفرقيته
 سنة إحدى وخمسة مائة وعمره تسع وثلاثون سنة وأيم ولايته ست وأربعون
 سنة وعشرة أشهر وعشرون يوما وخلف مائة ولد ذكر وستين بنتا وقول
 ولده يحيى من بعده * وممن أمراء صنهاجة الأمير يحيى بن تميم
 ابن العز بن باديس بن المنصور بن يوسف بلكين بن زيري بن مناد ثم له
 الأمر يوم وفاة أبيه وعمره حينئذ ثلث وأربعون سنة فركب على العادة بأكابر
 الدولة وغير لباس الحزن وفرق في الناس أموالا ووهدهم بالجميل ففرح
 الناس به ولما استولفت له الأمور عدل في وعيته وجرد مسكرا إلى
 قلعة إقليبيته ففتحها وكان أبوه لم يقدر عليها وبعث أسطولا إلى بلاد
 الروم فغنمت وكانت عمارته في البحر كل سنة مصورة وكان يبشر الأمور
 بنفسه عارفا بها وكان رحيم بالضعفاء مطلقا لكتب السير وأجبر الزمان
 علما بالنجوم وأحكامها وبصناعة الطب وينظم الشعر الجيد حسن الخلق
 ودامت ولايته ثمان سنين وستة أشهر وتوفي وعمره اثنتان وخمسون سنة
 مات فجأة أول ذي الحجة سنة تسع وخمسمائة وخلف من الذكور
 ثلثين ومن البنات عشرين وكانت أيامه أيام عدل إلا أن حله دخلة القهقرة
 والمالك لله الواحد الفهار * وممن أمراء صنهاجة الأمير علي بن
 يحيى بن تميم ثم له الأمر بعد أبيه باتفاق من جنده وكان في صفاقس
 فأرسلوا إليه خفية من أخوته فجاء إلى المهديّة وقدم إلى القصر فتوفي
 تجهيز أبيه ودفنه ودخل الناس عليه فهنوه بالمالك واستقدم له الأمر وأبتدا
 دولته بتجهيز أسطول إلى جربة فحاصره وفتحها ولم تكن طامت لمن
 سلف من أجداده مع سعة ملكهم وكثرة جيوشهم وحاصر تونس وضيق عليها
 فصالحها صاحبها أحمد بن خولسان على ما أراد وبعث جيشا إلى حصر

وصلات فصرى بهم وفتحهم جنوة وكان اهل اهل فساد ونفاق وصمى
عليه رافع عامله على فابس وبعث الى وجار صاحب صقلية فدخل تحت
طاعته وطلب منه الاعانة على الامير علي بن يحيى واجتمعت لرافع جموع من
العرب وقصد المهدية وحاصرها فمكر به الامير علي باستجلاب نفوس الاعراب
ووعدهم واعطاهم فخذلوا رافعا فمروا الى القيروان واقسمت العرب بينهم
البلاد وفويت شوكة العرب في ايدهم وكبرت بينه وبين صاحب صقلية
الوحشة فعث اليه يهدده بغزوة المهدية فهيا الامير علي مراكب في البحر
واستخدم لاجناد وكثر من الرجال وعمر المدينة واخذ اهبة الحرب ومشت
بيهما مراسلات بالتهديد من الجانبين واراد علي ان يستصر بامير المسلمين
يوسف بن تاشفين لان الامير علي علم انه ليس له طاعة بصاحب
صقلية فاحذر منه بغيته حياته إلا انه وقع بينهم الصلح في الظاهر
دون الباطن * وفي ايام علي دخل محمد بن نورث الى المهدية وغير بها
المنكر وسياتي خبره ونوفي الامير علي سنة خمس عشرة وخمسائة من مرض
اصابه وفوض الامر في حياته لولده الحسن وعمه اثنى عشرة سنة وبيع يوم
 وفاة والده والله يرث الارض ويكن عليها * ومضى امراء منهاجته الامير
الحسن بن علي بن يحيى بن نعيم بن العزيز بن باديس ثم له الامر يوم وفاة
والده وهم يديرون دولته القائد صندل مولاه وركب على عادته وطاف البلاد
وفرح الناس به وفرق اموالا في العبيد والاجناد وخلق على اصحاب دولته
واكابر اجناده * وفي ايام الحسن تحرك صاحب صقلية على اخذ المهدية
ومتشه نفسه ان يستاصل افريقية فحشد من جميع البلاد وجمع جيشا عظيما
وبعث بسطول عظيم الى المهدية فلما احس الحسن بن يحيى اهل صقلية ارسل
الى البلاد واستعد لهم استعدادا كبيرا واجتمعت له مائة الف رجل وخمسة
عشر الف من الخيل ونزلت طائفة من النصارى من الاحاسي وتحصنوا بتصر
الديمار فانذر المسلمين بهم فخذوهم * وكان عدد المراكب الواردة
من صقلية ثلثمائة مراكب منها مائة مشحون بالسلاح والاث الحرب و

الخيال الف فارس وفرسان وكان غالب المراكب طشت قبل وصولها من
 مدة هيجان البحر فلم يرجع منها لك صقلية إلا قدر مائة مركب ولم ينج
 من الخيل إلا فرسان * وفي أيام الحسن قصد صاحب بجاية اخذ المهدية
 لانهم سمع بالامير الحسن انه صالح الملك رجار الرومي صاحب صقلية
 ووقعت بينهما الهدنة وكان ذلك لان الحسن ارسل اليه بهدية وصالحه
 مخافة من شره فتم الصلح وشرط اللعين طلبه شروطا قبلها فكتب اهل
 المهدية يحيى بن العزيز الحمادي صاحب بجاية واطمحوه بتسليم البلد
 فوثق بهم وبعث اليه جيشا في البر ومراكب في البحر وبعث مقدم الجيش
 اللقيم مظرف فنازلها برا وبحرا وجاءته العربان من كل فج ولم يكن له
 ارب في القتل لا طماع اهل البلد اياه وطال الحصار على اهل المهدية وانصل
 الخبر بوجار صاحب صقلية فبعث اسطولا عظيم للنصرة الحسن وامر المقدم
 على الاسطول ان يقف ضد امر الحسن ونهيه فلما جاء اسطول اللعين
 وانتشر حول المهدية طاح م بين صاحب بجاية واراد النصراني ان يعكس
 مراكب اهل بجاية فعنع الحسن وامره بالكف عن القتال لانه كره
 سفك دماء المسلمين وفرت مراكب بجاية بالخسبة ورحل الذين كانوا
 منازل المهدية من البر بعد اقامتهم عليها سبعين يوما وذلك سنة تسع
 وعشرين وخمسمائة ورجع الاسطول الى صقلية وكتب الحسن كتابا الى
 الملك رجار يشكره على فعله وانه داخل تحت امره ونهيه فتأكدت بينهما
 المحالصة وعند ذلك استقامت امور الحسن * وفي هذه السنة ارسل عدو الله
 رجار اسطولا الى جزيرة جربة مشحونا برجال المسلمين من اهل صقلية ورجال
 من الافرنجيين بعدد وقوة عظيمة ونازل جزيرة جربة واخذها عنوة بالسيف
 وقتل رجالها وسبي حريمها وبيعتهم في صقلية ورجع اليه تسام ودخل
 تحت طاعة رجار وولى عليها حاملا من قبله وكتب لهم اماما من عنده
 وجعلهم خولا له ودانت له بلاد المهدية وجربة وخافتم البلاد كلها وتشمع
 اللعين بانفسهم والحسن في غالب اوقاته يدافعهم من نفسه بالتي هي احسن

إلى أن كانت سنة ست وثلاثين وخمسمائة ابتدأت بينهما الوحشة بسبب
 مال استسلمه الحسن من بعض وكلاء اللعين ومأطلة به * فبعثت مراكب
 إلى المهدية وأظهر مشرة فدافعهم بالحصى وأهدى إليهم عدة أسارى فلم تقع
 عنه شيئاً وأرسل الحسن رسولا إلى أملاك رجار ولأطنه وشرط اللعين شروطاً
 على الحسن فقبلها ودخل تحت طاعته وجعله مأملاً من عماله وهادئاً هداة
 مكر * وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة نازل اللعين مدينة طرابلس
 فهزموه ولم يتعلق منهم بشيء وفي هذه السنة بعث إلى جيجل فخذها
 عنوة وسفكت دماء أهلها وسبى حريمهم وأحرقهم بالنار وهي من عمالة بني
 حجاد من ولاية بجاية * وفيها ملك جزيرة قرقرت وسبى أهلها وباعهم في
 صقلية وتسلم ورجع لها دخل تحت طاعته وخافته جل البلاد الأفرقية *
 وفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة أرسل مائتي مركب إلى طرابلس
 وفتحهم عنوة وقتل وسبى وغنما عن الباقيين وأحسن إليهم وأمن من جاء عارياً
 وأذنوا لطعته ولما ذاع خبر طرابلس خافته جميع البلاد الأفرقية وكسب
 إليه صاحب قابس يتطرع إليه ويتطوف وسلم له ما تحت يده ورضي
 أن يكون مأملاً له فكسب له سجلاً بذلك وبعث له ما يشرف به من
 شريف النصارى وحبى أموال قابس من تحت طاعته * قبلت أحوذ
 بالله من الخذلان وإلا كيف تعد هذه الطائفة من حزب المسلمين وإنما
 هي من حزب الشيطان لكن حب الدنيا والرياسة الجائهم إلى هذه الرذائل
 وحبك الشيء يعني ويعصني * وفي هذه السنة كان القحط بفرقية حتى
 فر غالب الناس إلى صقلية * وفي سنة اثنين وأربعين وخمسمائة استعان
 معمر بن رشيد بالحسن صاحب المهدية وجمع من الأعراب على يوسف
 صاحب قابس وعاصدة محرز بن زيد فحاصروا قابس وقتلوا يوسف
 عاملها واحتوى محرز بن زياد عليهم * ومسر القائد عيسى أخو يوسف
 إلى صقلية وأعلم النصراني أن الحسن ممن أمان على قتل يوسف فنفى
 اللعين من ذلك لكون كل منهما تحت طاعته فعول على فزو المهدية فحشد

جيشا عظيما وبعثه في مراكيب مشحونة بالسلاح والاثاث الحرب فذهبوا
 المهدية على حين غفلة فانذهل الناس عندهم واواكاسطول ففرت الناس ولم
 يحسن لهم مدافع وفر المحسن دون قتال وجل اهلهم وسمن ساعده وخلف
 ذخائره وبعض اهلهم وتوجه الى المعركة التي بمقربة من تونس ونزل عند
 محرز بن زياد فرحب به واكرم مشاة وام اهل البلد فتراجعوا عنه * وان
 المقدم على الاسطول لما دخل المهدية امر بالكف عن القتل والنهب ونذى
 في الناس بالامان وسمن له مسكن رجع اليه وهدن اهل البلد واحسن
 لمن رجع واحتوى على ذخائر المحسن وعائاته ما لا يوصف ولقي بعض
 اولاده واهله وامهات اولاده بعني اولاد المحسن فاحسن اليهم وارسلهم لصقلية
 وعمر عدو الله المدينيتين زويلت والمهدية ودفع للتجسس رخص اموال واحسن
 لفتحاتهم وجعل ماضيا مرضيا يحكم بين الناس ومهد قواعد البلدين وبعث
 في اثناء ذلك بجيشين احدهما لسوسة والاخر لصفاقس ام اهل سوسة
 فسلموا له البلد دون قتال فاحتوى عليها عدو الدين ونهبا واعاد لها اهلها
 واما اهل صفاقس فدافعوا عن انفسهم بقدر طاقتهم واخذوا العدو منوة واخذ ما
 فيها ورد اليها اهلها واحسن اليهم واولى عليهم ولادة من قبله * وجاءته وفود
 العرب واكابرهم فدخلوا في طاعته واستوثق له الحكم على اكثر البلاد وجبى
 خراج رعاياها برفق منهم واحسان واستمال الناس وسر فيهم سيرة حسنة
 بالرفق بهم وقابل قلعة اقلبيية فلم يقدر عليها لتجمع اكثر العرب فيها *
 ولسم تزل هذه البلاد بيد اللعين الى ايسام امير المؤمنين عبد المؤمن بن
 علي فاستنقذها من ايديهم سنة خمس وخمسين وخمسائة ورد الامير
 المحسن الى المهدية حكما سيأتي ان شاء الله تعالى * والامير المحسن هو اواخر
 الصنهاجيين من بني مباد * واول من ملك افريقية بلكين عند رحيل المعز
 الى مصر كما سبق في اول الكتاب وان كان زيري ومناد ملكين فنهما لم
 يصرفا في عمل افريقية * وعسدة سن ملك منهم افريقية ثمانية اخرهم
 المحسن الا انه لم يبلغ م يبلغ من قبله لان ملك من تقدم من اجداده من

برقت له لسان وما وراء ذلك * وقسمت البلاد بينهم بعد موت المنصور
ابن بكين فقام حاد بن بكين على ابن أخيه بديس وجرت بينهما عدة
وقائع * واحتوى حاد على البلاد الغربية وصارت بلد بجاية دار ملك
بني حاد كما ان بني زيوي دار ملكهم اولا المصورية ثم انتقلوا الى المهديّة
في زمن العزيز عند دخول العرب وقد تقدم * ومدقنهم في بلد المنستير بقصر
السدة وكان لهم باموس عظيم وعساكر عديدة وبلغوا وتبته السلاطين *
قلت وانا استغفر الله ان بني حفص لم يبلغوا ما بلغوا وان كان ذكرهم
عد الناس اكثر إلا النادر منهم وكون بني حفص خطب لهم بامير المؤمنين
ولم يخطب لبني مناد بامير المؤمنين وكانوا كلهم اهل نجدة وشجاعة
واحسان ومعروف * والحسن هذا الذي هو آخرهم كان قوي النفس
جتمعت الفكر لا يتزعزع اعظام الامور ولا يتزعزع لنوائب الدهور مستوقد
الدهر شجاع القلب كريم النفس حسن الفروسة ينظم الشعر إلا ان ايام
ملكهم اخذت في الادبر * وانقطعت كواكب سعودهم واقلت من
منارهم الشمس والاقمار * وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها * ولا يباس
سقيمها * وبهذا جرت عادة الله في خلقه انما الدهر دول بعد دول لا يسالها
يفعل وهم يسألون * ولتختم هذا الباب بفائدة وهي ان عبيد الله المهدي
ما اراد بناء المهديّة ووضعت اول حجر منها امر ان يرعى بسهم من عند الحجر
الى مذبة المغرب فانتهى الى المصلى فقال المهدي الى هاها يبلغ صاحب
الحمار يعني ابا يزيد الخرجي وامر بفيس مسافة الرميّة فكانت مائتين
وثلاثاً وثلثين ذراعاً * فمسال هذا عدد ما نقيم بيدينا والبناء سنة ثمان
وثلاثمائة واخذت سنة ثلث واربعين وخمسة فالتق الحساب كما قال
تقريباً او تكون سنين شمسية فالجالة بينهما قريبة على ما اخبر به
وذلك ان الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه قتل سنة احدى وستين
ولم يكن لبني فاطمة بعده ملك الى ايام ظهور بني عبيد واستقرارهم في
الخلافة لانهم يجعلون ابتداء امورهم ببناء المهديّة فلهذا التي بين مقتل

الحسين وابتداء الملك عثمان واربعمائة سنة فتكون ايام دولتهم بقدر ذلك لان دولتهم انقرضت باخذ المهدية وان بقيت بقيت منهم بغير في تلك المدة لان العاصد توفي سنة سبع وستين وخمسة فبن المهدي لم يخبر بدوام الملك لهم الا بدوام المهدية واذا خرجت خرج الملك عنهم فكان كذلك لان المدة الزائدة كان فيها اضطراب فلا يعد * ومسئول ذلك ان المعز لدين الله لما اراد ان يتوجه لمصر قبل لبكين يا يوسف اعلم ان المهدية دار ملكك وصيافة ذريتك وملكك ملصق بملكنا فمضى خرب ملك المهدية خرب ملكنا لان ملك المهدية خرب بموت علي والد الحسن فان الحسن لا يعدونه سلطانا لان خلاصه من الملك وخروجه عن سلطنته كما انهم لا يعدون من الخلفاء من كان بعد الامر باحكام الله لان الامر هو العاشر من الخلفاء على نسق واحد اب عن جد ومن بعده خرجت لابن عمه وكذلك جعل بعض من يعطى هذا الحساب ان العشرة من الخلفاء الذين هم على نسق واحد يقابلونهم بعشرة من صنهاجة على نسق واحد اولهم مناد وماخرهم الحسن وان اردت فاسقط الثلاثة الذين حكموا بالمغرب وعد من الذي اخذ مصر وهو المعز الى الامر باحكام الله تجد سبعة على نسق واحد فقابلهم بسبعة من صنهاجة اولهم بلكين لانه تقدم من قبل المعز على افريقية * وكما ان المعز اول المصريين فيوسف اول من تملك في الافريقيين الى علي فيكون العدد سبعة سلاطين وسبعة خلفاء كلهم مستقل غير مغلوب عليه * وهذا علم لا يعلمه الا الله وما ذكرت هذا الكلام الا لان مثله لا يصدر الا بالهام من الله او اخبار عن مصدق وان ثبت هذا الكلام من هؤلاء القوم فهم عندي من اجل بيت النبوة بلا شك والله حبيب من طعن في نسبهم بلا دليل ثابت * وهذه الاخبار تكون لهم من الكوامت ورايت كثيرا من التواريخ نثني عليهم بالحسن الجميلة والعلوم الجليلة الا ما قل منهم واليعض يخرجهم عن دائرة الاسلام لاطهارهم مذهب الشيعة والعلو فيه والتمنع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم واهل البيت يحجل قدرهم عن الرذائل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . انتهى خبر منهجته وتسلوة الدولة الحفصية *

الباب السادس

في الدولة الحفصية

فيه فصلان الفصل الاول في ذكر تن تولى من الخلفاء بالمغرب ودانت له البلاد وتن بلغ درجة الملك ولم يساغ درجة الخلافة وتن بلغ درجة الخلافة ولم يتسم به وتن بلغها وتسمى بها وتن لم يبلغها وتسمى بها وكيف اتصل كلام بني حفص ليكون قوطنة لاخبارهم * ويعلم المتامل مبتدا امرهم اذا سرح طرفه متشعاع لا ثارهم * والفصل الثاني في كيفية اتصالهم بالملك وبعض اشياء من اخبارهم وسيرونها ومحاسنهم *

الفصل الاول

اعلم ايها المتامل اصلح الله احوال الجميع انه تقدم في ما نقلته وأوردته هنا ان افريقية لما فتحت في صدر الاسلام كانت دار الامارة بالقيروان ومن هناك نخرج العمل الى اخر المغرب ومنها فتحت الاندلسية وصقلية * ولما كانت سنة خمس وثمانين ومائة دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم لاوي الى الاندلس فارا من بني العباس لما سلبوهم ملكهم فاستحوذ على بلاد الاندلس واستقل بها ودامت في ايدي بني امية وخرجت الاندلسية عن طاعة بني العباس فلم تكن لعمال افريقية عليها يد * وقال بن المورخين : يع امير المؤمنين هارون الرشيد باجتماع الامم ما عدا جزيرة الاندلس وذلك لبعدها والكم رحا اهل بين المملكة بن * وفي سنة ثمانين ومائة ظهرت بنو ادريس في المغرب وبلغهم خلق من البربر واستخلفوا هناك وتسموا بامراء المؤمنين واسكن لم بلغوا درجة الخلافة ولما ظهرت بشر جديد بالمغرب وقعدوا متعدد الخلافة

فازعوا الأدارسة في أعاليهم وانزلوهم منازلهم واستحوذوا على أحوالهم
 بأيديهم إلى أن ساروا إلى بلاد المشرق وخلفوا منهم سبعة عمال لهم
 وملكهم بلاد المغرب فظهرت زنايتهم بالمغرب ونمسكوا بدعوة الروانيين وكانت
 بينهم حروب كثيرة من الفريقين فمن تمسك بالدعوتين هلك لا يعلمهم إلا
 الله تعالى . وخرجت عساكر بني أمية لبر العدو وأحسنوا إلى من تمسك
 بدعوتهم وسيزوا بين عمل هاشم وأمية إلى أول المائة الخمسة ضعفت فيها
 الدولتان وقام بالمغرب عدة قوام من المفسدين وقليل من المصلحين فقتض
 الله سبحانه وتعالى دولة الملقين صنف من الرذائل من لؤنة ويقال لهم
 المرابطون فملكوا بلاد المغرب بأسرها وكانت أيامهم مستقيمة إلى أن قام
 عليهم ابن نوموت المهدي . ولم يتعم أحد من لؤنة بنسب الساطن إلا يوسف
 ابن تاشفين تسمى بأمير المؤمنين وخطب له بهذا الاسم ولقبه من بعده
 وكان له سلطان بالمغرب وبلغ درجة الخلافة . ولما قدم عليه المهدي
 تسمى بأمير المؤمنين ولما مات أوصى بها لعبد المؤمن فورثها وأورثها بنوه
 وتمت لهم الخلافة إلى أن ظهرت بنو مرين وغلّبوا بني عبد المؤمن تسوا
 بمرء المؤمنين أيضا إلى أن قزع الله ملكهم على يد الأشراف الذين قاعوا عليهم
 قبل ذلك من الأحرار . ولما ضعفت دولة بني عبد المؤمن بالمغرب وكثر
 اضطرابها استقل بنو حفص بافريقية وتصدوا بالخلفاء ولم يصل أحد منهم
 إلى رتبتهما إلا ما قل منهم وكانوا عمالا لبني عبد المؤمن في السابق واستقام
 أمرهم بافريقية ودار ملكهم المحضرة العليا إلى أن وصل إليهم ما وصل لغيرهم
 وأقوا عليهم ما أقوا في غيرهم واستولت الدولة الحفافية على بلادهم وطردوا
 القوم من أوطانهم . وأوحشهم بعد الأيناس . وتلك الأيام نداولها بين الناس .
 وحديث بلغنا إلى هذا المقام . ووظانا الأمر بالقول وجب علينا التمام .
 فتنسول أول من خرج من الطاعة وفارق الجماعة بنو أمية بالمغرب
 كنعلمهم بالمشرق . وأول من قام بالاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام
 ابن عبد الملك فأنجاز إليه كل أموي كان هناك وقصد قرطبة دار الإمارة

وقتل يوسف بن عبد الله الفهري بعد وقائع واستولى على الجزيرة واطاعه
 لاندلس بأسرها وملصكه ثلثا وثلثين سنة وقضى بها شدائده الى أن توفي
 وتولى بعده ولده هشام بن عبد الرحمن فملكها سبع سنين وتوفي وولي ابنه
 الحكم بن هشام فاقام واليا ستا وعشرين سنة ثم توفي وولي ابنه عبد الرحمن
 ابن الحكم وملكها احدى وثلثين سنة ثم توفي وولي ولده محمد بن عبد الرحمن
 فقدم واليا اربعة وثلثين سنة . وفي ايامه انتهى جيش المسلمين الى مائة الف
 فارس منهم صفرون الفيا بدروع الفضة وانشا في البحر سبعمائة غراب لم
 توفي وولي المنذر بن محمد فقام واليا خسا وعشرين سنة ثم توفي وولي عبد
 الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وجلس مجلس الخلافة وتسمى بامير المؤمنين
 وكان من تقدمه يخطب لبني العباس ولما ظهرت بنو عبيد وخطب لهم
 بامير المؤمنين اقتدا بهم واقام واليا خمسين سنة منها خمس وعشرون في غزو
 وحروب وبقية في الخلافة والراحة ورثي الرهراء فكملة في خمس وعشرين
 سنة وحصر لامناء ما انفق عليها فوجدوه خمسة وثلثين مدا من الدراهم
 القاسية سوى ما سخر فيهم من الرعية وزواله وزوال اصحابه واجناده
 ثم توفي وولي ولده الحكم ابن عبد الرحمن فكانت خلافته خمس عشرة سنة
 ثم توفي وولي ولده هشام بن الحكم وتلقب بالمؤيد وحجب له محمد بن ابي
 عامر وكان في غاية الذكاء واستمال الجند وسر في الناس سيرة حسنة وبعث
 لكل حمل من يثق به واحسن للترايا فكانوا معه على كلمة واحدة . وحجر من
 هشام وجعل بيت مل ونقل اليه اموال الخلافة ولم يبق لهشام سوى الخطبة
 والسكة وينفذ الامور ويظهر للناس انه يصدر عن اذن الخليفة وسمت هبة
 الى ان قاد العساكر الى الروم ونال منهم ما لم ينله غيره من قبله ولا من بعده
 وقادهم بنواصبيهم وانزلهم من صياصبيهم وجاءتهم من القسطنطينية ومن رومة
 الرسل والهدايا وطلبوا مسالمة وانزل قوامس قشباله وجليفه منزلة عماله
 وقبلوا سجالته ودخلوا تحت طاعته واقام على هذه الحالة ثمانية وعشرين
 سنة وتوفي سنة ثلث وتسعين وثلثمائة واخبرارة دونت فيها عدة

دواوين * وقام بلامر بعده ابنه عبد الملك واقرة حشم على ما كان عليه
 ابوه فاقام سبع سنين ومات ولم عدة وقائع مع العدو وكان النصر له
 وسماه الخليفة الحسب المظفر وقام بلامر بعده اخوه عبد الرحمن فعامل
 الاجناد والناس بالكذب وطلب من الخليفة ان يجعله ولي عهد ففعل ذلك
 فلما علم بنو امية قداموا عليه وقتلوه وقتلوا هشاما الخليفة معه وقيل ان
 الخليفة اختفى ولم يظهر بعد * ولما سمع اهل الجزيرة ثار كل عامل ببلده فثار
 زيدي بن زيدي بناحية غرناطة وعباد القاسمي باشبيلية واسماعيل بن ذي
 النون بطليطلة وابن هود بسرقسطة وابن لافطس ببطليوس وابن صمدح
 بالميرية وابن مجاهد بدانية . هولاء مشاهيرهم . وانقطع اسم الخلافة واشعل
 الحرب بين الامراء وتفرقت كلمتهم وحارب بعضهم بعضا وكثرت الفتن
 وانبسط عدو الدين في الجزيرة وبلغ منهم كل مبلغ ما بين قتل واسر وءاخر
 الامر القى صاحب قشتالة على اهل الجزيرة الجزية فادوها . وانما اهلكهم
 التحاسد واختلاف الكلمة وما نحن في طرف من ذلك جانا الله من هذه
 الفتن بكرمه وامين . ولما ضعف الطالب والمطلوب من لاندلس وظهر الفتن
 ابن فردند قوي عزمه وطعمه في البلاد وصايق على اهلها وكان يغري بعضهم
 على بعض ويعين هذا على هذا ويستاصل اموالهم وهم مع ذلك منعكفون
 على لانهمك والمحاربة . وتسمى كل واحد منهم بغير اسمه كالمقتدر والمعتصد
 والمتوكل والموتس وغير ذلك . وكان ابن عباد ارسل الى الفتن رسولا للهتادنة
 فلاطفه الرسول بالكلام واخذ يحذر عن صاحبه فقال له الفتن لعنه الله
 — كيف يحق لي ان ابقي هولاء الحمقا يعني روساء لاندلس وكل واحد
 منهم تسمى باسم خليفة وهو لا يدفع عن نفسه صرا ولا نفعا — * قلت
 رحم الله ابن رشيق حيث قال *

مما يبغضني في ارض اندلس سمع مقتدر فيها ومعتصد

القاب ساطنة في غير ملكة كاهر يحكي انتفاخا صورة لاسد

ولم يزالوا في شرهم الى ان تبدد شملهم * ويحسكي ان بعض روساء

الاندلس اهدى للفنن هدية قيمتها مائة الف دينار فاعرضه عنها فردا
فكان يفتخر بذلك الفرد اعادنا الله من الخذلان * وأول مدينته اخذها مدو
الدين طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة * ولما ملك طليطلة تسمى
لعنه الله بالانبراطور ومعناه كالخليفة عند المسلمين واقسم لا يدع إلا من
يدخل تحت طاعته * ولما رأى روماء الاندلس أن لا طاقته لهم بمدافعتهم
بعثوا إلى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين ودخلوا تحت طاعته فنصرهم على
عدوهم وجلا عنهم ما كانوا فيه وسيأتي أن شاء الله تعالى * ومــــــن
الملوك الذين كانوا بالمغرب وهم الفواطم الذين يقال لهم الكدارسة قاموا
بالمغرب وامتدت دولتهم ولكن لم يبلغوا درجة الخلافة * فولهم ادريس بن
عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
بسوية بمدينته وليلى في رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة وامتقام له
الامر وكثرت جوعه وذلك في خلافة هارون الرشيد فيقال انه بعث إلى
عامله بالتيروان ابراهيم بن الاغلب فبعث إلى ادريس بن اغساله ومات
مسموما وكانت أيامه خمس سنين وستة أشهر * وبسوية ولده ادريس
ابن ادريس وكان خلفه في بطن امه ولما كبر استقل بالامر وكانت له
عدة غزوات وهو الذي بنى مدينته فاس واسسها وصارت دار ملك الكدارسة
وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وعمره ثلثون سنة * وتولى ابنه محمد بن
ادريس بن ادريس بعد وفاة ابيه وقسم البلاد بين اخوته وتوفي في ربيع
الاول سنة احدى وعشرين ومائتين فكانت أيامه ثمانية اعوام * وقسم
بالامر بعده الامير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس وسنة يوم بويج
تسعة اعوام بوصية من ابيه لما يعرف فيه من الذكاء فسار بسيرة ابيه
وجده في اقامة الحق وتوفي في رجب سنة أربع وثلثين ومائتين فكانت
أيامه ثلاث عشرة سنة * وعمره لاخيه يحيى بن محمد بن ادريس
فسار بسيرة اجداده وكثرت العمارة في أيامه وقصده الناس من الافاق
وبنى في أيامه جامع القرويين بفاس ومات من كمد اصابه على حادثة

جرت له بطول شرحها * وقام بالامر بعده الأمير علي بن عمر بن ادريس
بعد وفاة ابن عمه وقام عليه عبد الرزاق الخارجي فاقتتل معه فاستصر
عبد الرزاق عليه وفر علي المذكور املحه وملك عبد الرزاق مدينة فاس
فكتب أهل البلد إلى يحيى بن القاسم بن ادريس فقتل عبد الرزاق
واستقل بذلك فاس وتم له الامر إلى ان خرج لبعض اصداقه فمات *
وخلف ابن عمه يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس وكان اطيهم
ذكراً واقربهم سلطاناً وعدلاً وكرماً حازماً بطلاً ذا صلاح ودين ولم يزل على
ملكه إلى أيام مصالحة قائد الشيعة سنة خمس وثلاثمائة فحاصره بفاس بعد
المدافعة وصالحه عن مثل وبائع لعبيد الله الشيعي * وفي سنة تسع
وثلاثمائة عاد مصالحة للعرب مسعى يحيى لمصالحة فاثق به بالحديد وعذبه
وسبى امواله ونفاه إلى مدينته أصيلاً واستولى على فاس ربحان المكناشي
ثلاثة أعوام وقام عليه الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس
سنة عشر وثلاثمائة ومات في قتاله ابن أبي العافية لما تغلب على مدينته
فاس وخطب لبني مروان ولما قدم ميسور الفتي قائد الشيعة فر ابن أبي
العافية وتبعه ميسور بن عمر وكافته بينهما حروب إلى ان قتل ابن
أبي العافية ورجعت بنو ادريس إلى غالب بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا
بدعوة الشيعة * وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس المشب بكنون
وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة * وتولى ولده اجد بن القاسم كَنُون
وكان عالماً فقيهاً وكان مائلاً إلى بني مروان فقطع دعوة العبيديين ودخل
الاندلس بقصد الجهاد فمات هناك سنة ثلث وأربعين وثلاثمائة * وتولى
أخوه الحسن بن كَنُون وهو آخر الأدارسة ولا زال الأمر لبني مروان إلى
أيام جوهر لما دخل المغرب فبائع الحسن لبني عبيد * ولما رجع جوهر إلى
أفريقية نكث ورجع للهروانيين إلى أيام بلقين عاد إلى بني عبيد وءاخرة
سلب ملكه ومات شريداً وبم انقرضت دولة الأدارسة من المغرب *
وأيام ملكهم تقرب من مائتي سنة وبلادهم من سويس لأقصى إلى وهران وقاعدة

ملكهم مدينة فس وكانوا يكابدون ملكتي هاشم وامية * وتسمى كشت
بعدهم يقرن وزنائة من بلاد المغرب وخطب بها لثروانيين والله اعلم
بذلك * واما الذين تم لهم الامر وبلغوا مبلغ الخلفاء هم الذين يقال لهم
المرايطون والمشمون قبيلة من البربر يقال لها المتونة ولتونة فخذ من صنهاجة
ولد صد شمس بن وائل بن حير حلفهم افريقش لما دخل المغرب فاستوطنوا
افريقية وصنهاجة وكنامتهم من دهاق البربر والبربر قبائل لا تحصى واكثرهم
صحراويون وبلادهم في القبلة مسيرة ستة اشهر طولا واربعه اشهر عرضا ولا
يعرفون حرث ولا زرع ولا فواكه وعيشتهم اللحم واللبن يقوم احدهم طول حياته
لا ياكل طعاما واكثرهم على السنة والجماعة * قلت والله اعلم هم الذين يقال
لهم التواوكت في هذا الزمان ويجاهدون السودان * واول من تملك منهم
بالصحراء تيولثان ابن تيسكلان ملك الصحراء باسرها ودانت له ملوك
السودان وادوا له الجزية وكان يركب في مائة الف نجيب وكان في
ايام عبد الرحمن الداخل ودانت ايامه وعاش ازيد من الثمانين وتوفي
سنة اثنتين وعشرين ومائتين * وتسمى حفيده كافر بن نصير بن
فلويون فاقام بامر صنهاجة وتوفي سنة سبع وثمانين فكانت ايامه خمسا
وستين سنة * وقسم من بعده بامر صنهاجة نصيم بن كاثير الى ستة
ست وثلاثمائة فقام عليهم اشياخ صنهاجة فقتلوه وتفرق شملهم ولم يجتمعوا
على احد نحو مائة سنة وعشرين سنة الى ان قام فيهم ابو عبد الله محمد بن
تيفات التونسي فاجتمعوا عليه وقدموه وكان من اهل الدين والفضل والصلاح
والحج فاقام ثلثة اصوام واستشهد بخارة وهم قبيلة من السودان على دين
اليهودية وقدموا بعده صهبة يحيى بن ابراهيم الكدالي فاقام على رياسته الى سنة
سبع وعشرين واربع مائة فارتحل الى الحج واستخلف مكانه ولده ابراهيم
ابن يحيى على قبائل صنهاجة يدبر حروبهم مع اعدائهم ولما قصى يحيى
حجه قفل الى المغرب فاجتز بالقيروان فلقى فيها الشيخ الولي اب عمران
موسى ابن ابي حجاج الفسي يدرس العلم فجلس اليه وسمع منه فرأاه ابو

عمران سجد للخير فسله عن حاله وعن بلاده فاخبره عنها وعن اهلها . فقال
وما ينتحلون من المذاهب فقال انهم قوم غلب عليهم الجهل فساله هل يعرف
شيئ من الكتاب والسنة فلم يجد شيئا إلا انه حويص على التعلم صادق
النية فقال له الشيخ وما يمنعك من ذلك فقال يا سيدي غلب منا الجهل
وليس مندنا سن يرشدنا ولو وجدنا سن يعلمنا السنة والقرآن لسارنا اليه
فان اردت الثواب فابعث معي من طلبتك سن يعلمنا ولكم الاجر فاستدب
الشيخ طلبته فلم يجد فيهم احدا فقال الشيخ اني اعرف رجلا ببلد نفيس
من المصامدة تقيا صالحا لليني هنا واخذ مني علوما كثيرة اسمه وهاج بن زلوا
العظيم اكتب اليك كتابا اليه يبعث معك احدا من طلبته فكتب له الشيخ
كتابا فسار يحيى بن ابراهيم الى الشيخ وهاج ونذله كتاب أبي عمران فاستدب
لذلك رجلا من طلبته يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي * وكان من
حذاق الطلبة ومن اهل الدين والعلم والصلاح فخرج مع يحيى الى بلاده فلما
وصلوا تلقاهم قبائل كدالة وفرحوا بهم . ولما قرأ ابن ياسين وحل بساحتهم
راى المنكرات فاشية وان الرجل منهم يتزوج ما شاء من النساء فانكر عليهم
ذلك . وصار يعلمهم الكتاب والسنة وينهاهم عن المنكرات فلما شدد عليهم
نبرعوا منه ونافروا ومع ذلك لم يجد عندهم من الدين إلا الشهادتين . فلما
راى عبد الله بن ياسين اعراسهم وتبعضهم احواءهم اراد ان يرتحل عنهم . فقال
له يحيى يا سيدي انما جئت بك لخاصة نفسي وما علي من صل من قومي
ولكن ان كنت تريد الآخرة فهذه مندنا جزيرة في البحر اذا حصر الماء عنها
دخلنا اليها على الاقدام فيها الحلال المحض من الشجر والسمك فدخل اليها
وتعبد فيها الى الموت فقال له نعم فدخلها ودخل معها سبعة انفار من
كدالة وبنوا بها رابطة فاقام معه اصحابه يتعبدون فتسامع الناس بهم
وبخبرهم وانهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثروا وادون عليهم واخذ عبد
الله يعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويرغبهم في ثواب الله الى ان تمكن من
قلوبهم فسموا بالمرابطين للازمهم رابطة ابن ياسين فلما اجتمع عنده الف

وجعل قام فيهم خطيبا ووعظهم وحذرهم عذاب الله وقال لهم لان يجب عليكم قتال من خالفكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال لهم اخرجوا لقبائلكم وادعهم الى التوبة فمن استجابوا والا فقاتلوهم فخرج بهم الى قبايلهم وانذرهم وحذرهم سبغت ايام فلم يرجعوا عن فيهم فقاتلوهم واول من قاتلوا منهم كدالة فقتل منهم خلق كثير واسلم الباقيون ثم ثبوتة واخذ يغزوهم قبيلة بعد قبيلة الى ان هداهم الله واجتمعوا على الكتاب والسنة وما يجب عليهم وقسم في القتلى على المرابطين وجعل بيت مال على مقتضى الكتاب والسنة فتسامع به اهل الصحراء وانتشر عدله في بلاد السودان * وتوفي الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فقدم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللثوني ليقوم بحروبهم وابن ياسين هو الامير على الحقيقة يامر وينهى ولما قدم ابن ياسين يحيى وكان من اهل الدين والصلاح امره بجهاد العدو * ولما كانت سنة سبع واربعين واربعمئة بعث فقهاء سجلماسة ودرعة الى ابن ياسين يشكون اليه جور عاملهم فغزاهم فوجد عاملها قد استعد له فكانت بينهما حروب انصر فيها المرابطون وغنموا مغنما عظيما وقسمت الغنائم واخذ ابن ياسين الخمس ومهد البلاد وجعل عليها عاملا وابطل المكوس وغير المنكرات ورجع الى الصحراء * ومات الامير يحيى فقدم عليه عبد الله بن ياسين اخا الامير يحيى وهو الامير ابو بكر بن عمر اللثوني وكان صالحا متورعا فغزا بلاد المصامدة والسودان ففتح بلادا كثيرة * وبعث عبد الله بن ياسين العمال الى ما تحت يده وامرهم بالكتاب والسنة وغزا بالمرابطين مجوس بني غواطت وهم قبائل كثيرة على مذهب صالح من طريف لما ادعى النبوة في زمن هشام بن عبد الملك وشرع لهم دين وشرائع سخيفة لعنه الله فركناها خيفة التطويل فقتل بين الفريقين خلق كثير واستشهد عبد الله بن ياسين في تلك الحروب رحمه الله تعالى سنة احدى وخمسين واربعمئة * وكان رحمه تعالى شديدا الورع لم ياكل من لحومهم وانما ياكل لحم الطير وكان دينيا حرا رحمه الله تعالى * واستقل بالامر ابو بكر بن عمر اللثوني وتصادى

في غزوات بني غوطاة فقتلهم واستصلحهم ففروا بين يديه للصحراء
وتبعهم إلى أن احتوى عليهم وأسلموا أسلاماً جيداً * وكان أبو بكر ديناً
لا يستحل دماء المسلمين فخرج إلى الصحراء لقتال من بها من كفار
السودان واستخلف على المغرب عبد يوسف بن قاشفين فخرج أبو بكر
للصحراء وبقي يوسف بن قاشفين بنصف الجيش يهدد البلاد واستقامت
أموره وذلك سنة ثلث وخسين وأربع مئة وفتح غالب بلاد المغرب وكثرت
حيوثهم وتوفي الأمير أبو بكر في الصحراء شهيداً سنة ثمانين وأربعمائة *
واستبد الأمير يوسف بملك المغرب كله لا ينازعه مزرع ودانت له البلاد
وكان على جانب عظيم من الدين ولباسه الصوف ولم يلبث إلى زخرف
الدنيا ولم يأكل إلا الشجير والبن لا بل ولحومها مع ما أعطاه الله من الملك
وملك جزيرة لاندلس والسودان والمغرب إلى جزائر بني مرغنة ولم يعبر
في بلاده مدة حياته مكرس ولا ما هو خارج عن الشرع وخطب له على
التي وتسعمائة حبر وبني مدينته مراكنش وجعلها مستقراً للملك * ولما شاع
ذكره في الرجود بعث إليه أهل لاندلس لنصرته لأن عدو الدين تغلب
على أهل الجزيرة وكان رسولهم المعتمد بن صناد فلقبه في أحواز طنججة فشكا
إليه بحال أهل الجزيرة وما عليها من الخوف والذل فوعدة بالمسير إليهم
وبعث إلى جميع أممهم يرغبهم في الجهاد ويستفزهم معه فاجتمع له
خلق عظيم ودخل إلى لاندلس بجيوش المراتبين بقصد الجهاد سنة تسع
وسبعين وأربعمائة وكانت له بها الواقعة المشهورة بالرياقة * وكان عدد
عسكر الفتنس لعنه الله فيما نقل ثمانين ألف فارس ومائتي ألف رجل فلم
ينهم منهم إلا الفتنس ومعهم أربعمائة منقلبون بالخراج ولم يدخل إلى بلد
تسملة إلا في خمسين فارساً وبعث يوسف إلى جميع البلاد بهذا الفتح وكان
يوم الجمعة ثاني عشر رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة وفيه يقول من قصيدة
لم نعلم الروم إذ جاءت مصممة يوم العروبة أن اليوم للعرب
والعرب تسمي يوم الجمعة العروبة وأنصرف راجعاً إلى العدة ودخل إلى

لاندلس مرة أخرى في سنة احدى وثمانين واربعمائة فبقيت اربعين عماد
 بلوى دابة تجعل لليرة فعث في بلاد الكفرة وحرق وخرّب وزرع في
 العدو فاقام في سنة ثلث وثمانين واربعمائة ثم دخل لاندلس ايضا
 برسم الجهاد فلم يلقه احد من رؤسائه لاندلس ومروا بغدرة فظن بهم وكان
 عاهدهم ان لا يغدر بهم * فسلما احس بمكرهم استفتى علماءهم فكلهم اتوا
 بخلعهم اي خلع امراء لاندلس وقالوا ليوسف نحن خصماؤك عند الله لان
 هؤلاء لا نجوز طاعتهم لما ارتكبوه من الفجور وانتهاك المحارم وصيغوا غالب
 البلاد فتغير عليهم يوسف وخلعهم واحدا بعد واحد واخذ ابن عماد اسيرا
 وسجنه في اقامت في ان عمات في السجن ويحكى ان يوم موته نودي
 عليه الصلاة على الغريب * وروي ان بعض بناته تغزل بالاجر في بيوت
 بعض خدامهم وابن ابنه يصرم النار في حانوت صائغ بعد ما كان ملكا
 على اشميلية وقوطية ودام ملكهم بها نحو ثمانين سنة فسبحان من لا يزول
 ملكه لا يسال عما يفعل وهم يسالون * ولما استوفى المغرب والاندلس ليوسف
 ابن تاشفين تسمى بامير المسلمين وضرب الدرهم والدينار باسمه ونقش
 في الدينار - لا اله الا الله محمد رسول الله - وتحت ذلك - امير المسلمين
 يوسف بن تاشفين - وفي الوجه الاخر - ومن يستغفر لا سلام ديننا فلن
 يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين لا امير عبد الله امير المؤمنين العباسي
 ولا زال يبحث جيوشه في لاندلس متفقدًا لاهوالها في ان مات سنة
 خمسائة وعمره مائة سنة رحمه الله تعالى * واستشغل بالامر بعده ابنه
 امير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين بربع بمواكش يوم وفاة ابيه
 اول المحرم سنة خمسائة وتسمى بامير المؤمنين وملك جميع بلاد المغرب من
 بجاية الى السوس لاقصى وبلاد القبلة من سجلماسة الى جبل الذهب
 من بلاد السودان وجميع بلاد لاندلس وملك ما لم يملكه ابيه وخطب له
 على الفتي منبر وثلثائة منبر * واقام العدل وقوى الجهاد وسار سيرة ابيه
 وهدية وفرض احكام البلاد الى القضاة ودخل لاندلس سنة ثلث وخمسمائة

فالام شهرا على طليطلة * وكان في عسكره مائة الف فارس ففتح عدة
قلاع ونكس فيها الروم وفعل بهم العجائب ورجع الى المغرب * ودخل
الى لانديس مرة ثانية بجيوش لا تحصي فنزل على قرطبة، ونفقدها احوالها
وولى ابن رعد القضاة وغزا عرب لانديس فشر امام الروم وتحصنوا
بقلاعهم وقتل وامر منهم خلقا كثيرا لا يحصى ورجع الى العدو سنة
اربعة عشرة وخمسة * وفي هذه السنة ظهر الامام المهدي محمد بن
تومرت ونزل مراکش وكسر عدة جيوش لعلي بن يوسف * ومسير
هذه السنة اخذ امر المرابطين في التجهيز ودامت ايام علي بن يوسف في
حروب مع جيش المهدي الى ان توفي سنة سبع وثلاثين وخمسة *
وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بويج بعد وفاة
والده وجيز الجيش لقتال عبد المومن وكابد في دولته أهوالا شاقة ولم
يصف له الدهر بسعي لان دولة عبد المومن في الاقبال ودولته اخذت في
الادبار ولم تكن له اخبار يذكر بها كمثل من تقدمه من اهل بيته الى ان
توفي رحمه الله وهو في مكافحة اعدائه * وهذه الدولة الجتونية ويقال لها
دولة المرابطين ودولة الملثمين ايضا كانت من اجل الدول بالمغرب وملكت
من البلاد ما ذكرنا وما لم نذكره خشية الاطالة وحسنت دولا كانت قبلها
بالمغرب مثل مغراوة وبني يفرن ملوك فاس ودولة الصيام بالانديس ويقال
لهم ملوك الطوائف كتابين عباد وامالهم واحسن ايامهم ايام يوسف بن
تاشفين * وقاهيك ان امام حضرة وهو الشيخ الاكمل صاحب العلوم النفيسة
ابو حامد الغزالي كان عزم على دخول المغرب في ايام يوسف بن تاشفين
فلما وصل الاسكندرية بلغه موت امير المسلمين يوسف بن تاشفين فرجع
الى المشرق هذا لما يسمع الشيخ عنه من الصلاح رحم الله الجميع * امين *
وقسيل انما خرب ملك لمتونة بدعاء الشيخ الغزالي وذلك في ايام علي
ابن يوسف دخل كتاب احياء ملوك الدين للغزالي في المغرب وظهر عند
الناس وراوا فيه تشديدا فهجروه وانكروا علماء لمتونة لانهم كانوا غير عالمين

بعلم الأصغر فبلغوا في الانكار فيه إلى أن افترقوا بحرقهم وتمزيقهم خيماهم
 وجدوة ونطلبوه عند الناس فمن انكروا حلفوه بالآيمان المغلظة كالطلاق وغيره
 ولما بلغ الشيخ الغزالي ذلك دعا عليهم بأن قال مرق الله ملكهم وكان
 اذ ذلك في مجلسه محمد بن تومرت فقال على يدي يا سيدي فقال وعلى
 يديك فكان كذلك وانقرضت دولتهم كعادة الدهر ما صر دولة إلا
 واعتقبتهم بالقهر والملك لله وحده لا اله غيره ولا معبود سواه * ومنسـ
 الدول التي كانت بالمغرب الدولة الموحدية والخلافة المومنية واصل مبداءها
 الامام المهدي واوولها عبد المؤمن بن علي وبنيه إلى أن بلغت لبني
 حفص وانا اذكر طروفا من ذلك بعون الله سبحانه وتعالى * ذكر
 المورخون أن المهدي اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن
 خالد من علم بن عدنان بن شعبن بن صفوان بن جابر بن يحيى بن
 عطا بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن
 ابي طالب كرم الله وجهه * وقيل هو دعي في هذا النسب ذكره ابن
 مطروح وقال هو رجل من الصاعدة والله تعالى اعلم * واول امره كان
 متشكفا مشغلا بطلب العلم فرحل إلى المشرق ولازم ابا حامد الغزالي
 ثلث سنين وحصل عليه علما عظيما * وكان ابو حامد اذا رأى ابن تومرت
 يقول لا بد لهذا البربري من دولة فذكر بعض الطلبة لابن تومرت مقالة
 الشيخ واخبره ان ذلك عند الشيخ في كتاب له فلزم ابن تومرت ابا حامد إلى
 ان اطلعه على ذلك فتغل إلى المغرب سنة عشر وخمسة فما اجتاز ببلد إلا
 وغير فيه المنكر ويظهر الزهد في الدنيا والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 ويدرس العلم إلى ان وصل إلى افريقية وإلى المغرب وكان اوجد مصرة في
 علم الكلام فلما بلغ إلى بجاية وقيل تلمسان لعبد المؤمن بن علي فانضاف
 إلى خدمته واطلعه ابن تومرت على ما في مراده فبايعه على موازنته في الرخاء
 والشدة فلما وصل إلى فاس قام يدرس العلم في بعض مساجدها إلى سنة
 اربع عشرة وخمسة فارتحل عنها إلى مراکش فمقدد مسجدا يروي اليه

وصار يبشي في الأسواق ويغير المنكر ويكسر المزاهر فبلغ ذلك لعلي بن يوسف
فامر باحضاره فرأى نقشته فسأله عن فعله فقال له - أيها الملك انما انا
رجل فقير وغيوت منكرا وانت اولي بذلك لقد تركت عليه - ووعظته وحذره فلما
سمع الامير علي مقالته جمع له الفقهاء واشياخ الثوثة وامرهم بمناظرته فبكت
الجميع وكان الغالب عليهم علم الحديث وليس لهم علم بالاصول والجدل
فلما أبكتهم لبسوا عليه وقالوا هذا رجل خارجي وامره الامير بالخروج من المدينة
فخرج الى الجبانة وبني خيمة بين القبور وقعد فيها وانتد الطلبة يقرءون
عليه وكثرت تلاميذه وامتلأت قلوبهم بمحبته واعلم الخواص منهم بما
يريد واخذ يطعن في دولة المرابطين وانهم كفرة مجسومون وانهم هو الامام
المهدي المنتظر فبيعه على ذلك الى وخسمائة رجل فبلغ خبره الى امير
المسلمين علي بن يوسف فبعث اليه وقال له - اتق الله في نفسك ألم انهك
من هذا الجمع - فقال له - أيها الامير انا امتلكت امرك وسكنت بين القبور
فلا تسمع لاقوال المضلين - فاعلظ له في القول وانتهره ولم يخرج من عنده قال
له وزيره - هذا الرجل لم يرد بك الا شرا اختله والا فخلده في السجن وان
أبقيت منه ليسمعنك طيلا يسمع به في الخافقين واظن هذا هو صاحب
الدرهم المربع - فبدأ الامير المسلمين فيه وارسل خلفه من يوثقه فسمع بعض
تلاميذه فأتى حتى قوب من المهدي ونادى برفع صوته - يا موسى ان الملا
يأترون بك ليقتلوك - ففطن المهدي وخرج على وجهه الى ان وصل
تيمال في شهر شوال سنة اربع عشرة وخسمائة فالحق به اصحابه العشرة
عبد المؤمن بن علي - وابو محمد البشير - وابو حفص عمر بن يحيى
الهناتاني وهو جد الخنصيين الذين ملكوا تونس فيما بعد - وابو حفص
عمر بن علي - وسليمان بن خلوف - وابراهيم بن اسماعيل الهرجي -
وابو محمد عبد الواحد - وموسى بن ثمار - وابو يحيى بن مكيث -
هؤلاء هم السابقون لدعوتهم فبايعوه على الرخاء والشدة واقاموا بتيمال الى
ربح سنة خمس عشرة وخسمائة فاجتمع عليه خلق كثير ولما رأى

ذلك أظهر امره وباعوه بيعة رضى * وأول من بايعه اصحابه الصلوة
ثم بايعه اصحاب تينمال وسائر القبائل فارسل من اصحابه الى البلاد
القاصية ودعوا الناس لبيعتهم وذكروا لهم فضائلهم فدخل الناس في طاعته
واتوا من كل فج عميق واعلمهم انه هو الامام المهدي المنتظر وجعل لهم
توحيداً بلسان البربر وسمى الذين دخلوا في طاعته الموحدين * ولا زال
يخدمهم بكثرة الى ان تمكن من قلوبهم فاجتمع عنده ازيد من عشرين الف
فخطب بهم وندبهم لجهاد لثبوتهم فباعوه على الموت فانخشب حشم طاعة
الاف وبهم الى مدينة اغماء فانصل الخبر بامير المسلمين فبعث اليهم
جيش فهزموه اصحاب المهدي واتبعوه بالسيف الى ان ادخلوه مراکش
واتوا بغنائمهم فقسمت بين الموحدين . وانتشر خبر المهدي في جميع بلاد
المغرب والاندلس وتمادى في قتل من خالفه وجوز جيشاً آخر فمضوا
مراكش ثلثة اعوام وارتحل عنها وذلك من سنة ست عشرة الى سنة تسع
عشرة * ولما رجع الى تينمال استراح بها وخرج الى اغماء وسائر من خالفه
الى ان دانت له البلاد وبعث الى مراكش جيشاً آخر وقدم عليهم عبد
المومن بن علي وابي محمد البشير وجعل عبد المومن امل الصلوة فالتقى
بهم جيش امير المسلمين علي بن يوسف فهزموه الى ان ادخلوه مراکش
وعلق الابواب في وجوههم فحاصروه ثلثة ايام . ورجعوا الى تينمال فخرج
المهدي الى اعدائهم وفرح بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح ومدة
ملكهم واعلمهم انه يموت في تلك السنة ثم بدا به مرضه الذي مات فيه
وقدم عبد المومن للصلوة وتوفي في شهر رمضان سنة اربع وعشرين وخمسمائة
هذا ما يخص خبر المهدي ولو تتبعنا خبره لطال الكلام وانما اتي بهذا القدر
ليشهد الامر الى دولة بني حفص . وللناس في اخبار المهدي مدة دواوين بين
مكتوبين ومختصرين ومقتلين . والمهدي متن مهد الملك لغيره وبأمره مات
وشرة وكان حصواً فيما قيل عنه وفخداً ملصقين الى اركنتيه ولا فرق
على الدابة الا متعرضاً والله اعلم بحقيقة امره واستغنى بعدة عبد المومن .

الخسبر عن خلافة عبد المومن بن علي الكوفي الرضا

هو ابو محمد عبد المومن بن علي الكوفي الرضا كان ابوه نجارا يعمل النوافخ
وعبد المومن تطلب العلم من صغره ولازم المساجد الى ان اقبل بالمهدي
فصمعه اليه لما اراد الله سبحانه به * بسويح بعد وفاة المهدي بيعة خاصة
بايعه عشرة من اصحاب المهدي لما يعرفون من سجيته وتقدير المهدي
له في حياته * وبسويح البيعة العامة سنة ست وعشرين وخمسمائة
ولم يختلف عنه احد * وفي ايامه انقطعت دولة لمونة من المغرب واول
فتحهم بلاد نديلا خرج اليها من تلمال في ثلثين الفا من الموحدين ففتحها
وسجن ثم غزا درعة ففتحها وبلاد قران وغيانة ولا زال يفتح بلدا بلدا وقبيلة
قبيلة ولم نزل الحرب بينه وبين علي بن يوسف الى ان مات علي وتولى
بعده ولده تاشفين فقامت بينهما الحرب وجرت بينهما وقائع عديدة وسار
عبد المومن الى تلمسان فسبقه تاشفين اليها فاقى عبد المومن اليها وحاصره
بها وخلف جيشا عنها ورحل الى وهران فخرج تاشفين خلفه ليدرك
وهران فبات تاشفين في تلك الخطرة وفتح وهران واخذ تلمسان سنة اربعين
 وخمسمائة * وبعث الى الاندلس جيشا ففتحوا ما هنالك وبايعه اهل
الاندلس وملك مدينة فاس * وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة ملك
طنجة وفيها ملك مدينة مراكش * وفي سنة اثنين واربعين وفد اليه اهل
اشبيلية بالبيعة وفيهم ابو بكر بن العربي فسأله عبد المومن هل راي المهدي
عند الشيخ ابي حامد الغزالي قال ما لقيته ولكن سمعت به فقال له فدا
كان ابو حامد يقول فيه قل كان يقول لا بد لهذا البربري ان يكون له
شأن * وفي سنة ثلث واربعين وخمسمائة دخل عبد المومن سجلماسة
واتن اهلها ورجع الى مراكش ثم غزا بني غواط فهزموه ثم كانت الكرة عليهم
فاجل عليهم السيف حتى لم يسق منهم الا سن لم يبلغ الحلم وقام عليه
اهل نيبته وخلعوا طمته وذلك براي القاضي عياض وبايعوا لابن غانية
فتحرك عبد المومن وقاتل اصحاب ابن غانية وهزمهم فدا علم اهل سبتة

كاتبوا عبد المومن وطلبوا منه الامن فسامهم وعفا عنهم وص القاصي عياله
وامره بسكنى مراکش وفيها فتحت مكناسة بعد محاصرتها سبعة اشهر
ودخلها بالسيوف * وفيها فتحت قرطبة واخذها من يد المتوفى ومدينة
جيان * وسبعة سنين اربع واربعين وخمسمائة اخذ ملينته * وفيها فتحت
مدينة بجاية ملك بني جاد بعد محاصرتها وقزل صاحبها بالامان فافهم
ونقله باهله الى مراکش * قسست الذي اخذت منه بجاية
اسمه يحيى بن العزيز والذين ملكوا بجاية اولهم جاد بن يوسف بلكين
الذي تقدم ذكره ضد ذكر صنهاجة وجاد هذا قالم على ابن اخيه باديس
وكانت بينهم ملاحم واشتغل بعد ذلك بالبلاد الغربية واتخذ بجاية دار
ملك فبقيت في يد بنيهم الى زمن عبد المومن واولهم جاد كما ذكرنا لم
ابنه القائد بن جاد ثم ابى الاخر محمد بن جاد ثم بلكين بن محمد بن جاد
ثم الناصر بن علاء الساس بن جاد ثم ولده المنصور بن الناصر ثم ولده
باديس بن المنصور بن الناصر ثم اخوه العزيز بن المنصور ثم ولده يحيى
ابن العزيز وهو اخر ملوك بني جاد وانقرضت دولتهم وملك عبد المومن
جميع ما بابديهم مثل بونة وجزائر بني مرغنة وهي مدينة الجزائر
اليوم وقسطينة وغيرها روجع الى مراکش * وفي سنة احدى
وخمسين وخمسمائة بايع له اهل غرناطة * وفي سنة ثلث وخمسين
وخمسمائة تحرك امير المومنين عبد المومن بن علي من مدينة مراکش
وقصد افريقية بام لا تحصي فوصل الرب وبلاد افريقية فقتل من
عصى واسن من اسن الى ان وصل مدينة تونس فحاصرها ثلثة ايام
وارتحل عنها وترك جيشا محصرا لها وسر الى القيروان ففتحها وفتح سوسة
وصفاقس وارتحل الى المهدية فحاصرها سبعة اشهر وضائق عليها برا وبحرا
وتصب عليها المجانيق وجعل قتالها نوبا ليلا ونهارا حتى فتحها
وقتل خلقا كثيرا من النصارى الذين كانوا فيها ورد اليها صاحبها
الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي الذي اخذت منه المهدية

وحصل لما ان فر منها قصد ابن عمه ابن حماد فلم يلق عنده مرادة وهم
 بالتبص عليه ففر منه الى الجزائر واستوطنها الى ايام عبد المؤمن لما قصد
 بلاد المشرقي فانصل به الحسن وبايعة وبار معه الى ان اخذ المهدية فرد
 اليها وخطب له بها * وفتح مدينة تونس وخطب له بها وفتح
 جميع بلاد افريقية من برقة الى تلمسان ولم يبق له منازع وفرق عدله
 وقضاة * وقبيل فتح المهدية كان سنة خمس وخسين والله اعلم . وفيها
 امر عبد المؤمن بن علي بتكمير بلاد افريقية من برقة الى السوس لاقصى
 قولا وعرضا بالفراخ والاميال واسقط الثلث من التكمير في مقابلة الجبال
 والانهار والسباح ود بقي قسط عليه الخراج والنم كل قبيلة قسطها من
 الزرع والورق * وهو اول سن احدث ذلك بالمغرب واتحل عن
 افريقية الى المغرب واخذ من كل قبيلة من عرب افريقية الفا وادخلهم
 الى المغرب بعيائهم * وفي سنة ست وخسين وخسمائة جاز عبد المؤمن
 من طنجة الى لاندلس مشرفا على احوال البلاد ورجع الى مراكش * وفي
 سنة سبع وخسين وخسمائة امر بانشاء الاساطيل في جميع بلاد وازاد غزو
 بلاد الروم برا وبحرا فاجتمع له قريب من سبعمائة قطعة وامر بضرب
 السهام في جميع عمله فكان يضرب له منها في كل يوم عشرة قناطير *
 واستجلب لاجناد والمطوعة من سائر عمله يستفزه للجهاد فاجتمع له
 ما لم يجتمع لغيره من بلاد افريقية والمغرب والقبائل واجتمع له من
 الموحدين وقبائل زناتة ومن العرب ازيد من ثلثمائة الف فارس ومن جيوش
 الطيعة ثمانون الف فارس ومائة الف راجل فصاقت بهم الارض * ولما
 استوفت له الجند وتطاوت اليه الوفود ابتداء المرض الذي توفي منه
 في جمادى الاخرة سنة ثمان وخسين وخسمائة وصدرة ثلث وستون سنة
 وقبيل اربع وستون وايسام خلافة ثلث وثلثون سنة وخمس اشهر
 فبصان الحى الدائم الذي لا يموت ودفن بآزاء المهدى في تينمال *
 وكان رحمه الله فتيها نصيها عالما بالجدول والامور حافظا للحديث النبوي

صلى الله عليه وسلم مشاركاً في علوم كثيرة الدينيّة والدينيّة وعلوم النجوم واللغة والأدب والتاريخ وعلوم الفرائض نافذ الرأي ذا حزم وسياسة وشجاعة وأقدام ميمون النقيبة لم يقصد بلداً إلّا وفّقه * وكان سخياً كريماً للأخلاق محباً لأهل العلم مغرباً لهم ولم شعر جيد واعتدده بعض الشعراء وأظنه من بلد بنزرت بقصيدة أولها :

ما هز عطفيه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد الرحمن بن علي
فسلم أنشد بعين يديه هذا البيت أشار إليه بالسكوت وأمر له باللف
دينار * ولما عاد إليه من الغد أنشده البيت المذكور فسكته وأمر له
بألف دينار * ولم يزل ينشده كلما دخل عليه ويأمر له بألف إلى أن
أوصله بأربعين ألفاً ، فحسده بعض الشعراء وقال له - إلى متى وما يامتلك
من تغيير الخلق أمير المؤمنين وقد أوصلك بما غير غناؤك - فارتحل من
قورة إلى بلدة ، وسأل عنه عبد الرحمن فأجبر برحيله فقل - لا حول ولا قوة
إلّا بالله لقد ظن به غير ما أردناه ولو طال مقامه لزدناه على ذلك - فقيل
له - لم لم تسمع تمام القصيدة - فقال عبد الرحمن - وما عني أن يقول
بعد قوله ما هز عطفيه (البيت) رحم الله هذه النفوس الكبيّة والأخلاق
الموصية ما أتوا وذكرهم لم يموت سبحانه الحي الدائم الذي لا يموت *
الخبر عن خلاعة يوسف

ابن عبد المومن بن علي الكومي الزنبي
ببيع في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
بعد وفاة أبيه وكان عقلاً صلح مترفقاً في سفك الدماء حسن السياسة
أخذ منهج أبيه وسار بسيرته واستنصر من الجيش ومهد البلاد وضخم
الملك * وكان ملكه من غاصية إفريقية إلى السوس الأقصى إلى بلاد القبلة
وبلاد الأندلس تجبى إليه حراجها دون مكس ولا جور فكثرت الأموال
وأمنت الطرق وكان يتشدد أحوال مملكته لا يتكل على أحد من وزرائه *
وجسار إلى الأندلس سنة ست وستين متفقداً لأحوالها وأقام بها أربعة

اعوام وعشرة اشهر ورجع الى مراکش سنة احدى وسبعين * ودخل افريقية سنة خمس وسبعين لقيام ابن زيري بثبته فنزل على قلعة وملكها وملك صاحبها ابن زيري وعباد الى مراکش * وفي سنة تسع وسبعين جاز الجواز الثاني الى لاندلس ونزل على شتتين فربى لاندلس فحاصرها حصارا قويا واستشهد هناك فحمل الى تينمال ودفن هنالك بجانب قبر ابيه * وثوقي سنة ثمانين وخمسمائة وعشرة سبع وأربعون سنة واقامته في الملك احدى وعشرون سنة واشهر وقام بالامر بعدة ولده يعقوب *

الخبر عن خلافة امير المومنين يعقوب

هو المنصور بالله بن امير المومنين يوسف بن عبد المومن بن علي كان يعسوب هذا اجل ملوك الموحدين ذا رأي وحزم ودين محبا للعلماء ويحضر جنائزهم ويزور الصالحين ويتمرك بهم علما بالحديث واللغة مشاركا في علوم كثيرة مواطبا على الجهاد وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين وعلمته * الحمد لله وحده * وكانت ايامه زينة الدهر والامن في جميع علمه حتى ان الطغينة تخرج من برقة الى اخر المغرب ولا يتعرض لها احد وبني المساجد في سائر مملكه والمارستانات المرحى واجرى لهم الارزاق * وخلفت عليه مدينه قفصة فوصل اليها سنة ثلث وثمانين وغتحتها * وغسرا عرب افريقية فبهمهم واستباح اموالهم ونقلهم الى المغرب ورجع الى مراکش دار ملكه * وفي سنة خمس وثمانين حار الى لاندلس فنزل اشترين واشبونة فتكا فيهما وسبى من النساء والذرية ثلثة عشر ألفا ورجع الى العدو ونزل مدينه فاس فانتبه لاجباو ان الميورقي قام بافريقية ورجل من فاس ودخل افريقية ونزل على تونس فوجد الاحوال ساكنة والميورقي فراممه الى الصحراء حين سمع بقدم امير المومنين يعقوب المنصور * فسلط ذكر ابن الشماخ رحمه الله الميورقي ولم يستوفه من حقه وها ان اذكرة هنا لانتمام التأثدة : هو علي بن اسحاق بن جوية الصنهاجي صاحب ميوقفة ومنورقة وباسه ثلث جزر في البحر

توفي أبوه اسحاق سنة ثمانين وخسمائة وخلف اولاداً ، فعلي هذا ويحيى
 اخوه خرجا الى افريقية وصنعا العجائب بها واخوهما محمد خدم دولة الوجددين
 واخوه عبد الله وهو اصغرهم ملك ميورقة وعصى الناصر بن المنصور
 فتحرك اليه لما دخل افريقية سنة اثنيتين وستمئة * وحاصر المنصور
 ميورقة فمات عبد الله بن اسحاق في تلك الحروب فحمل راسه الى مراکش
 وهلك جثته على سور ميورقة ولم نزل ميورقة في يد المسلمين الى سنة
 سبع وعشرين وستمائة احدها عدو الدين كما اخذ غيرها اعادها الله للسلام
 بمنه وكرمه * واما علي فانه عاث بافريقية عند اشتغال امير المؤمنين يعقوب
 المنصور ببلاد لاندلس فلما سمع به تحرك اليه في هذه السنة ففر امامه
 ولما رجع امير المؤمنين الى المغرب رجع الميورقي الى افريقية وملك المهدية
 وتونس وعسف عماله على تونس والزم اهله مائة الف دينار ولم يزل متماديا
 على حاله في الفساد حتى تحرك اليه الناصر بن المنصور وحكاست له
 وقعت وحروب وسياني بقية خيرة عند ذكر الناصر * وكان الميورقي
 شجاعا مقداما وتوفي سنة ثلث وثلثين وستمائة في زمن بني حفص ذكوة
 غير ابن الشمع * ولما فر الميورقي الى الصحراء رجع امير المؤمنين يعقوب
 المنصور الى المغرب بعد ما سكن احوال افريقية ودخل فلسطين واصابهم
 مرض ورحل عنها ودخل فسا فاقام به حتى عوفي ورجع الى مراکش
 فاقام بها الى سنة احدى وتسعين وخسمائة فيها اتصلت به الاخبار ان
 الفتن عاث في بلاد المسلمين ولم يصده احد وانتم انفرصة سيف غيبته
 ومرضه اي غيبته الخليفة المنصور وفعل بالمسلمين الارابيد واستخوذ على اكثر
 معاقلم فانهدب المنصور جيوشه من الوجددين والاعزاز والطوعة والمرتزقة
 وقصد الجواز الى لاندلس فارسل اليه النصراني كتابا يقول فيه : مسن
 ملك النصرانية الى امير الحنفية ام بعد فان كنت عجزت عن الحركة
 علينا وتناقلت عن الوصول اليها فابعث الي مراكب من عندك اجوز فيها
 بجيشي اليك فمن هزمتني فهديتة جاءت الى بين يديك وانت امير

المؤمنين وان كنت ابي عليك كنت ابا صاحب المئين والسلام -
 فلما قراء اخذته الغيرة لاسلامية ورمى بالكذب الى ولده ولي عهد *
 فاجاب على ظهر الكتاب بتوقيع يده * ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل
 لهم بها ولنخرجهم منها اذلتهم وهم صاغرون * ففسر المنصور بهذا الجواب
 ودخل لاقداس سنة احدى وتسعين وخمسمائة * وكانت له على الروم
 نصر عظمية قتل فيها منهم ما لا يحصى وكن الفس لعه الله انضم
 اليه من جميع الاجناس حتى قيل كان معه ثلثمائة الف ما بين راجل
 وفارس هزمهم الله ونصر المسلمين ودخلوا حصن الاراك الذي سميت به
 الواقعة واخذوا منه ما لا يعلم قدره الا الله ومن لاسارى اربعة وعشرين
 الفا فمن عليهم امير المؤمنين يعقوب المنصور واطلعتهم * واستشهد من
 المسلمين من كتبت له السعادة والذي سبقت له الحسنى وزيادة * ومات
 فيها الشيخ يحيى بن ابي حفص جد الخليفة وكان من اكبر قواده وزعمائه
 وكانت تحته اخت الخليفة المنصور بالله وكانت هذه الغزوة العظمى
 تاسع شعبان من السنة المذكورة وهي اعظم غزوة على ايدي الموحدين * وقسم
 الغنائم وكتب بالفتح الى جمع البلاد واقام باشيلى الى سنة اثنتين
 وتسعين وخمسمائة خرج الى غزوة الثانية وفتح قلعة رباح وادي
 الحجرة وماتل كثيرة * وحاصر طيطانة واحرق رباطاتها ونصب عليها
 الجانيق ثم ارتحل عنها الى سلنكة فدخلها بالسيف وقتل رجالها ونساءها
 ورجع الى حضرة ملكه مراکش واخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر
 واجلسه في حياته مجلس الخلافة * وابسسا اسنوسق الامر لولده دخل
 المنصور الى قصرة فلزمه وبدأ فيه المرض الذي مات به في الثاني
 والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة بقصة مراکش *
 وقسيل انه تلقى وزهد في الدين وارتحل الى المشرق ومات هناك
 رسل الشام مقرر هذا الخبر عند عاصمتهم والله اعلم * وكس رحمه الله اجل
 ملوك الموحدين وابعدهم صينا واحسنهم في جميع الامور له الهمة العالية

والسيرة المحسنة والدين المشين والرأي الصائب * ويحسبكي انه قد بعث
لعن عماله لينظر له رجلا لتاديب اولاده فبعث العامل له برجلين وكتب
معهم كتابا يقول فيه - قد بعث اليك رجلين احدهما بحرف في علمه والاخر
بري دينه - فلما امتحنهما لم يرصياه فوقع على ظهر كتاب العامل - ظهر
الفساد في البر والبحر - وجه الله وثنا عنه بهمه وكرمه والبقاء لله لا
رب غيره ولا معبود سواه *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين محمد الناصر

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح
في حياة والده وحدث له البيعة يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي
فيها والده وتم له الامر وتعاظم تدير الامور بيده وخرج الى مدينة فاس
وبنى اسوارها وقصبتها ، وجسأته الاخصار ان الميورقي غلب على اكثر بلاد
افريقية واخذ المهدية وصيق على أهل تونس والرمهم مائة الف دينار وقد
مر عانقا فرحل من مراكش سنة ثمان وتسعين ومسا وصل الى جزائر
بني مزقنة امر بانشاء اساطيل واخذ في تجهيز العساكر الى ميورقة ففتحها
وقتل صاحبها عبد الله بن اسحاق وهو اخوه يحيى ودخل الصحراء *
ورصل الناصر الى افريقية فاطاعه كل من عصى عليه ما عدا المهدية
لان العامل بها من قبل الميورقي وكان شهما شاحب دهاء فحاصره بها
ونصب عليها المجانيق فلما رأى العامل ان لا طاقة له بقتال الناصر ركن
الى الصلح فصالحه وفقا عنه وكرار فتحها سنة احدى وستمائة * وفي
سنة اثنتين وسعمائة اراد الناصر الرجوع الى المغرب فخلق على افريقية
الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص ومن يومئذ استقرت
قدم بني حفص بافريقية وجعل الشيخ ابو محمد عبد الواحد تونس دار الامارة
الى يومنا هذا جعلها الله مدينة اسلام الى يوم الدين * ومن هنا نخرج
في ذكر بني حفص لان هذه الحوادث التي ذكرناها انما هي فهميد لما سيأتي
من اخبار الحضرة العلية وليعلم الناظر في هذا المصنوع ضخامة الملاد

الأفريقية ولكن فاني سبقت اخبار الخلفاء لانهم الفاتدة ونرجع للذي
 قصدناه عاندين ولا بد للذي من الصلة والعائد * ولما تمكن الشيخ
 عبد الواحد من البلاد رحل النصر الى المغرب فوصل الى مراكش سنة
 خمس وستائة * وفي سنة ست جاءت الاحبار من الاندلس الى الفتن
 ملك بيوتته ونطلب عليها فكتب النصر الى سائر عماله واستفر الناس
 للجهاد وخرج من مراكش سنة سبع وستائة فوصل اشبيلية واحتلت بلاد
 الاندلس الحيرة . فدخل الرب في قلب عدو الله فطلب الصالح وبعث
 رساله يطلب من امير المؤمنين ان يصل بين يديه ويحكمه في نفسه
 وماله * فاذن له في الوصول الى حضرته وكتب الى جميع عماله ان تن
 اجتاز به الفتن بصفته لنا ويمسك من عسكرة الف فارس وما وصل
 مدينته قرمونة الا ومعهم الف فارس فمسكت هنالك فقال لعاملها - كيف
 يكون مسيري وحدي - فقتل - تسير في ذمام امير المؤمنين - فسار في
 خدمه ومعهم زوجته وقدم بين يديه هديته واحضر معه الكتاب الذي
 كان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لبني الاصفه وبقي محفوظا عندهم الى
 تلك الهدية واظنهم الى الان موجودا * ولقد رآه بعض ارسال بني حفص
 في ايام دولتهم واخبر بانه قراه وهو بقي عندهم ويعترفون ببركته * ولما
 وصل الفتن الى الناصر اكرمه واعطاه صاحبا تاما وكتب له بذلك - ما
 دامت دولة الموحدين - فصرفه الى بلاده . وارتحل النصر الى قشتالية
 فحصرها ستة اشهر ودخل الشتاء وقتل الميرة وغلت الاسعار فانتهز عدو
 الله الفرصة وجمع من كل النصارانية جيشا وكبس به عسكر المسلمين على
 حين غفلة ففر عسكر الاندلس اولا وعادت الكسرة على المسلمين فهزموا
 واتبعهم مدو الله ونادى ان لا اسارى الا القتل فلم ينج من المسلمين الا
 القليل وكاد النصر ان يقع بيديهم لولا لطف الله به * ومن هذه الكسرة
 لم ترفع المسلمين بالاندلس راية الى زمان يعقوب المريني وهذه الواقعة
 يسميها اهل السير بالعقاب * ولما رجع الناصر الى العدة ودخل مراكش

أخذ البيعة لولده يوسف وتلقب بالمنتصر والعصف الناصر على قباقر
 إلى أن توفي سنة تسو وستمائة ومن هنا أخذت دولة الموحدين في
 الانحلال وقام بالامر بعده ولده يوسف *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين يوسف المنتصر

هو ابن محمد الناصر بن يعقوب المنتصر بن يوسف بن عبد المؤمن بن
 علي قام بالامر بعد أبيه فقرب الأراذل وأبعد مشائخ الموحدين فكانت لا
 تنفذ أوامره وأخذت دولة الموحدين في الأدبار وظهرت دولة بني مرين
 في أيامه سنة ثلث عشرة وستمائة وبعث المنتصر جيشا لقتالهم فكان
 الظهور لبني مرين واستباحوا سكر الموحدين * وكان يبيل إلى الراحة
 فكانت لا تنفذ أوامره عند عماله وكان مغرى بشاح البقر فدخل ذات
 يوم بين المقر فقصدت إليه بقرة شرودة فضربت به في بطنه فمات من
 ساعته وكانت أيام ملكه عشر سنين وأربعة أشهر وذلك سنة عشرين
 وستمائة والملك لله وحده * ولم يمات اتفاق الشيخ الموحدين على مبايعة
 أبي محمد عبد الواحد *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد

هو ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويح ثالث عشر ذي الحجة
 سنة عشرين وستمائة وهو في سن الشيخوخة وكان صالحا متورعا فاستقام
 له الأمر شهرين ثم اضطربت أحواله وقام عليه أبو محمد العادل وكان
 في مرسية فخذ البيعة لنفسه وكتب إلى أخيه أبي العلي وكان بأشبيلية
 يدعو إلى بيعته فاجابه وبعث إلى أشياخ الموحدين الذين بمراكش والعدوة
 فاستمالهم بعد ما وعدهم بجزيل العطاء فانفقوا على مبايحته ودخلوا على الخليفة
 عبد الواحد فطالبوه بخلع نفسه وتهديدوه بالقتل فاجابهم فادخلوا عليه
 القاضي والشهود فشهدهم على خلعه وأنه بايع لأبي محمد العادل * وبعد
 أيام دخلوا عليه فخنقوه وأنهبوا قصوره وكان أول مخلوع من بني عبد المؤمن
 وانفتح باب الغش بين الموحدين وصاروا كالأقوال بالعراق * وكانت

أيام خلافتهم ثمانية أشهر وتسعة أيام * وقسم بالأمور بعده أبو محمد عبد الله
ولقبه العادل بأحكام الله *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين عبد الله

هو ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويج
ببرسية في صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة وتم له الأمر في شعبان بعد
خروج عبد الواحد ورجع من لاندلس إلى حضرة مراکش وفوض أمر
لاندلس إلى أخيه أبي العلاء الملقب فيما بعد بالمأمون فأقام على طاعة
أخيه إلى سنة أربع وعشرين وستمائة فنكث بيعته العادل ودعا الناس
لمبايعته فأجابوه ونلقب بالمأمون وكتب إلى أشياخ الموحدين بمراكش
واستمالهم فأجابوه فدخلوا على العادل وختوة بعمامته حتى مات في شوال
سنة أربع وعشرين وستمائة وكانت خلافتهم ثلاث سنين وشهرين وكتبوا
يختهم ملة للمأمون أبي العلاء أدريس وبعثوا بها على البريد ثم ندموا وخافوا
منه لما يعرفون من شهامته فرجعوا وبلغوا يحيى بن الناصر *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين يحيى

هو ابن محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن
ابن علي لقبه المعتصم بالله بويج في الثاني والعشرين من شوال سنة
أربع وعشرين وستمائة وامتنع من مبايعته كثير من الناس لمبايعتهم المأمون
ووقع لذلك فتن في البلاد واضطربت الأحوال وكثرت المحن وغلبت
الأسعار وكثر الخوف وانصل الخبر أن المأمون بويج له بالاندلس وأنه
يملأ البحر ملة مدينة ستة * فلما علم يحيى بذلك ورأى اختلاف
الوحديين عليه بمراكش فر إلى جبل درن ثم رجع إلى مراکش فأقام
سبعة أيام ثم هرب ثانياً وكانت بينه وبين المأمون حروب انهزم فيها
يحيى ولم يزل شرعاً إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين في أيام الرشيد
وسبغني خبره وجدد الموحدين البيعة للمأمون * وأخرج جادى الأخيرة سنة
ست وعشرين وستمائة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المأمون

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي كان فصيح اللسان ضابطاً للحديث الشريف حسن الصوت واللاوة عالماً بالعربية واللغة والآداب وإيام الناس سالكا في امور الدين والدين وكان حارماً شجاعاً وهو اول من ادخل الصمري الى مراكش استمر بهم ودخل معه اثنا عشر الى نصراني * ولسا حل بمراكش بعد المنبر وخطب الناس وسب مهديهم وقبح مذهبه ومذهب من تبعه ونحا اسمه من الدراهم ومن الخطبة وقتل لا تدعوه بالهدي واشياء يطول شرحها وكتب بذلك في الافاق وقتل اشياخ الموحدين لاجل نكبتهم البيعة ولم يبق منهم احد وكان جلته القتل اربعة آلاف وستمائة وكتب لعماله بالامو بالمعروف والنهي عن المنكر وقام عليه احوه بالاندلس وكثرت عليه المحن ونوالت عليه الهموم فمات رحمه الله * وكانت ايام خلافته ثلث سنين وستة اشهر وفي ايامه استولت الروم على جزيرة صيرقة وبويع ولده عبد الواحد وتلقب بالرشيد *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين الرشيد

هو عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويع اول المحرم سنة ثلث وستمائة وعمره اربع عشرة سنة فاقام بمراكش في سنة ثلث وثلثين فقتل جلته من اشياخ الخطا فقاموا عليه وحاربوه فانصر عليهم بعد ما نهبوا مراكش وهرب ورجع الى حشرقه ولم يزل في شتات الى ان وافاه حمله غريفا في شهر ربيع يوم الخميس التاسع جدي لآخر سنة اربعين وستمائة وإيام خلافته حسة اعوام وخمس اشهر وإيام وسكان في زمانه وباء وفساد مشوا بحيث انه بلغ قفيز القمح ثمانين دينارا * وفي ايامه استبد ابو زكرياء يحيى بالامارة في مدينته تونس وام يتسم بامير المؤمنين وتعلبت بنو مرين على اكثر بلاد المغرب وقام بالامر بعده ابو الحسن اسعيد *

الخمسبر عن خلافة امير المؤمنين العتضد

هو ابو الحسن علي بن ادريس المامون بن يعقوب المنصور بن يوسف
ابن عبد المؤمن بن علي نسمى بالعتضد بالله ولقب بالسعيد بويج يوم وفاة
أخيه الرشيد بهراكلش عشر جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة * وفي
أيامه كثر جمع بني مرين وأرسل اليهم الجيوش فكانت الدائرة لبني مرين
وخرج سنة ثلث وأربعين بنفسه في جمع عظيم وأخذ البيعة على الأمير أبي
يحيى بن عبد الحق المريني وجاءه الخبر في هذه السنة بأن المعتصم تسمى
بأمير المؤمنين احتقاراً لدولته فارمى للخروج بنفسه والتقى ببني مرين
وكانت بينهما وثعات وحارب ابن زيان القائم بلسان وفر أمامه إلى
بعض القلاع فتبعه السعيد وحاصره بها ثلثة أيام وخرج السعيد في الهجرة
يتجسس عن أحوال القلاع فكيف الحيلة في أخذها فكمن له ثلثة نفر
على حين غفلة فقتلوه أجمع وقتل وزيره معه ونهب ابن زيان جميع ما
كان في محله وجلت جثته فدفت خارج بلسان وكانت وفاته يوم
الثلاثاء آخر صفر سنة ست وأربعين وستمائة وبويج بهراكلش المرتضى *

الخمسبر عن خلافة امير المؤمنين المرتضى

هو أبو حفص عمر بن الأمير اسحاق بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد
المومن بن علي بويج بعد موت السعيد فقد لم البيعة برباط الفتح وارتحل
إلى مراكلش وأخذ البيعة عن أهلها واستقام له الأمر من مدينة سلا
إلى مدينة السوس وكان يدعي الزهد والورع ويحب السماع وكانت
أيامه أيام هتاء ورخاء مفرط ما سمع به مثله * وخرج سنة ثلث وخمسين
في ثمانين الف إلى فحال ببني مرين فلما قرب من مدينة فاس وكن
خوف بني مرين خامر قلوبهم انطلق فرس لبعض العسكر فحرق صاحبه
في النار فظنوا أن العدو قد ذهبهم فانهزم العسكر لا يلوي أحد من أحد
وافضل الخبر بالأمير يحيى بن عبد الحق فخرج واحتوى على جميع محله
وسار المرتضى إلى مراكلش في ثلث يسير فاقام بها إلى أن دخل عليه

أبو دبوس فقتله أواخر المحرم سنة خمس وستين وستمائة فكانت أيام
خلافته تسع عشرة سنة إلا أياما وتولى بعده الوائلي أبو دبوس *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي دبوس

هو إدريس بن الرشيد أبي حفص بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن
علي كان شجاعا مقداما ومبب تملكه مراکش كان المرتضى فقم
عليه أشياء فخاف منه وهرب إلى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق
المريني متصرا به فالتاه بمدينة فاس فأكرم مشوا وأمانه بالمال والرجال
واتفق معه أن يعطي لبني عبد الحق النصف فيما يغلب عليه من البلاد
فلما تمكن من مراکش ودخلها على حين غفلة وفر أمامه المرتضى واستقل
بالامر كتب إليه الأمير يعقوب يهنيه ويطلب منه الشرط الذي بينهما
فقال للرسول - قل لأبي عبد الرحمن يغتنم الفرصة ويقنع بما في يديه
وإلا أتته بجنود لا قبل له بها - فلما وصل الخبر إلى يعقوب المريني
شن عن بلاده العارات وجهز له الجيوش * وفي سنة سبع وستين خرج
أمير المسلمين يعقوب المريني بنفسه فالتقى معه أبو دبوس ببلاد دكالة
فكانت بينهما حروب قتل فيها أبو دبوس وجيء برأسه إلى يعقوب بن
عبد الحق فبعثه إلى مدينة فاس وطيف به هنالك وانتهب محلاته *
وكان قتله آخر ذي الحجة سنة سبع وستين وستمائة وبه انقضت
دولة بني عبد المؤمن * وكان ابتداء أمرهم من الهدي بن تومرت سنة
خمس عشرة وخسمائة وانقضت بابي دبوس سنة سبع وستين وستمائة *
وملوك بني عبد المؤمن أربع عشرة خليفة - وأنشئت بلاد المغرب إلى
حكم بني مرين - والاندلس إلى الثوار من الطوائف - وأفريقية إلى
بني حفص - والله يرث لأرض ومن عليها وهو خير الوارثين :

المصل الثاني

فيمن تولى من بني حفص في البلاد الأفرقية

وهذا أنا أذكر بعض سيرتهم والعمدة في ذلك على ما نقله ابن السمع

ولاكن فائتي به سخمرا لئلا تذهب ديباجته ويظن المتامل اني غرت عليه ونزلت ساحته وربما فاني بما ليس فيه واذكرة وابنه عليه ان شاء الله تعالى وبه المستعان وعليه التكلان ، فساقل وبالله التوفيق : -
 اول من نزلت من بني حنظل المولى ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حنظل عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن عليته بن احمد بن والال بن ادريس بن خالدة بن اليسع بن الياس بن عمر بن واقف بن محمد بن نجبة بن كعب بن محمد بن مسلم بن عبد الله بن عمر ابن الخطيب رضي الله تعالى عنه كذا قيد نفسه ابن الشعاع * قلت هذا النسب عارق في انساب البربر والعرب كانت تدف عن التزويج منهم وخصوصا قريشا والله اعلم بحقيقة ذلك ، ولاجل هذا السب الشريف خطب لهم بامير المؤمنين والناس مصدقون في انسابهم والشيخ ابو حنظل من قبيلة هنتاتة من قائل المصامدة ومنتاعة اكشرا جعا وهم القائمون بدعوة المهدي بن تومرت والسابقون اليها وابو حنظل احد العشرة الذين بايعوا المهدي وقد سبق خبره * وثبنا دخل الناصر بن المنصور افريقية عند تغلب بن غانية عليه وهزمه الناصر وطردة واسترحق المهدية ورجع الى تونس واقام بها حولا واراد الرجوع الى المغرب اراد ان يرلي بافريقية من يقدم مقدمه فوقع اختياره على المولى عبد الواحد فولاه عليها بعد تمنع وشروط شرطها عليه ووفى له الناصر بها فرفعت رايته بين الموحدين ورحل الناصر الى المغرب ورفقه المولى عبد الواحد من بجة ورجع الى حضرة تونس فيتعد مقعد الامارة بتخصيتها وذلك يوم السبت عاشر شوال سنة ثلث وستائة وكان رحمه الله تعالى عالما فاضلا ذكيا فطنا شجاعا محسنا وهو الذي اخترع زمام النصارى بن تونس للوفد وكسان يجلس يوم السبت للظفر في مسائل الناس ومدهم بعض الفضلاء بشيعة تدل على فضله ومها :

وندا على المداح ان يمدحوا به وفيلك حصال ليس تحصر بالعد
 نهارك في تدبير ما يصلح الردي وليلك مقسوم على الذكر والورد

ودخل عليه الامام ابو محمد عبد السلام البرجيني من تلامذة الامام المازني وكان تحت جبة منه فقال له المولى عبد الواحد - كيف حالك يا فقيه - فقال - في عبادة - فقال له المولى عبد الواحد - تعرضها ان شاء الله بالشكر - قال ابن بختيل كاتب المولى عبد الواحد - ثم نفهم ما اراد فسالت المولى عن ذلك فقال - اراد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - انظار الفرج بالصبر عبادة - وهذا يدل على ذكائه رحمه الله عليه وتوفي يوم الخميس اول المحرم عام ثمانية عشر وستمائة وايام دولته اربع عشرة سنة وثلاثة اشهر * ودفن بالقصبة وقبره يزار ويبرك به وبالقرب من تربته مغارة كان يعبد فيها * فبقيت وترتبه الى يومنا هذا مشهورة داخل القصبة ولما توفي رحمه الله قدم ولده المولى ابو زيد ثم طلع الى المغرب هو واخوته ثم وصل الى تونس ابو محمد عبد الله بن المولى عبد الواحد من قبل العادل بن البصرور ومع اخوه ابو زكرياء يحيى سنة ثمان عشرة * وقدم المولى ابو زكرياء على مدينة قابس من قبل اخيه ابي محمد عبد الله ثم وقع بينهما اختلاف فخرج المولى عبد الله الى قتال اخيه ابي زكرياء فخالف عليه الموحدون وابرا قتال اخيه فرجع لتونس واستقر بها ثم بعد ذلك تحرك ابو زكرياء الى تونس فملكها ووجه اخاه في البحر الى مدينة اشبيلية من بلاد الاندلس واستقر قدم المولى ابي زكرياء في الامارة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين يحيى

هو المولى ابو زكرياء يحيى بن المولى ابي محمد عبد الواحد بن ابي بكر بن المولى ابي حفص صهر الهنتاتي ولد بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسائة ويوم بالقيروان في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة وحدث له ابيهم يوم وصوله لتونس في الرابع والعشرين من رجب المذكور * وفي سنة اربع وثلاثين بوبع البيعة الثانية وذكر اسمه في الخطبة ولم يتسم بامير المؤمنين واقتصر على الاسير وعرض له بعض الشعراء بقوله من قصيدة بحرضه فيها وهو قوله :

لأصل بلامبو المونيين فانت بها احق العالمين
 فزجرة ولم يقبل وذلك في أيام الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور عند
 اضطراب المغرب فاستبد أبو زكرياء بأفريقية * وفي سنة خمس وثلاثين
 وستمائة وصلت اليه بيعة زيان بن مرد يثن صاحب شاطبة ورسوله
 أبو عبد الله محمد كلابر وأنشده قصيدته السيئة الفريدة التي منها *
 أدرك بخيلك خيل الله اندلسا أن السبيل إلى منجاتها دوسا
 وفي سنة تسع وثلاثين تحركت إلى مدينته ثلثان ففتحها وكان معه من
 الجيش أربع وستون ألف فارس * وفي سنة أربعين وصلت اليه بيعة
 سبتة وبيعة المريجة * وفي سنة ثلث وأربعين وصلت اليه بيعة اشبيلية
 والمريجة وغرناطة ووصل وفدهم لتونس وقررت بيعتهم على النسي وكان رجة
 الله عليه من الصالحين والعلماء العاملين ختم على الشيخ الويفي السوسي
 كتاب المستصفا للغزالي وفيه من الكتب المفيدة فأنظر في الكتاب على ابن
 مصفور وكان فيها ادبها وكان معدودا في العلماء والشعراء وكان مختصرا
 في لباسه ومركوبه وكان يلبس جبة الصوف وحرام الصوف * ونقل
 من ابن القصار أن المولى أبا زكرياء استدعى بعض وزرائه من باب
 الصروق بعد انفصال مجلسه والعادة عنده أن تن استدعاء من ذلك المكان
 إنما يستدعيه للعقوبة قل الوزير فلما استدعيت أدخل بي بابا إلى
 أن انتهيت إلى باب قبة الخليفة فوجدته جالسا على كرسي من خشب
 وبيده أبرة وهو يرقع ثوبه فسلمت عليه فأمروني بالجلوس وإذا بحسام قد
 أتى بمائدة مغطاة فلما رفع عن المائدة فإذا بها طعام واحد ورغيف خبز غير
 فني فاكل وأكلت معه فلما فرغ قال لي انصرف بسلام فخرجت ووقعت
 مندي حيرة فاخبرت بذلك بعض اصدقائي لي فقل وما صنعت قلت
 لا شيء إلا أني لما دخلت عليه نظروني شزرا فدخل لي دخلت عليه في
 ثيابك هذه قلت نعم قل لي من هاتى عليك تراه أخبرك أن كسوته
 المرقعة واكله الخس من الطعام فإن انت انتهيت عن فعلك ولباسك

التياب الرفيعة وإلا لا تلوثن إلا نفسك * قسست رحم الله هذه الروح
الزكية . وهو الذي بنى الجامع بالقصبة وبني صومعته العجيبة وهي
باقية إلى يومنا هذا ولها شكل عجيب واسمه منقوش عليه وكانت قبل اليوم
بارزة ينظر إليها المارة بها ويقرا ما هو مكتوب عليها وقد حيل بينها بسنارة
ستر احشوها ولم يبق منها إلا مقدار نصفها وانستر ووثقها على الماطر وكان
بناؤها سنة تسع وعشرين وستمائة وبني مصلى العيدين * قسست
هو الذي يقل له جامع السلطان من ناحية المراكب وكذلك بنى المدرسة
التي بطرف سوق الشماخين * قسست سوق الشماخين يعمل فيه
السبايطي يومنا هذا وبني سوق الطارين وحضر مدينة تونس وجعلت
دولته من ريساء العلماء والشعراء وأهل الصلاح مما لم يجتمع لغيره وجمع
بعدله وسياسته اموالا لا تحصى إلا بالبيت والبيت عبارة عن الف
الى وحلب سعة عشر بيتا من المال ومن الكتب سنة وثلثين الف مجلد
وفي سنة سبع واربعين تحركت الى المغرب فمات هناك ودفن بجامع
بونة ونقل بعد الى قسطينة وكانت وفاته عاشر جادى لآخره وهو ابن
تسع واربعين سنة ودولته الستين وعشرون سنة وتولت من الاولاد المذكور
اربعة وهم محمد المستنصر وابو اسحق وابو بكر وابو حفص عمر * ويقال
ان في هذه السنة توفي الملك الصالح ابن ايوب صاحب مصر وكان دينيا
عظيما والملك المنصور بن رسول صاحب اليمن والامبرطور صاحب صقلية
عظيم النصرانية والغش لاهول عظيم النصرانية بالاندلس فكانوا يرون
ان حذاق ملوك الدنيا ملئوا في سنة واحدة فسبحان من لا يزول ملكه *
الخسر عن خلافة الامير المولى ابي عبد الله محمد

هو ابن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي محمد عبد الواحد بن ابي
بكر بن المولى ابي حفص عمر بويج صبيحة الليلة التي توفي فيها والده
يوم الجمعة التاسع والعشرين من جادى لآخره سنة سبع واربعين وستائة
وعمره الستون وعشرون سنة ام ولد اسمها عطف وهي التي اموت ببناء

جامع التوفيق والمدرسة التوفيقية * قسنت المدرسة التوفيقية اندرست
 * انارها وكانت قبالة زاوية الشيخ الزليجي * وفي سنة ثمان واربعين
 نصبت القصور بصامع الموحدين وفيها بنيت السقاية التي شرقي جامع
 الزيتون وفيها جعلت الشكلة لليهود وبولغ في مذلهم * وفي سنة احدى
 وخسين بنيت قبة المجلس وبنيت الممشى الى راس الطابية * وفي
 سنة ثنتين وخسين وصلت بيعة بني مريين من مدينته فاس ودعي له على
 منابرها * وفي سنة سبع وخسين وصلت بيعة مكتة بنشأة عبد الحق
 ابن سبعين وقرئت على الناس فعند ذلك تسمى بامير المؤمنين ولقب
 بالمستنصر بالله وكان قبل ذلك يدعى بالامير فقط ونصب بالنصباء في الاحكام
 الشريفة ابا عبد الله محمد بن ابراهيم المهدوي المعروف بابن الخباز من
 اهل العلم والورع وكان المستنصر يقول - ما يسألني الله عن امور الامة بعد
 ان قدمت عليهم ابن الخباز * وفي عام ستة وستين اكمل المستنصر بناء
 الحناية التي كان يجري عليها الماء الى مدينة قرطاجنة في الرسن الاول
 فاصلح ما فسد منها واحياها واجرى عليها الماء من عيون زغوان وجعل قطعة
 من الماء الى سقاية جامع الزيتون وبقي الماء الى جنة ابي فهر * قلت
 هي التي يعبر عنها في زماننا بلطوم ولم يبق من ذلك الا الفسقية وبقيت
 خرائب والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين * وفي هذه السنة
 تحركت الى بني رياح ومسلكت جماعة من رؤسائهم وضربت اعناقهم وبعث
 الى تونس برؤسهم على الرماح * وفي سنة ثمان وستين وستة مائة في ذي
 القعدة نازل الافرنسيس مدينة تونس بجموع وافرة فرسانا ورجالا وكانت
 بينهم وبين المسلمين حروب مات فيها خلق كثير من الفريقين ومدة
 اقامتهم اربعة اشهر وعشرة ايام * وفي عام المحرم سنة تسع وستين مات
 طاغيتهم قيل ان السلطان بعث اليه بسيف مسموم وقيل مات حتف
 انفه * وارسل الله وباء على جيشه فمات عدد كثير وطلبوا الصالح
 فصالحهم السلطان على الانصراف من غير تعرض لجهة من جهات المسلمين

على أن يدفع لهم الت قنطار ومائة قنطار وعشرة قنطير من القمح
والهدنة خمسة عشر عاماً الصلح * وكان رحمه الله لم يخسرن
ال قتالهم وإنما يمدهم بالجيش وسبب نزل الفرنسيين تونس قيل أنه
ذكر يوماً بحصرة المستنصر فخرج من جانبه وقل هو الذي أسر حوله
وأطلقه يشير إلى الأتراك الذين كانوا بين يديه وكان يستخدم منهم جماعة
فبلغت هذه المقاتلة الفرنسيين فحقد لها وهزم على شرو تونس * وأما
علم المستنصر بذلك طلب منه المهادنة فامتنع وأغاظ للرسول وعزم على أخذ
تونس فجعل الله هلاكهم به ومن غريب الاتفاق لما نزل تونس قال أحمد
أدبائها الشعراء :

يا فرنسيس هذه الخث مصر فتبها لما إليه نفســـــــير
لكن فيها دار ابن لغمان قبر وطواشيك منكر ونكير
فصدقت الأقدار فواله ومات بارض المعائمة وقبر بنا وهذه كلابيات يشير
فيها بالليح إلى ما سبق له : رح مصر سنة سبع وأربعين وسنة قرل على
مدينة ذريط وملكها ومدة إقامته بها تسعة أشهر وثلاث في رسن السلطان الكامل
ابن أيوب فأمكنه الله منه فاختذه وجاعته من قواميسه وحمل على جعل
ووجيه إلى خلف ولطف به وسجن في دار ابن لغمان ويكل به طواشي
اسمه صبيح ففدا نفسه بقنطير من الذهب وحلف أن لا يطأ أرض المسلمين
فلما رجع إلى بلاده عزم على العودة إلى الديار المصرية ومكث العهود بنفسه
الحيث فلما علم به صاحب مصر كتب له رقعة من إنشاء كمال الدين بن
مطروح وبعضها مع رسالته وفيها قصيدة بليغة فلما ورد الرسول على الفرنسيين
استجاسه فأتى أن يجلس وأنشده وهو قائم بير يديم *

قل للفرنسيس إذا حشسه خذل صدق من متول فصيح

أبيت مصر تبغي ملكها تظن أن الدين بطل ربح

منها :

وقل لهم أن ازمعوا عودة لاخذ ثار أو لفل قبسبح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باقى والطراشي صبيح
وهي طوبلة ذكرها المقرئى وذكر ابن السمع عدة ابيات منها والقصيدة
في غير ما موضح مشهورة * فسلما سمع المقالة ذلت نفسه على العودة الى
مصر واراد ان ياتخذ ثارة من تونس فدمره الله تعالى وكان نزلهم على تونس
سبباً لا تثنى الاموال التي تركها المولى ابو زكرياء والتي جعل ولد المستنصر
ففرقت على الاجناد والوفود والاعراب وتوفي المستنصر بالله في الحادي عشر
من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة وعمره خمسون سنة فكمات
خلافتهم ثمانية وعشرين عاماً وخمسة اشهر واحد عشر يوماً رحمة الله عليهم
وتولى بعده ولده المولى ابو زكرياء يحيى ولقب بالوافى وخلع فيما بعد *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي زكرياء يحيى الوافى

هو ابن المستنصر بالله امير المؤمنين ابن المولى امير المؤمنين ابي
زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر بن عمر بويج صبيحة اليوم
الذي توفي فيه والده * ولما ولي سرح السجوقين وامر برفع المظالم واحراق
ازمة التورث وبالنظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد واحسن الى
الجمد وكان غير نادم باعباء الملك وطلب على امة ابن العافى وكان
ابن العافى كثير الاعجاب مفرط في التصفى والكبر مشغلاً بالسياسة والآلات
الملاهي واقشاع الآث ولا يحسن شيئاً من سياسة الملك والرياسة فادى
ذلك الى فساد الملك فخرج عليه عمه ابو اسحاق ابراهيم وكان مقيماً
بالاندلس لما فر في زمن اخيه المستنصر خيفة على نفسه واقام بها زماناً
وكان اخوه المستنصر يهدي صاحب الاندلس لاسانك اخيه عنده فلما
مات اخوه وتولى ولده ابو زكرياء ولم يكن له ولا من يدينه معرفة
بالامور حاز المولى ابو اسحاق الى المغرب وقصد افريقية فملكها واتى الى
تونس في غرة ربيع الثاني وصافى على المولى ابي زكرياء فجمع نفسه
لعمه وسلم له الامر فكانت مدة خلافتهم ميتين وثلاثة اشهر وعشرين يوماً
وخرج من الثغمة وسكن بدار الغوري بسوق الكتبيين الى ان مات

في صفر سنة تسع وسبعين بعد ما أشتل ومات مسجونا رحمه الله عليه *
 الخمسبر عن خلافة أمير المؤمنين أبي إسحاق إبراهيم
 فسو ابن المولى أبي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن أبي
 بكر بن أبي حفص عمر بويح بتونس غرق ربيع الأخير سنة ثمان وسبعين
 واستجائته وكان ملكا شجاعا وعبد فليطه ويغيب عن مجاسده لانسهم ودانت
 له أفريقية * وفي سنة ثمانين وستمائة بعث ولده المولى عبد الواحد
 لجباية الوطن وأخذ مسل هواره فلما بلغ القيروان بلغه أن مرغم بن صابر
 الرباحي معه قائم يدعي أنه الخليفة بن الواثق فكتب إلى أبيه
 بذلك * وفي سنة إحدى وثمانين عظم أمر الدي ومالك قابس واحتوى
 على أكثر البلاد فأخرج الخليفة إليه جيشا من تونس أمره بولده أباه
 زكرياء فنزل القيروان ونزل الدي فمودة فأنسل غالب العسكر إلى الدي
 ولم يبق مع المولى زكرياء إلا قليل فرجع إلى تونس وأخبر أباه فخرج
 أبوه الخليفة بنفسه في شوال من السنة المذكورة بجيش عظيم وأخرج
 من الدروع والسيوف ما حل على تسعين بغلا ونزل بالحمديت فلم يبق
 شيء من ذلك وفر عنه أكثر عسكره إلى الدي ونهب جميع ما كان معه
 هناك فرجع إلى تونس وأخرج نساءه وأولاده ورحل إلى المغرب * ولما
 وصل بجاية لقيد ولده أبو فارس وكان عاملان فحلج الخليفة نفسه لولده أبي
 فارس وتلقب بالعمد وتجهز النساء الدي وتركه والده بجاية واشفى
 العمدة والدي بوطاة مائة سان فحانت أعمار العمدة فأنزل وقيل ونهت
 أمواله * ولما سمع أبوه الخبر خرج هاربا وأدركه أهل بجاية فخذوه
 وأتوا به إلى الدي فقتله في تسع عشر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين
 وستمائة فكانت مدته ثلثة أعوام وستة أشهر وستة وعشرين يوما ولما ولده
 المولى أبو زكرياء إلى بلاد المغرب والدي هذا هو أحمد بن مرزوق بن أبي
 حمزة المسيلي مولده بها ونشأ بجاية وكان محترفا بحرفة الخطاطة حامل
 الذكر إلا أنه كان يتطور ويخالط السحرة ويؤمن أنه يحيل المعادن إلى

الذهب بالصناعة وتغلب في البلاد إلى أن وصل إلى طرابلس وصحب
نصيرا مولى الوائلي ابن المستنصر فلما رآه تبين له في شبه من مولاة فاخذ
نصيرا يهكي ويقبل قدميه فقتل له الذي لم يخبرك فتص عليه خبر مولاة
فقال له صدقتي وأنا فاخذ بشار مولاك فاقبل نصير على اسراء العرب
واخبرهم بأن ابن مولاة فصد قوة وأتوه ببسبعتهم وزعم انه الفضل بن الوائلي
ابن المستنصر فكان من امرة ان خطب له على منابر افرقيته وكان
سفكا للدماء خبيسا فاجرا كذاها ولم تكن له منقبة خير انه رفع النزول
عن اهل تونس وبقي جامعا خارج باب البحر للخطبة * ولبس ثماني
في جورة وكذب منه الداس ومثله جده وظهر المولى ابو حفص بن المولى ابي
زكرياء وكان مختفيا في البلاد ثم والى عليهم الناس فجاء لتونس وحاصر
الذي وانكشف سره فايقن بالهلاك وفر بنفسه إلى دار فران اندلس
قرب حمام زرقون فذلت عليه امرأة فاحيط به وضرب اسواط فاعترف
بتدائسه وبسبه وشهد عليه الناس بمحض الشبهة ثم طيف به على حمار
ثم قطع راسه فكانت مدنة بتونس سنة ونصفا غير ثلثة ايام وذلك
اواخر ربيع الاخير سنة ثمان وثمانين ومستمائة *

الخمس عن خلفته امير المؤمنين المولى ابي حفص عمر

هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر
ابن الشيخ ابي حفص عمر سبيع يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر
ربيع الاخير من السنة المذكورة وكان ملكا قافلا كريما لم يحدث منه
عقوبة لاحد وكان له اعتماد في العالمين وخصوصا في الشيخ المولى الصالح
ابن محمد المرحاني ويعظم العلماء والصالحاء وسره ولم ير على اكمال الحالات
سنة اواخر سنة ايام عدل وامر وجاء * ولما اصابهم الوباء الذي توفي
منه عهد إلى ولده عبد الله فلم يرهم انياخ المرحومين امير سنة فاستشر
ولي الله الشيخ المرحاني فاشير عليه بتسليمه ابي عبد الله محمد ابي عبيدة
فقبل اشارة الشيخ وانفذ بعهدة اليه وتوفي اواخر ذي الحجة سنة اربع

وثمعين وستماعة فكانت خلافة أحد عشر عاماً وثمانية أشهر ولم من
العمر الثمان وخمسون سنة وقام بالامر بعده المولى ابو عبيدة *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي عبد الله محمد بن عبيدة
هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي
زكرياء بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر
يبيع عاشر ذي الحجة سنة أربع وتسعين وثمانية وسبب تسميته بابي
عبيدة لما قتل والده واخوته هربت احدى جواريه وقد اشتملت منه على
حل وانت وبهاك الشيخ المرحوم غرست في ذلك وقتل منه الشيخ والطعم
الغمراء عبيدة الخطية وسنة مجددا وكذا بقي عبيدة فبقيت له دمة مع
الشيخ وكانت ايامه ايام هدنة وعافية وسلم لا حرب غرست فيها الغراسات
وبقيت الابراج وامتدت كالأمل كل ذلك ببركة الشيخ المرحوم وللقب
بالمستنصر بالله وحكمت خلافة أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر
يوماً ولازمه مرض الاستسقاء فمات منه في عاشر ربيع الآخر سنة تسع
وسبع مائة ولم يخلف ابناً فامسى في ابي يحيى ابي بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر الشهيد
هو ابن الامير عبد الرحمن بن الامير ابي بكر بن المولى ابي زكرياء يحيى
ابن الخليفة المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد
الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر بن يع يوم وفاة المولى ابي
عبيدة لانه كان نحت كفه فدخل مدينة ايام ونحرت اليه المولى ابو البقاء
خالد من بلاد قسطنطين فخرج المولى ابو بكر بمجلسه والنهي مع ابي الشتاء
خالد داهزم جيشه ورجع هو هارب الى القصبته ووقف باسبخته وظهر
ان لا جاد نالقه فلم يجتمع له أحد فرقت ساعة وانصرف فالحق وقبض
عليه فقتل وبذلك سمى شهيداً وكانت مدته ستة عشر يوماً *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي الشتاء خالد
هو ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى ابي اسحاق ابراهيم

ابن المولى ابي زكرياء يحيى بن المستنصر بالله بن المولى ابي زكرياء يحيى بن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر كان عاملا في بلد الغناب وقسطنطينة بعد وفاة والده ابي زكرياء وكان يضع تاج الملك على راسه ويركب بغلة عالية * ولسا حل بتونس انعكس على لذاته ولهوه وترك سياسة الملك فقام عليه ابو يحيى زكرياء ابن اللحياضي وقفل من الشوق * ولسا حل بطرابلس وراى اضطراب افرقيته طلب الملك فبيع بطرابلس وانضم اليه اولاد ابي المليل فبعثهم في مقدمته مع شيخ دولته محمد المزدورى فوصل لتونس اول جادى لاولى سنة احدى عشرة وسبع مئة فاجتمع القاضي ابن عبد الربيع بالسلطان ابي البقاء خالده وعرضه على الدفع عن سلطنته فكرة القضاء واعتذر بالمرض واشهد على نفسه بالانحلاع عن الامر فدخل ابو عبد الله المزدورى القصبته واخذ البيعة عن المولى خالده ومن معه من الاجناد وقتل بعد ذلك وبيع المولى ابو يحيى ابن اللحياضي وكائن ولايته ثمانين وستة اشهر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابن اللحياضي

هو زكرياء ابن الامير ابي العباس احمد بن الشيخ ابي عبد الله محمد اللحياضي ابن المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر اخذ له البيعة حين دولته المزدورى واقبل هو بعد ذلك ثاني رجب من السنة المذكورة يعني سنة احدى عشرة ونزل المحمدية وجددت له البيعة هناك ودخل لرأس الطابية وعرض الجند واسقط من لم يكن ثابتا وكانت له مشاركتة في العلم والادب وقد طعن في السن وكبر وفسد الامور وجربها وتحوكت عليه المولى ابو يحيى ابو بكر من الثغور الغربية فعلم ان ليس له طاقة على لقائه واضطربت عليه البلاد فجمع الاموال والذخائر وباع كل ما في القصر والكنب التي جمعها ابو زكرياء بيعت في الوراقين وجمع نحو عشرين قنطارا من الذهب سوى الفضة والدر وغير ذلك وخرج حلة قابس ثم الى طرابلس وكانت مدته الى ان بويع ولده ابو صريرة

سنة اعمام وثلاثة اشهر ونصف وقدم بعده المولى ابو صربية وكان تلاميذ ابو عبد
الله محمد ابن السجستاني عرف بابي صربية مسجوناً عند قاضي الوقت المهدية
فاطلق وتبى للماء المولى ابي بكر وكان حزة بن عمر بن ابي الليل من بطانة
ابن السجستاني واحوه مع ابي بكر فدرس اليه ان يجفل بالعسكر فاخذل
عسكر السلطان ابي بكر ورجع الى قسطنطينة ودخل ابو صربية لتونس
سنة سبع عشرة وسبع مئة في منتصف شعبان وبويع بالخصرة وتلقب
بالمستنصر ولم نطل ايامه واعاد عليه الكزة المولى ابو بكر فهرب ابو صربية
الى المهدية وتحصن بها وبلغ خبره الى ابيه بطرابلس فبعث اساطيل الى
المهدية فحمل ماله واهله وسافر الى مصر وذلك في ايام الملك محمد بن قلاوون
فاكرمهم وكانت مدة ابي صربية ثمانية اشهر وثلاثة ايام واستولى على
تونس المولى ابو يحيى ابو بكر *

الخبر عن خلافة امير المؤمنين المولى ابي يحيى ابي بكر
هو ابن المولى ابي زكرياء بن المولى ابي اسحاق ابراهيم بن المولى ابي
زكرياء بن المولى ابي عبد الله محمد المستنصر بن المولى ابي زكرياء بن
المولى عبد الواحد بن ابي بكر بن الشيخ ابي حفص عمر بويج في الثامن
عشر من ربيع الاول سنة مشروبع مائة وكان رحمه الله شجاعاً جليل الصورة
كامل القامة محبوباً عند الخاص والعام ولا يولي قاصياً حتى يشهد فيه بالخبر
وتكثرت قاضيه ابن عبد السلام وقد تعرض له في بعض احكامه القائد ابن
الحكيم فاغلق القضي باباً وامتنع من الحكم فانتبه له السلطان وقال
له نطالبك بين يدي الله ان توجبه لاحد على ولدي حتى وتركته وكان
يحب الشرفاء ويكرمهم وكان جده ابو اسحاق ابيهم في زمان الموحدين *
ولمساتولى المولى ابو بكر حوزهم الرباع وملكهم اياها فقتلهم بها بينهم
وسكانت له وقائع مع بني عبد المومن وسافر عن تونس عدة مرات وهزم
العرب وقت رقاب اشبغهم ودانت له البلاد وتلقب بالمشرك على الله * وفي
يانه فتح قباذه ابن الحكيم المهدية وكانت في طاعة السجستاني وولده

من بعده فتحت سنة تسع وثلثين * وبقي سنة ثلث وأربعين فزل العرب
على تونس ولم يتخلف منهم أحد وانماوا سعة أيام ثم ارتحلوا وخرج السلطان
في أثرهم وهزمهم هزيمة شنيعة على رقادة ورجع إلى حصرتة وهرب له ابن
تافراجين وقص على قائدده محمد بن الحكيم وعذبه بالسياط وأخذ جميع أمواله *
وقسّيل أن الذهب الذي أخذ منه ووزنه خمسون قطاراً سوى الفضة
والجوهر والياقوت ومائة وستين مثبته من الربع وقتلهم بعد ذلك وكان
جنونس في مدنه أريد من سبعين حاسوت للعطرية وكان يصنع جنونس
كل يوم أربعة آلاف قسيو من القمح التي تبيع والى تطحن والى تعوبل
والى تعجن وزعت البلاد في أيامه وطالت أيامه إلى سنة سبع وأربعين
فدخل عليه هلال شهر رجب على مادة قنصاه الحاضرة وهو في رياسه بابي
فهر فلما قرأه قال - لا اله إلا الله دخل رجب - وكررها مراراً ثم قام
وتظهر وأخلص التوبة وأخرس بعد أنه يموت في رجب ثم ركب
وأخرق الأساقى ودخل القصبته ولم تظهر به زيادة ثم حك بكتفه
فخرجت له حبة صغيرة أخذته منها الحمى ثم توفي ثلثي يوم الشهر وكان
عين ولده أبو العباس لا تخلاتة وكان بسلاد الجريد وبقيته أولاده في الأعمال
ولم يبق بين يديه إلا ولده أبو حفص عمر فجلس بعده للخلافة *

الخبر عن خلافة أمير المؤمنين المولى أبي حفص عمر

هو ابن المولى أبي يحيى أبي بكر بن المولى أبي زكرياء بن المولى
أبي اسحاق إبراهيم بن المولى أبي زكرياء بن المولى أبي عبد الله محمد
المستنصر بن المولى أبي زكرياء بن المولى عبد الواحد بن أبي بكر بن
الشيخ أبي حفص عمر الهندي بوضع يوم موت والده ثاني رجب وام ياشت
على عهد أبيه لأخيه أبي العباس وذلك بإشارة ابن تافراجين فلما بلغ الخبر
لأبي العباس حدثت حبيب رديف له المحضوة ونجى الله إلى عهد محكم
على لسانه مع أحمد والبردين في دمشق فجمعان بعض ابن تافراجين
ورجع إلى تونس وأخذ ذخائره وفر إلى المغرب وكر السلطان عمر إلى

تونس وبعد هرب الى باجة ودخل ابو العباس البلاد واقام بها سبعة ايام وبعد
سبعة ايام رجع المولى عمرو من باجة ودخل الحاضرة عند الفجر فخرج ابو
العباس هارباً على وجهه لا يدري اين يذهب وقامت العامة على قن بها
من العرب فلم يفلت الا القليل منهم وابو حفص عمر زاد خطبة مابعة
في جامع سيدي يحيى السليمانى وكان يثقل من علامة خراب تونس
سبع خطب تكون بها * قسّمت اليوم بها ثلث عشرة خطبة والعام
عند الله * واقام المولى عمرو الى ان تحرك عليه ابو الحسن المريني فهرب
من تونس فادركه طلب المريني عند قابس فقتل هناك وكانت ايامه
تونس عشرة اشهر وثلاثة عشر يوماً وموت سنة ثمان واربعين وسبعمائة
وانتقل الامر الى بني مرين *

الخبر عن خلافة الامير ابي الحسن المريني

هو علي بن الامير ابي سعيد عثمان بن الامير ابي يوسف يعقوب بن
عبد الحق المريني ونذكر قبضة من فسهم لريادة الفائدة . بنو مرين فخذ من
زناتة والنسايون مختلفون في نسبهم ولكن يجتمع نسبهم في قيس غيلان
ونسكجوا في البربر * وكانت قبائل البربر يجاورون العرب في مساكنهم
وتفرقوا في زمن داود عليه السلام لما قتل ملكهم جالوت ففرقوا ايدي سبا
واثوا المغرب * فمنهم من سكن الجبال . ومنهم من سكن الهاد . ومنهم
من تم على حاله ولازم البراري على عادة العرب * وبنو مرين كانوا يسكنون
بلاد القبلة من راب افريقية ويستقلون من مكان الى مكان وجل اموالهم
الابل والخيول وطعيمهم اللحم والتمر ودخلوا بلاد المغرب سنة عشر وستمائة مثل
مدخلت بتونة فوجدوا البلاد خالية وملوك الموحدية اختلعت اراهم
فشبوا الغارات وقطعوا الطريق فبعث اليهم المنتصر من بني عبد المؤمن
جيشاً فيزموه واخذوا ما فيه واستفحل امرهم وهاجم الناس ولا زال امر بني
مرين ينمو الى ان ملكوا بلاد المغرب والانديلس وكان ملكهم بمدينة تلمسان
واول من تملك منهم الامير ابو محمد عبد الحق بن خالد بن يحيى بن ابي

بكر بن جمانة بن محمد الزناتي المريثي ويحيى بن خالد شهد غزوة لاراك مع يعقوب المنصور واستشهد هنالك وعبد الحق كان من أهل السلاح والخير يسرد الصوم كثير الذكر والتسبيح ولا يأكل إلا الحلال من لحوم ابله وغنمه وقد عنته مريين على تدميرها ومساعدة القدر وتوارث ائمة من بعده بنوه الاربع - ابو سعيد عثمان - وابو معروف محمد بن عبد الحق - وابو بكر بن عبد الحق - ويعقوب بن عبد الحق * ويعقوب هذا دخل لاندلس نحو عشر مرات ونكا المشركين وفعل بهم العجائب وجاهد في الله حق جهاده ولم في ذلك اخبار عجيبة اختصرناه خوف الاطالة وكانوا سلاطين المغرب وتسموا بامراء المسلمين كما كانت لخرقة وقرضوا دولة بني عبد المؤمن من المغرب وخطبوا لبني حفص في اول الامر ثم استقلوا بالملك الى ان اخذ الملك منهم الشرفاء وملكوا مدينة فاس ومراكش ولم يبق منهم احد في يومنا هذا * ولما سرجع الى خبر ابي الحسن وتملكه السلالة الافريقية والسبب فيه ان ابن تافراجين لما فر الى المغرب وعد على ابي الحسن المريثي واستحضر على ملك افريقية فتحرك من العرب واجتمعت عليه الاعراب واخذ بجاية وفسطينة وانزل صلا فيهما ومالك افريقية ومحا رسوم الموحدين ودخل تونس بجيوش لا تحصي وشوع في بناء مدينة فوق سيجوم سداها المنصورة لسكني جيشه فان المدينة لم تسعهم * وقبيل بايعه بنونس خمسون سلطانا في يوم واحد من بني عبد الواحد والاندلس وغيرها * ولما تملك البلاد منع العرب من اطيقتهم ومنعهم الاطقت فغضبوا عليه وشنوا العارات في جميع البلاد فخرج اليهم والتقى معهم قرب القيروان فانخذل صكرة وفر هو الى القيروان هاربا فاخذوا محاسنه بها فيها وحاصروا بالقيروان ومعه ابن تافراجين وذلك سنة تسع واربعين وكانت العرب تميل الى ابن تافراجين فطلبوه من السلطان لينفقوا معه على الصلح فلما خرج اليهم قلدة حجة سلطانهم المسمى ببي دهرس واسمه احمد بن عثمان بن ابي دهرس من بني عبد المؤمن كان مستترا في بلد توزر فدلههم

عليه من عرفه فنهضوه للخلافة وتوجه ابو دبرس وابن تافراجين لتونس
وحاصروا قصبته ورموا عليها بالهديد من ربح العلم سعد وكان بالقصبة
ولاد السلطان وماله ورجاله * وفي اساء ذلك داخل السلطان ابو الحسن
بعض العرب من اولاد مهمل ان يعرجوا عنه من الحصار على مل اشروطه
عليه فوصى لهم به واسروا به الى سوسة وركب منه في البحر وقدم الى
تونس * ولما سمع ابو تافراجين ركب البحر وفر الى الاسكندرية
في ربيع سنة تسع واربعين فلما فقدته اصحابه تشتت جمعهم ورحلوا عن
تونس فخرج اولياء السلطان من القصبية وملكوا تونس واقبل السلطان ابو
الحسن في ربيع الاخير من السنة المذكورة وانقضت عليه افرقيته واشتد
الغلاء حتى بيع قفيز القمح بمائة دينار * فسلت لا حول ولا قوة الا
بالله كيف عد اهل تونس هذا القدر عندهم شلاء واو شاحدوا ما عيناها
لعدوه من الخسنى لانا شاهدناه اضعاف ذلك * وكسر الروماء حتى انتهى
عدد الاموات الى شخص كل يوم وفيه مات القاضي ابن عبد السلام والفقير
العابد سيدي يحيى السليمانى ونحرك المولى ابو العباس لاحت تونس *
وفي اساء ذلك باع السلطان ابا الحسن العربي ان ابنه ايد عثمان استقلال
بملك المغرب لانه سمع بوفاته بالقيروان وقت حصاره بها وشهد له
بذلك جماعة فقام نفسه في سلطنة المغرب * ولما سمع به حيا بعث الجميع
عالمه ان يصدوا اياه عند توجهه وخرج ابو الحسن من تونس وركب
البحر وتوجه للعرب وخلق بتونس ولده الفصل سلك ان ارحمه منهما ابو
العباس المفضى فدخل بالمغرب وخسر اكثر من هذا تركته للاختصار *
وسكانت مدة السلطان ابي الحسن بافرقيته الى ان خرج عنها ولده الفصل
* اخر دي القعدة سنة خمس وسبعائة عامين وستة اشهر وخمسة عشر يوما
ورجع ملك افرقيته الى بني حفص وملكها المولى ابو العباس *

الخمس من خلافة الامير المولى ابي العباس الفصل

هو ابن المولى ابي يحيى ابي بكر بن المولى ابي ركرياء بن ابوعبيد

ابن أبي زكرياء يحيى بن محمد المستنصر بن أبي زكرياء يحيى بن عبد
الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي بوبع أول ذي
الحجة سنة خمسين وسبع مائة * ولما ملك تونس ركن إلى الراحة
واللهو وأهوت العرب على دولته وكان صاحبهم أحمد بن عثوا قد شركته
العرب في الديوان ورجية الطعام والمأشقة وأخذوا البرطيل على تولية اليهود
وزوج أبو العباس الفضل أخيه لأبي الليل بن حرة رجاء أن يطول ملكه
ولم يسبقه أحد لذلك وبأبي الله إلا ما يريد * ووصح الحاجب ابن
تافراجين من المشرق هو والشيخ عمر بن حرة فاتسقى ابن حرة مع أخوته
على ادخال ابن تافراجين لتونس * وبعثوا إلى أبي العباس الفضل فقتل
لا سبيل إلى ادخاله فبعثوا إليه صل إليه فحدثه عن فخره مع جماعة
لده فلقبوا عليه وعلى أصحابه الذين معه وجردوا وأخذت دوابهم ودخل
ابن تافراجين لتونس وأخرج المولى أبا إسحاق إبراهيم وأجلسه مجلس
الخلافة وقتل المولى أبو العباس وأخر جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين
وسبع مائة فكانت مدته خمسة أشهر وأربعة عشر يوما *

الخمسبر عن خلافة الأمير أبي إسحاق إبراهيم المستنصر

هو ابن المولى أبي يحيى أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي يحيى
زكرياء بن محمد المستنصر بن أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن
أبي بكر بن أبي حفص عمر جلس مجلس الخلافة بعد أخيه * واستوزر
ابن تافراجين فقدم بتدبير دولته وعلت همة ابن تافراجين إلى أن سلم
عليه بسلام الملوك واستخلص قواعد البلد من أيدي العرب وهي بلاد
قرطاجنة والقيروان وسوسة وباجة وتبرسقي والأربس وجعلها بأيدي خدامه
واستبد بالجبالي الداخلية والخارجية وشرع في بناء السور الذي يحيط
بأرباع تونس وحبس عليه نصف خراج الأرض ونصف كراء المعاصر التي
بداخله لأصلاح ما يتخلل منه * وفي سنة خمس وخمسين أخذ السلطان
أبو عنان المريني بجاية من أيدي الموحدين * وفي سنة ست وخمسين

أخذت النصارى طرابلس وجعلوا عا فيها وسكنوها خمسة أشهر * وفي سنة ثمان وخمسين أخذ السلطان أبو عنان قسطينة وفي آخر شعبان وصل أسطول أبي عنان لتونس فطاردهم ابن تافراجين وهزمهم ثم وصل الخبر بأن محلة أبي عنان واصله ففر ابن تافراجين إلى المهديّة فدخل أهل الأسطول وملكوا تونس وكبت البيعة لأبي عنان وهو بقسطينة وخطب له بافريقية ما عدا المهديّة وسوسة وتورر وبقي الأمر على هذا شهرين * ولما أراد أبو عنان التوجه لتونس لجأ إلى عليه جيشه فرجع إلى المغرب فقامت نفرة في عسكرة الذي بتونس فاجروا إلى أجنانهم وتركوا ما كان معهم ورجع ابن تافراجين من المهديّة وجندت البيعة لأبي اسحاق فدخل المحصرة في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبع مائة * وفي سنة ستين أخذت الصرّى الحمامات * وفي شوال سنة إحدى وستين توجه السلطان أبو اسحاق إبراهيم وفك بحاية من أيدي المرينيين * وفي سنة ست وستين قري صداف المولى أبي اسحاق على ابنة ابن تافراجين بحط ابن مرزوق فمراه علامة الوجود الشيخ ابن عرفة * وعدد الصداق اثنا عشر ألف دينار وتسلمون خادما وثوفي ابن تافراجين عتب ذلك * وفي رجب سنة سبع وستين جدد الكتابة التي بالارورد في قبة جامع الزيتونة * وفي سنة سبعين وسبع مائة توفي المولى أبو اسحاق في الثاني عشر لرجب فجأة فكانت مدته ثمانية عشر عاما واحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما ونصب ولده من بعده وهو صبي لم يسهر الحلم *

الخبر عن خلافة الأمير أبي الرفاء خالد بن المستنصر

هو ابن المولى أبي اسحاق إبراهيم بن أبي يحيى أبي بكر بن أبي زكرياء يحيى ابن المولى إبراهيم بن أبي زكرياء يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي بكر ابن الشيخ أبي حفص عمر جلس بعد موت أبيه وحسب له أحد الميسلقين * فلم يتحرك أحد للأمير خالد شيئا فانتهب أموال الناس وأهان لأشراف فظلم على الناس ذلك واختل

الامير فالحق منصور بن حمزة بالمولى ابي العباس وحضر على ملك افريقية
وسكان بقسطينة فنقض ابو العباس الى تونس وتلقته وجوه افريقية
بالطاعة وانتهى الى الحاضرة وحاصره ايما ففر الامير خالد واصحابه من
باب الجزيرة واطلق الجند في اتباعهم فقبض على الامير خالد واعتقل ثم
وجه به وبخيه في البحر فعصففت بهما الريح فغرق وكانت مدته بتونس
سنة وتسعة اشهر *

الخبر عن خلافة الامير ابي العباس احمد بن المستنصر

هو ابن الامير ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكريا
يحيى بن المولى ابراهيم بن المولى يحيى بن المستنصر بن يحيى بن عبد
الواحد بن ابي بكر بن ابي حفص عمر بويق بتونس ذني عشر ربيع
الآخير سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة * وكان وجهه الله شجاعا دينا عادلا
صفوحا جال في بلاد المغرب ووصل مع السلطان ابي سالم المريني الياسان
وزار الشيخ ابا مدين وصعد الله عنده ان لا يكافي من عمل معه سوءا الا
بخير * ولم ملك افريقية رفع انواع الفساد وكفح العرب على التعلب وانتزع
ما بايدهم من الامصار وانمي اليه ان محمد ابن تافراحي داخل العرب في
الفساد فقبض عليه واحتلمه بقسطينة الى ان مات بها ثم لم يزال يحاول
امر العرب الى ان قطع دابرهم واقتنع باد ففصة واحد شيوحي بني العبد
واستولى على اموالهم وفتح توزر واحتوى على ذخائر شيخها ابن يملول *
ومن حسنات المولى ابي العباس احمد اقامته القراءة في الاسبوع بالمقصورة
قربي جامع الزيتونة واقف على ذلك وقفا موبدا والسقاية التي يطحها
الشيخ سيدي مرقوم نفع الله به داخل باب قرطاجنة واقف عليها
اوقف جليلا وانشاره المهرج الذي هو شرقي قرطاجنة للاخضران ورفع التعريف
عن قواها عند خروج المسلمين لذلك المكان وبسوة تلوة الكسوة بزيعة ابن
عيد السلام قبالة باب البهور جربي الجامع الاكظم ليصوم به رمضان كل
سنة واخبره اكثر من هذا ذكرها ابن السماع والطال في مدحه وحق له

ذلك * فسلط هذا الملك هو ممدوح العلامة بدر الدين ابن الدمايني
 رحم الله تعالى الجميع مدحه بقصيدة بديعة اتي فيها بجميع انواع البديع
 ولا بدع ان طلع بدر الم من ذلك الجانب الرفيع وبعث بها من ثغر
 الاسكندرية الى المحصرة العلية ولكن ما استوفى له حق من حقوق
 السالكين لهذه الطويقة واحصاه بحائرة اذا ذكرت بين اهلهما قتلوا هذه
 مجار لا حقيقة * وذكر الركشي مولاهم في شرحه لهذه القصيدة ونشر
 در معانيه وان كانت هي الدرة الفريدة ان الممدوح ارسل لما دحا صدد
 ابياته دنائير فاحتقرها ابن الدمايني فقتل له الرسول ان مولانا جعل هذا
 القدر جائزة لك في كل سنة * وهذا من طرف الرسول انظر ايها المتامل
 الى كساد سوق كادب وتفاده في الصدر الاول في ايام بني العباس حيث
 انابوا عن المدح بالى دهم على التيت الواحد ومروان بن ابي حفصة
 معر اخذ هذا القدر في ايام الرشيد وهلم جرا الامر من بعده ولكن بعض
 الشعراء من بعض ذلك نحن اليوم في زمن لا مدح اذله بنظم المدر
 لم يحرك احد بالخرف * وهذه القصيدة مدح فيها لما افتتح مدينة فائس
 وذلك انها خرجت في الرمن السابق من ملوك صنهاجة واستقل بها
 بنوحامع من الهلاليين الى ان اخذها الموحدون من بني عبد الوص ثم
 اير بها قراش الارمني الملشب بشرف الدولة مملوك الملك المظفر صاحب
 مصر وقتل بينه وبين الميسور في صاحب الهدية عهدنة واستخلصتها
 مملوك بني حفص في اول الدولة ثم عصت على امير المؤمنين ابي العباس
 احمد فاستنجد بعد حصار وجهود واصر الدمايني الى فتحها بثولم في
 قصيدته :

ومن نورة ابداء السناء لثابس فلاح لها نور على الحق يسفر
 وفي ايامه افضل عبد الله التوحس وكان قسيسا من اقسمة النصارى فاسلم
 على يديه وهو صاحب كتاب تحفة الاربيب في الرد على اهل الصليب
 ذكره في هذا الكتاب واني عليه خيرا * وفي ايامه جاءت الجنوبيون

والفرانسييس في ثمانين قطعة ونازلوا الهدية واقاموا عليها نحو شهرين . وبعث اليها ابو العباس جيشا فكانت بينهما موعات وارتحلوا منها خائبين وتوفي رحمه الله ثلاث شعبان سنة ست وتسعين وسبعمائة وسنة سبع وستون سنة ومئة ولاينم بتونس اربع وحشرون سنة واربعة اشهر رحمة الله عليه * وهو الذي شيد وسوم بني حفص بعد اندلسها واقطع منار بني حفص في الخلافة ودعم اساس حكمته في ايام ولده السعيد امي قارس ودرس عمر الاغراب وعمر المدارس *

الخسر عن خلافة الامير ابي فارس عبد العزيز

هو ابن المولى ابي العباس احمد بن ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى ابي بكر بن ابي زكرياء يحيى بن ابراهيم بن ابي زكرياء بن المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص صدر البشتاني رحمه الله بربيع رابع شعبان بعند وفاة والده واقام بالامر اثم قيلم ورأسب للاحوال واعطى لاسوال واصالح البلاد وقمع اهل الفساد وكان شجاعا حازما نقييا معتقدا في الصالحين موقرا للعلماء كثير الصدقات قطب ذكيا فصيحاً محباً للاحير واعلم * فمن فتايله عموم صلانه لاهل الحرمين وعلماء المشرق بوجه لهم بذلك محبة الركب الحجازي على الدوام ووطى لاهل الاندلس في كل عام من الطعام وغيره اعادة لهم على جهاد عدو الدين * وممن حسنة خزائنه الكسب للمنعمات على امنيات الدواوين وجعل لها مقصورة بمجيبته الهلال من الجامع الاعظم وارقفها على طلبة العلم يستنعمون بالنظر والكتب بشرط ان لا يخرج منها شيء من محله وجعل لها قومة يقوون بها في نفقتها ومنازلها للطلبة وردھا لمكانهم ووقت لها وقتاً محدداً في كل يوم وكن ملازماً لقراءة العلم بين يديهم سفراً وحضراً * وقسبال في تحفة الاربيب وابطل امك كانت بتونس منها سوق الرهادنة وكن سجباء ثلثة آلاف دينار * وجبها رحبة الطعام خمسة آلاف دينار * ورحبة المشبعة عشرة آلاف * وفندق الزيتون خمسة آلاف * وفندق الخضرة

ثلاثة آلاف * والقطارين مائة وخمسين دينارا * وفندق الأقدام خمسين
دينارا * وفندق الفحم ألف دينار * وفندق الملح ألف وخمسمائة * ومجبة
لأعمدة ألف دينار * ودار الشغل ثلثة آلاف دينار * وسوق القدس
مائتي دينار * والصفارين مائتي دينار * وأبطل القيان ونفى الخنبيين من
البلد * وأقام العدل في جميع رعاياه بالكتاب والسنة وأنصف المظلوم من
الظالم * وجاءته الوفود من المشرق والمغرب * وغزا صقلية وغنم فيها غنما
كبيرا * وغزا طرابلس وقابس والحمّة وقفصة وتوزر ونقطة وبسكرة وقسطينة
وبجاية والصحرى * وسكنت العرب غالبته على من قبله فاهانهم والزمهم
الركاة والعشر * وقال صاحب القرباس في أخبار ملوك فاس انه ارسل هدية
الى ابي يعقوب المريني وهو بفاس والناصر من قلاوون بعث لابي فارس
بهدية حافلة في تلك السنة * هذا لعظيم ذكره في ذلك الوقت * وفي ايامه
عظم شأن المولد الشريف * فليست رحم الله هذا الروح الركبة لمل هذا
يقول امير المؤمنين * لانس استعيت على دولة البغدة من المفسدين * ورايت
ابن حجة الحموي ذكر في كتاب قهوة الانشاء له رسالة طرفة من انشاءه
جوابا عن مكاتبة للسلطان المويدي واثني عليه في تلك الرسالة بما يستحقه *
وقال ابن السمعان واحتج مدينة تلمسان ووصل الى قريب مدينة فاس *
وقال الشيخ الرصع رايت في حدود السنين والنمانمائة ببلد تلمسان * وكان
قاضي سكرة ابو جلد الله محمد السماع ومفتي سكرة ابو جلد الله محمد المحسن *
وقرأ البيعة الفدعي المذكور بجمع فاس * وحضر لقراءتها في ذلك الوقت
منهم ابن مرزوق وابو القاسم العقباني وابو الامام وابو الجار وجماعة من
العلماء * ونسقت من خط السيد بركات الشريف رحمة الله عليه
فقال غرا ابو فارس مدينة فاس لما شكا اهلها اليه بظلم احمد المريني فغراه
فخرجت اخذت المريني الى ابي فارس فقالت له انك ميت وانهم
ميتون فعفا عنه واعاده الى بلده وامره بالعدل * قال ابن السماع وفي
سنة خمس وبلين ومائة ثلث الهزارى بحريزة جربة وكان السلطان

يولد الحرير فلاحه إلى أن رحلوا عنها خائبين * ومن حسناته قطعه
الثبالة التي كانت خارج باب البحر وبني مكانها زاوية للصلاة وللعلم * قال
الترجمان وكان فندقا للمعصي والخمر بجلاء عشرة آلاف دينار * وكان
ولده أبو عبد الله محمد وفي عهده عوصوفا بالخير والعنف والديانة وهو الذي
أنشأ الزاوية التي يستحوم وجعل فيها جامعة لخطبة ورباطا لطلبة العلم
وسمى بالمقيم والواردين * وتوفي سنة ثلث وثلاثين ودفن بشربة بقرب
من دار الولي الشيخ سيدي محرز نفع الله به وهو أبو الخلفاء من بعد أبيه *
وتوفي المرحوم أبو فارس عام سبع وثلاثين وثمانمائة فجاء بعد ما ظهر
وليس ثيابه * ودفن حيث دفن ذلك فكانت مدة خلافته احدا واربعين
عاما واربعه اشهر وسبعة ايام * قلت ما اطلت الكلام في هذا المحل إلا
لكون هذا الامام هو واسطة بني أبي حفص * واذا ذكرت خلافة الحصين
بدونه يظهر في خلافتهم النقص * والله تعالى يكفيه ويجازيه
باعماله الفخرة * وكما رفع ذكره وقدره في الدنيا يرفعه في درجات عليين
سيف الاخرة * انه سميع جيب *

الخبر عن خلافة كاسير أبي عبد الله المتصور

هو محمد ابن المولى أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز
وكان نسبهم معروف ببيع يوم عيد الاصحى صبيحة الليلة التي توفي جده
فيها ودخل الحاضرة يوم عاشوراء سنة ثمن وثلاثين وثمانمائة وكان شحاتا
كريما عفيقا * ولمسا ولي الخرج مالا تصدق به على اهل المدارس
وذوي الحاجة والارامل والايتام ووجه بمال في جزيرة الاندلس تصدق
به على المجاهدين * وامر ببناء زاوية الشيخ سيدي أحمد بن عروس وبني
سقاية الماء بداخل باب أبي سعدون واقف عليها ما يكفيها * وشرع في
بناء مدرسة ضخمة بالقرب من سوق الفلفة بتونس المحروسة لقراءة
العلم * وسافر بمحالة كبيرة فاجفل الاعراب بين يديه فوصل لبلد قصبة
فابتداه مرضه الذي مات به فرجع لتونس ولازمه المرض إلى ان توفي

ليلة الجمعة الثانية والعشرين من صفر سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة فكانت مدته عاماً واحداً وشهرين واحداً صفر يوماً ودفن بتربة ابيه رحمه الله الجميع *

الخبر عن خلافة الاميرابي عمرو عثمان

هو ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى ابي فارس عبد العزيز بويج صبيحة اليوم الذي توفي اخوه فيه ولم يتخلف عنه احد * وكان رحمه الله من اجل ملوك بني ابي حنص وهو ختامهم طالث مدته وفعل خيرات يشب ثوابها في صحيفته * فمسن مأثرة رحمه الله عليه بناء مدرسته في غاية الحسن بزقة الشيخ الولي الصالح العابد سيدي محرز بن خلف وجعل فيها مسجداً للصلاة ودرسا لقراءة العلم وماوى لسكنى الطلبة وجعل فيها سباطا مستمرا يتصدق به كل يوم على المحتاجين وجعل فيها ماء للسيل واوقف عليها مر يكفيه ويكفي من بها والقومة * فلبث اما المدرسته فبقيتها موجودة واما خيرانها فلم يبق منها شيء وبني زاوية بعين الزميت وجعل فيها جامعاً للصلاة ودرسا لقراءة العلم ورباطا للفاطنين وسباطا قويا على ممر الايام للقيمين بهـ والوافدين واوقف عليها وقفاً كافياً ولم يبق منه شيء ايضاً * ومن حسنته احراجه لخزانة الكتب بالمقصورة الشرقية من الجامع الاعظم منتملة على امهات الدواوين وجعل لها قومة واوقف عليها وقفاً كافياً موبداً * فلبث والكتب ايضاً لم يبق منها شيء وبعض الوقت باق لكن لغير مستحقه واما الكتب فقد نالشت لما ملك عدو الدين البلاد وسباني خربها ان شاء الله تعالى * وبني ثلثة مكاتب لقراءة القرآن واحد قبلي الجامع الاعظم واثان بربض باب اسرة والميضأة للوضوء بدرب ابن عبد السلام في غاية الاتقان جوفي الجامع الاعظم بتونس واوقف عليها وقفاً كافياً * فلبث وهي الى يومنا هذا فيها بقية وان طال الامر نالشت ايضاً * ومنها وتكملت للدرسة التي ابتدا بنائها شقيقه رحمه الله تعالى التي بسرق النافذة على اكمل بدء واتقنه واوقف عليها وقفاً كافياً فعمرت عمارة عوية * فلبث اما المدرسته فموجودة واما الوقت

فتقد اندرس وادركنا قبل اليوم به، طلبة مقيمين ولهم ما يسد رمقهم من العيش ثم
 نلذشى الامر وتذاوكنها في حدود التسعين والالف من زعم انه يستغنم ثوابها واراد
 ان يحيي رسومها بعد خرابها فاصالح مفسد منها وارقف طليها وقفا لمدرس بها
 وعدة طلبته فاحصى عليها من يتسبي الى الفقر فعطى بماريها وتحصل من الزور
 ما يقسم منه الظهر ومانارها موجودة وحاسنها طاهرة وصاحب التدريس
 اليوم بها شيخنا ابو عبد الله عرفة فسح الله في مدته * وكان المولى ابو عمرو
 عثمان يكرم اهل البيت النبوي ويحس اليهم ويكرم الضيف ويلزم السفر في
 كل عام لقمع اهل الفساد والتفان من الاعراب * وهنا انتهى ابن الشماع وزاد
 الزركشي فبذة وثلاث بها مختصرة كم اختصرنا ابن الشماع * وذلك لوجوه
 منها للاختصار ومنها خيفة ان تذهب ديباجة كبره * ومنها اخذنا منه
 الزبدة وترك الزباد والله المستعان * قل الزركشي وخرج بمحلة عظيمة في اثر
 العرب ومسلك اكابرهم مثل قصر الدواوي ومجد بن سعيد واسماعيل بن صرار
 ومهلل اربعة من الاشياخ بعد ان احثال عليهم حتى دخلوا المحلة فاعطى
 الف دينار لكل شيخ وباتوا عند القواد فاصبحوا مصفدين وكفاه الله شرهم *
 قلت هؤلاء العرب اذاهم بالطبع مثل العقرب ولو قطع ذنبها لا يبطل لدغها
 والى زماننا نحن منهم على وجل تسال الله ان يحسم هذه المادة بمنه * و اشار
 الشيخ الرصاع في فهرسته الى هذه الواقعة قال تجمعت اولاد ابي الليل
 من شيوخ افريقية وحاصروا المحصرة واهلنوا بالتفان فخرج اليهم سلطان
 الوقت ابو عمرو عثمان فنصرة الله تعالى عليهم * وكان لاحام العلامة سيدي
 ابو القاسم البرزلي يدعو عليهم بدعوات مبتكرة غير مستعملة فاستجاب الله
 دعاه فاحذوا واحذت اموالهم وديارهم وقصر الله عليهم الملك وذلك ببركتهم
 دعاء الشيخ * اه * وقسال الزركشي وفي سنة اربع وخسين وقيل
 اثنين وخسين كان عرس ولي العهد الامير الاجل ابي عبد الله محمد المسعود
 وكان عرسا حقيلا ما روي بتونس صام * قلت هذا المولى الاجل ثم يات
 في نبي ابي حفص مثله من عفاف وديانة وحر وامانة وهو ابو الخلفاء الاخيرين

لم يل أحد إلّا من ولده * وممست في حياة والده وهو ممدوح الشيخ ابن
الخلف وكفاه تلك الحال التي طرزا بمدحه في حياته وهي باقية تنشر بعد
موته وله مآثر عديدة منها الختم التي كتبها بيك في عدة أسفر وأوقف
عليها ربعا للاستغلال يقيم القاري بها ويقرأ فيها كل يوم بعد صلاة الظهر نصف
حزب أو ربعه بحسب الأيام وجعلها على الربايت بأزاء الربعة التي بها
البخاري من حبس والك بالجامع الأعظم بتونس * وله أخبار شهيرة بالفعل
البر اعربنا عنها خوف الأطلالة * وفي سنة ثلث وسبعين صظم الربا
بتونس قيل انه بلغ عدد الموتى به إلى أربعة عشر ألفا في كل يوم وحصر
في الزمام أربع مائة ألف عدا تن لم يدخل في الزمام نحو المائة ألف *
وفي سنة خمس وسبعين كملت السانية المسماة بالمنصورة قرب برج الصخراء
جوفي جبل الفتح وفيها سائح مسجد الصخراء وقطعة من الجبل حتى وصلت
جارتها للبحر * وفي جمادى سنة خمس وتسعين توفي ولي العهد المولى
أبو صد الله محمد المسعود ودفن بمقبرة اجداده جوار ولي الله الشيخ سيدي
محرز وكان هذا المرحوم النجب بني أبي حفص غفر الله له * ومن حسنات
أبي عمرو صمان الختمة الكيرة المرسلت له هديته من البلاد الأندلسية
لم ير الراءون أحسن منها خطأ وفزويك بالذهب وغير ذلك مما يوله العقل
وأوقف على قرئين يقرءون بها قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر وقبل
صلاة العصر ألف دينار سنوية وجعل لها غلafa مرصعا وهي الموصوفة قبالة
النوايت * وبالجملة هو ختام الدولة الحفصية ونظام المجلس الأخيرة في
البلاد الأمازيقية وطلت أيامه في الملك عن سن كان قبله إلى أن وافاه
جهنمه وبلغ أجله منتهاه وتوفي رحمة الله عليه آخر شهر رمضان سنة ثلث
وتسعين وثمان مائة وقام بالامر حفيده *

الخبر عن خلافة الأمير أبي زكرياء يحيى

هو ابن المولى عبد الله محمد المسعود ابن المولى أبي عمرو عثمان بربع
يوم وفاة جده وخرج إلى المحلة على حسب العدة فهربت جماعة من الجند

واخبروا ان الحلة اخذتها الاعراب وان السلطان مات ومن غد جي براسه
فوضع على رمح وطيف به واستبد بالملك ابن عمه ابو محمد عبد المومن
ابن الامير ابي اسحاق ابراهيم ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان وبويع
في رجب من السنة المذكورة * وفي ذي الحجة منها جي بجنته الامير
يحيى ودفنت عند سيدي احمد السقا وكل ذلك مفتعل * ثم بعد ذلك افتضح
الامر وظهر ان السلطان بالحياة وبعد خسر يطول دخل السلطان ابو زكرياء
يحيى وفر عبد المومن واستقل ابو زكرياء بمملكه وبعد ايام جي براس عبد
المومن وطيف به كما طيف براس الخليفة يحيى وكفى الله المومنين القتال
ورجع الى حنترته بتونس وبويع بيعته ثنية ووقع الحلم منه على اناس
وجاءته بيعته بلد العناب وقابس وصفاقس ودانت له البلاد ونم في ملكه
الى سنة تسع وتسعين ركن فيه وبأه عظيم مات به خلق كثيرون
ومات به السلطان ابو زكرياء في التاسع من شعبان فكانت مدة ملكه
ست سنين اثنا عشر ايام *

الخبر عن خلافة الامير المولى ابي عبد الله محمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن الامير ابي عبد الله محمد المسعود
ابن امير المومنين ابي عمرو عثمان بويع يوم وفاة ابن عمه ابي زكرياء
يحيى وجلس بالقبة وبيعه الخاضع والعام وكان فطنا ذكيا فصحا
محب للخير واهله معتقدا في الصالحين وهو الذي بنى المقصورة بطرف صحن
الجامع الاعظم بتونس من الجهة الشرقية مما يلي الجوفي شرفة على سوق
العطارين وسوق الطيبين وجعل فيه كتبا مفيدة وجعل لها قومة يقومون
به ووقت الاستدع بها وقتا محددا عند اذان الظهر وبعد صلاة العصر
واوقت عليها وقتا كافيا وجعل سديته بسفل منها مما يلي الشرقي حيث
كانت سديته المولى المستنصر بالله وجعل النظر لامام الجامع الاعظم وكان
لامام اذ ذاك العالم العلامة ابو البركات ابن عصفور سمح الله الجميع
وانبهم على حسن الصنيع * وفي ايامه توفي الشيخ ابو القاسم الجليزي

أول صفر سنة اثنين وتسعمائة ودفن بزاوية داخل باب خالد من تونس
وحضر السلطان جنازته * وفي سنة أربع وتسعمائة في جمادى توفي الولي
سبدي منصور بن جردان وخرجت روحه ورأسه في حجر امام الجامع ابن
صفور بالمقصورة الشرقية من الجامع وكان عمر الشيخ ابن جردان
خمسة وثمانين عاماً وحمله الامام الى موضع سكنة برنقة ابن عبد السلام
فصله وكفنه وخرجت جنازته من هناك ودفن بزاوية بحوانيت القار
نفعنا الله ببركاته * وفي ايام السلطان محمد كانت وقائع بينه وبين
العرب وهزيمة على القيروان ورجع تونس في ثمنائة من الخيل * وفي
ايامه خرجت بلاد كثيرة عن حكمه وهو انذى ملك الجزائر للتأكد عروج
التركي وكان بها برج للنصارى ضيق عليها فملكها عروج واخذ البرج *
وبعد السنة الرابعة التي كانت فيها الواقعة على اهل تونس كما سيأتي وتمكن
الانراطور من تونس ارسل اليها عبارة لاختها وكان بها حسن عاعة نائب
من خير الدين باسا وبها شيخ شريف واراد حسن عاعة ان يهوب فمعه
الشريف واتى امر الله فكسرت العبارة بالريح فصارت لهم ثيمة وهو
سبب قوة الجزائر كذا نكت من خط السيد الشريف بركات رحمه الله
ومن خطه يتما ان السلطان محمدا بعث محمدا الغوري رسولا الى سلطان مصر
وهو الملك الغوري وذلك في اول دولة السلطان محمد وارسل له الغوري هدية
وفيها الزرافة قال وكان الغربي شاخ بباب السويقة فحافه محمد فقتله
قدرا * وقيل احدث طرابلس من يد محمد سنة اربع عشرة وتسعمائة
قام بها ابن قراب وملك للنصارى وبعث لهم جيشاً مقدمه للتأكد محمد
ابو حداد وكان من اكبر ثواده فيارزة قطان النصارى فاحذه ابو حداد
بالحملة وساقه اسيرا وابو حداد هذا كان قائداً توزو * والسياسة سلطان محمد
هذا كان ختام بني ابي حفص ومن بعده اسم لا رسم وتوفي رحمه الله يوم
الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاخير سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة
وتولى بعده ولده الحسن *

الخبر من خلافة الأمير أبي محمد الحسن

هو ابن محمد بن الحسن بن المسعود ابن الولي أبي عمرو عثمان بوبع يوم وفاة والده يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ائنتين وثلثين وتسعمائة * ولما تولى رفع المكوسات كلها واجرى على الناس العادة العثمانية وصار سيرة حسنة في اول الامر * وهنا انتهى النقل الذي قيده الزركشي ولم اطلع على ما سواه الا ما نقلته من اهل الحاضرة ولم هذا نافي به جلا لا تفصيلا ولم اعيد نفسي لتاريخ الوقائع لقلة الضبط ولم اجد من لم اهتم بهذا الامر فقول وبالله المستعان - سمعت من يذكر من اهل تونس ان السلطان الحسن ساءت سيرته في الناس واضطربت عليه البلاد وخرجت عن طاعة مدينته سوسة فقام فيها صهرة العليعي * وقدم عليه بالقيروان الشيخ عرفة وكان من مرابطي القيروان من ذرية الشيخ سيدي نعمون وهو جد الشابييين قم على السلطان الحسن ربيع لرجل من لشونة اسمه يحيى اوقفه في السلطنة وادعى انه حفصي جاء من المغرب وتم له الامر وهو في الحقيقة اسم لا رسم والشيخ عرفة ينفذ الامور * وقر بعد ذلك يحيى من القيروان ودخل تونس في ايام السلطان اجد وهو متكر نظره في المركاض فقطع راسه وطيف به * ولما مات الشيخ عرفة صاحب القيروان قام بالامر بعده ابن اخيه واسمه محمد بن ابي الطيب ولم يزل يحارب السلطان اجد الى ان اخذ القيروان من يده درغوث باشا برسالة اهل القيروان الى درغوث وهو بمدينة طرابلس * فسلموا له البلاد لما جاءهم وانصرفوا عن ابن ابي الطيب وذلك ففتح سيرته في الناس وكان يحارب السلطان اجد مدة حياته وبينهما عدة وقائع * ولم اخذ درغوث في مدة السلطان اجد الحفصي اخذ ابن ابي الطيب وعلق وفرت اشباعهم من القيروان وسكنوا البادية وهم الذين يقال لهم الشابييون * لان اصحابهم من الشبابة والاصبية وهي بدنة قبيلة المهدية هند ممكن يقال له قبودية * والعسرب الذين يقال لهم درود هم

تلاميذ للشابسية وهم طوائف كثيرة لا يستحقون له تعريف في زماننا *
والشيخ عبد الصمد الذي أدركناه معن خرج من القيروان عند انقضاءهم
وهو اذ ذاك دون الاربعين يوما ولم اطلع على اسم ابهم والغالب على ظني
انه ابن محمد بن ابي الطيب واستحكم في دريد فيما بعد وشاخ عليهم
ولم اخبر ليس هذا موضعها وتام بعده ولده علي وكنيته ابو رغبة ثم ابهم
ابو زيان * وفي ايام ابي زيان خرجت أكثر رعاياه عن طاعته ودخلوا
في طاعة الترك ومنع خروجهم من القيروان دخلتها لا تترك واقاموا بها *
وكان دخولهم على يد رجل من خدام الشابييين يقال له الغالي وهو
الذي تسبب في مجي الترك لاجل واقعة يطول شرحها * اه * ولنرجع
على خير السلطان الحسن * وفي ايامه كانت قسطنطينة في ايدي الترك
وانما كان ولده اجد نائبها بيلد العيب * وفي ايامه تغلبت الاعراب على
جل البلاد * وكانت الشوكة في اولاد سعيد لانهم استغلوا بالبلاد بعد
اولاد مدافع والشرح لما انقضوا فعدت اولاد سعيد في البلاد وهادفهم السلطان
الحسن بسنين الف دبشار على الوطن * وفي ايامه جاءت عمارة من بر
الترك لاجل تونس ارسلها ابراهيم باشا وكان وزيرا للسلطان سليمان بن
السلطان سليم ففتح مصر * وكان ابراهيم باشا حبيب الدينار باسمه وهو اول
وزير نولي الوزارة من اولاد السراية واهلكه كالدلال والاعجاب بنفسه
ومات سنة احدى واربعين وتسعمائة وكن مخادعا لسلطانه فارسل
خير الدين الى تونس من غير اذن سلطانه فنارل تونس واخذها وفر عنهم
الحسن ودخل خير الدين على تونس واستغل بتقصته ولم اقف على صحة
خبر كم كانت مدته الا انه كان قبل الاربعين والتسعمائة والصحيح عندي
والله اعلم انها كانت سنة خمس وثلاثين او ست وثلاثين * وقام اهل باب
السويقة على خير الدين وكانت بينهم مقتلة عظيمة مات فيها خلق كثير
من الدقيقين * وكانت من باب القصبة الى باب البناث على حومة العلوج
وقد التفت في الناس وانجز القتال * وبسعت خير الدين بلامن

وأنعكف المريدون . وخير الدين هذا هو الذي نفى العلم معوس خوفاً منه
لما ملك تونس وغوش هذا كان في دولته أحسن وجهها فخرج إلى المشرق
وحج ودخل إلى الديار الرومية والتقى مع العلامة الشيخ المقي بللك البلاد
علامة وقته أبي السعود أفندي رحمه الله * وظهرت فسايل العلم مغوش
هنالك وطارح علماء القسطنطينية واعترفوا له بالفصل وتوفى في ذلك العصر
إلى أن بالملك السلطان سليمان خان وكل ذلك من بركة العلم وبركة
البشينة سيدي منصور بن جردان نفع الله به * ولما تمكن خير الدين
بتونس جاءت عمارة من بلاد النصارى استنجد بها الحسن من قبل الانبراطور
فيها مائة ألف مقاتل * فسللت الانبراطور في ذلك الزمان هو
صاحب اسبانية دمره الله وانما نسي بهذا الاسم لا نحكم على أكثر بلاد
الاندلس فشنج بانفسه وتسمى بالانبراطور ولم يكن هذا الاسم لاحد من
اجداد الانبراطور من اسماء ملوك الالبان لان ملكهم قديم والانبراطور
مندهم كالخليفة عند المسلمين وانما نهت على هذا لتلايطن انه الانبراطور
المعهود * ولما نولت النصارى قبايلهم الاثرات وتن انحرار اليهم من
المسلمين وعددهم ثمانية عشر الفا والتقى الجمعان بحربة الكلخ شرقي تونس
وخير الدين معهم وانتشب القتال بينهم وكانت مقتلة عظيمة * وظهرت
شجاعة خير الدين في ذلك النهار وكادت ان تكون له على النصارى إيذاً
والخبر اناه ان القصبة احدث وان الاعلاج الذين بها فتحوا الباب ففر خير
الدين من وقته وتن معه إلى المغرب * واستوطنه العرب عند تبرسق
فكانت بينهم حروب شديدة ونخلص منهم إلى أن وصل بلد العناب وركب
البحر في عشرين غراباً وسياني بقيته خيرة أن شاء الله تعالى * ولما
دخل الحسن إلى قصبته واطمانت الدس وقعد كل صانع في صناعته واهل
الربع فتحوا ربعمهم واطمانوا في اماكنهم دهمهم عدو الدين فهجمت النصارى
عليهم على حين ففلة في قاتلة والاسواق مفتوحة فاحذوا ما فيها من الامنة
وقتلوا اهلها وسبوا خلقاً كثيراً وفر الناس بعيالهم ممن قدر على الهرب

وراحوا إلى ناحية رغان * فبعث عظيم النصاري إلى العرب وجعل لهم
 جعلاً على كل مسلم أمراً به إليه فخرجت العربان في طلبهم وأخرجوهم من كل
 شعب وواد وأنوا بهم إلى النصاري فكان طلب العرب لهم أصعب من طلب
 النصاري وأخذوا من شرطوا لهم والبعض فدى نفسه من العرب وبعث
 فدية الرجل ألف دينار وأكثر وأقل وتبين لم يقد نفسه من كافر العرب
 تماكم الكافر الآخر وكان هذا الخطب جسيماً * وهذه الواقعة هي
 المعبر عنها بخطر لا رباعاً وكان السلطان المحسن إباح البلد للنصاري
 ثلثة أيام * وإلى هذه الواقعة أشار العالم ابن سلامة في قصيدته التي
 يتشوق فيها إلى تونس ويندب أهلها * ويذكر أياها الواقعة في حل
 الدعة ككيفية تغيرت وتبدلت أحوالها * ولله سر في تقلبات الزمن *
 كل يوم هو في شأن * وقيل في هذه الواقعة أسر الثلث ومات الثلث وهرب
 الثلث * وسبعت من شيوخ البلد من يقول عدد كل بيت ستون
 ألفاً والله أعلم بحقيقة ذلك وكانت هذه الواقعة سنة إحدى وأربعين
 وتسعمائة * وأما خير الدين فإنه فر من بلد العناب في عشرين غراباً
 ورجع إلى بر الترك فعثر على سفينة وفيها رسول من صند إبراهيم باشا فأخذه
 خير الدين ورجع به إلى السلطان سليمان وكان مع الرسول دلائل الخديعة
 التي لابراهيم باشا فعرض عن خير الدين وقتل ابراهيم باشا بيده * ولما تقرق
 لا قسراطور عن تونس بعد نهيب طابته نفسه بسخذ الجزائر فبعث إليها صارة
 فكان من أمورها ما تقدم ذكره ومن ذلك الوقت لم يضع ناص على رأسه ولا
 أحد من ذريته إلى يومنا هذا وذلك أنه لما سمع بفساد عمارته على الجزائر
 رمى بتاجه إلى الأرض وأقسم لا يضعه على رأسه إلا بعد أخذه الجزائر
 وحلم جراً كامراً في قعره زادهم الله حبيته * وعند استقرار المحسن بتونس
 تراجع بعض أهل البلد بعد التشتت والنهب وحسب الوطن إلى أهل من
 لا يمان * واستنقضى السلطان المحسن بعد هذه الواقعة الشيخ سالم الهواري
 وكانت فيه رحمة للمسلمين في تأمينهم على أملاكهم وسائر فروعهم مسكورة

اباه الله على صنعه * والشيخ سألهم عند أهل تونس يقولون كانت له
صهوة أيام صباه وأقلع من ذلك وأقول وأنا استغفر الله معاذ الله أن يكون من
أهل ما ينسبونه إليه فإن أهل المحصرة من العلماء في ذلك العصر كانوا
أهل دين وعفاف فكيف يقدمون من كانت فيه تلك الخصال الغير الموصية
الله لهم إلا أن يكون حدث منه أيام الشباب وأقلع بعد أو هذا من أقوال
المبغضين والعلماء لحومهم مسبوحة والله أعلم بذلك * وبعد سنتين لاوبعد
جمع الحس عربا وجمع جوع وخرج إلى القيروان لتصد اشتراكها من يد
الشبيش فلما قرب منها ونزل باطن القرن خرجت إليه أهل القيروان
فكبسة ليلاً فنهزم هو ومن معه وأخذت أمواله ورجع مكسوراً . فاقسم لا
يرجع عنها بحال وعزم على أخذه بالنصارى كما أخذ تونس فخرج
بنفسه إلى بلاد النصارى ليأتي بعمارة مثل الأولى ويأبى الله إلا ما يريد .
وكان غرض الحسن أباحت القيروان كما أباح تونس فتقبله الله على صنعه
وخبث فئسه . وكان أبه أجد عاملاً في بلد العناب فلما شعر بشغل أبيه وما
عزم عليه خاف من ألقاف المحصرة فتلافاها وأقبل إلى تونس خلية ونكلم
مع بظانته وجمعة من أهل أريانة ومعدنة الشيخ عمر الجبالي الذي
شاخ بباب الجزيرة وأولاده من بعد شيوخاً بالرخص المذكور وكان الشيخ
عمر ممن قوي قلبه يوم دخوله القصة فدخلها على حين غلظة * ولم
وصل قبالة القصة عند المكان الذي فيه سكنى المرحوم محمد بشا وبه يعرف
في عصرنا هذا جهت نفس أحد من الأقدام إلى باب القصة فوكزه
الشيخ عمر بين كتفيه وقال له تقدم فتقويت نفسه ودخل القصة فلم
يتعرض له أحد وانصل الخبر بالناس فهدعوا إليه وبجاءه * فقل لهم - أنه
فعلت هذا لأنني أنفت لـ حل بكم في السابق وخفت عليكم مما يأتي -
فتسكروا ودعوا له وسار في الناس سيرة حسنة نفرت بهم نفوس أهل
البلد عن أبيه الحسن وبعث من يتعصب للحسن إلى النصارى الذين
يحلق الوادي وأهلهم بالخبر فهدعوا فرقاطة في أئر الحس أخبرته بما وقع

من اخذ ولده أحد القصبة واستلذله بالامر فعظم ذلك عليه وبذل أموالاً كثيرة وأتى بعمارة عظيمة وجع كثير من الناس وصل الحسن بالنصارى بطراً إلى البحر فسمع السلطان أحد أهل البلد ووقعت هرجة عظيمة وحسب أهل المدينة أن يصيبوا مثل المرة الأولى فنفروا خيفاً وثقلوا نية الجهاد والمدافعة عن الأموال والأولاد ونادى منادي أحد - من أي بأسير راس قتيل فله مئة دينار - وجلس عند باب القصبة وجعل الدنانير في قراطيس من الكدشد وحرص الناس على الجهاد فخرج أهل الرضخين بلا سلطان معهم والنقوا بالنصارى والحسن وكانت المصافى من حربة الكلخ إلى سانية العباب * وسكن يرمز الشيخ سيدي علي المحبوب من حصر الواقعة فوق عند كديرة الفيران وأخذ قبضة من تراب وضعها في يده وقرا حزب البحر للشيخ الشاذلي ففتح الله به الجميع وشد نهم قراءته رمى بسا نحو الكفرة وقال - شامت الوجوه لنا - واصطف الفرنج ولم يكن بينهم قتل والساس ينظر بعضهم بعضاً إلا وعلم انهم طلع من المدينة وأمل من بين شط البحيرة وبين نوايل سيدي مدين ونعم مائتا رجل لا غير وأميرهم المعلم عمر فلما رآه الناس ثبوت نفوسهم فتقدم الشيخ عمر وسن معه وتقدم الناس والتقى الجمعان واشتد القتال ساعة من النهار * فانزل الله النصر على المسلمين ، وصدقوا في قتالهم لأعداء الدين فنهزم حزب الشيطان - وكان حق علينا نصر المؤمنين - وثبت أهل دين الإسلام وحمل الله الكافرين ، فتقتلوا قتلاً ذريعاً لم يقتل بتونس مثله * وسمعت من أهل الحاضرة من يقول كان السلطان أحد ذلك اليوم يعطي كل من أتاه برأس من الكفرة مائة دينار وكثرت الرؤوس حتى صار يعطي العشرة الدنانير وأقل وأكثر إلى أن أعطى دينارا * وحضر ذلك اليوم الشيخ سيدي عبد الله بن داود نفع الله به فجاهد في الله حق جهادة حتى يبست يده على قائم سيفه والدم منعقد عليها جراه الله خيراً * وفر الحسن إلى شكلة ودخل في الماء راجلاً بلا فرس وهابته النعس لكونه مرلياً أوبر قد دخل أبو الهول فاخوجه وهو

ملوك باهرم فكسي برنسا وجي به لك ولده اجد فوبخم على فعله
حتى قتل له - خالفت سمك الحسن - وسجنه . وكانت واقعة مذكورة عند
اهل تونس بردت بها حراء كبودهم مما وقع لهم قبل ذلك . واستغث العوام
بالسلطان اجد وقالوا لا يكون ملكا في مدينته وكثر هرج الناس فاستشار
اجد اصحابه في سجنه او قتله فاشار عليه ابن ابي حزة بسمل عينيه
فسمت عيناه . واما تذا امر الله فيه اخذ نفسه بزيارة الصالحين
ويطلب في ذلك لادن من ولده فياذن له ولا زال يشتغل من ولي الى اخر
حتى استدان في زيارة الشيخ سيدي ابي القاسم الجليري فقل له ولده
اجد - لعلك تريد ان نالحق بصهرك ابي سلامة القليعي - فقال له الحسن
- ومن من ان يكون مني وان على هذه الحلة - فاذن له فكان الامر كما قال
اجد . فانه لما خرج له مقدم الشيخ الجليري نفع الله به اناه القليعي بالليل
وهرب به الى القيروان . واقام بزاوية الشيخ المجدي بوعتة من الرمن
وكانت صحابة القيروان يجلسه ويش معه واما ادركت بعض من ادركت
بعض العجائز اللاتي جالسنه وحادثنه . وسعت من الحاكي انه قل
دخل عليه اولاد الشيخ عرفت صاحب القيروان في بعض الايام وانه يربط
وهو عود الملبدة وقالوا له - تريد ان نسما من صانك بالعود - والرموة
ذلك استخفاف به وخذد رجسه بيده وقد كبر عليه اقدامهم بما لا يليق
بملكه فانشددهم البيت الشهير بين الناس :

وكننا اسودا والرجال تهابنا - اذنا زمان فيه فخشى لارابنا
والقى العود من يده ودهش بالكاء في وجوههم فخرجوا من بين يديه لا يدري
احد اين يضع قدمه فسكان المعز وسكان المذل . وكان في خري انه
مات بالقيروان لانه مقبور هناك حتى وقفت على ورقه بخط الشيخ بركات
الشريف يذكر فيها ان السلطان الحسن هرب الى بلاد النصارى وهو اعمى
واف بعصرة لاحد المهدية مات في البحر فانزل له البر ورفعوه الى
القيروان فدفن بها والله اعلم بحقائق الامور . ويمكن ان يكون فر من القيروان

بعد ما اقام بها وهذا هو الاصح لان اقامته بالتقديرات معروفة بين الناس *
الخبر عن خلافة الامير المولى ابي العباس احمد

هو ابن المولى ابي محمد الحسن ابن المولى ابي عبد الله محمد ابن المولى
ابي محمد الحسن بن ابي عبد الله المسعود ابن الامام ابي صهر عثمان وبقية
النسب معروفة تغلب على ملك ابيه في حياته حكما فخدم ذكره *
وقبيل ان السلطان الحسن لما فعل بتونس ما ذكرناه واستحكم اعداء
الدين حلق الوادي وصارت لهم صولة وشاكره في احكامه واستورز الحسن
محمد بن عبد الملك السليطين وكانت مدته نحو الاربعين يوم كان المشارك
له في الحكم النصاراني جوان بن جاكمو * وسكن من اهل العقد والحل
مع نصارى حلق الوادي وكان معه ثلثمائة رجل من النصارى وهو كبيرهم
وكانوا يلبسون المبطن والبرنيطة وسكنهم في الرض الذي خلف القصبة *
واول من اسكن المصري بذلك الرض السلطان عثمان لانهم اخواله *
واستندت شوكتهم في ايام ابن عبد الملك . وجوان هذا هو الذي قتل عبد
الكريم بن هلال صربه على راسه بفأس في صلب الخليفة الحسن واشرف من
العر على اصحابه فقل لهم اقتلوا بقية بني هلال فقتلوا يومئذ ثلثة عشر
رجلا . ووجدت قبورهم مبنية وسببه ان جدهم طمع نعلم النجامة على رجل
ربة فحبسه بان بنيه يموتون في يوم واحد ولا يجدون مدفنا فجعل
ماكر من ثلثة عشر قبرا فلب قتلوا المحدوا بها . ومشي محمد بن حذيفة
اليمني الى ابيه ابراهيم بن هلال في ذلك اليوم واوعده بوثيرة بنيه
ان لم يتبنوا قتلوا بالحدود وهربوا بعد ذلك الى قسطينة وحي اذ ذاك بين
الترك فكرمهم ورجعوا بعد ذلك على يد القائد ابراهيم الشيخ * وقد انتهى مع
علي بن حذيفة بن هلال وقال له تثوب قل نعم . وبنو هلال من خدام
ابي فارس وحم اهل رياسة * ولم يزلوا يريد تسلط النصارى استبدوا
بالاحكام حتى ان ابن عبد الملك لما مات قام ولده مقدمه وجوان المذكور نظر
عليه نبي احمد من ذلك وذهب الى الشيخ صالح فمده بالمال وراحمه

في ذهابه محمد العصارى وأبو حنيفة والبرادي وعصام بن جيع وجاعة
واحد البلد كما ذكرنا قبل والله اعلم . وأول من راسل ملوك الترك
السلطان أحمد بن الحسن بعث أولا محمد القصبي في أيام حسن بن خير
الدين وجاء معه إلى الجزائر لأحسناته إليه . وبسبب بعده محمد
الويش وبعد ذلك بعث أبا الطيب تاج الحصار للبasha علي وهو بمدينة
طرابلس وروى عنه الباشا علي . إلى الجزائر ووقعت السنة بينهما أي بين
السنة علي وأبي الطيب وبعثه مرة أخرى إلى القسطنطينية وهي
الآخرة . وأسسها تمكن من الملك لم يجد في خزائن أجداده شيء
لأنها انقلبت أبوة في أيامه وحدثت أولاد سعيد في البلاد كعادتهم الخبيثة
وشوا الغرة إلى أن وصلوا للجبل الأخضر وساقوا بعض مواشي السلطان
مخرج إليهم بنفسه فأدركهم في سجون وطعن بعضهم . وكان شجاعا متدأما
وفيهم فروسية حتى قيل أنه لم يضع رجله في ركاب عند ركوبه . ولمسا
استولى له الأمر أركب ثلاثة آلاف فارس وسماهم زمازمة وكانوا قبله بسون
موحدين وأخرج فتوى من طهارة الحصرة بقتال أولاد سعيد فبدد منهم
وهمزهم . قسست تقدم في خبر جده عثمان أن الشيخ أبا القاسم
البرزلي رحمه الله كان يدعو على أولاد سعيد عند خروج السلطان إلى قتلهم
كما ذكره الشيخ الرصاع . وسمعت من يقول أنه أفتى بقتلهم أيضا وبقتل
غيرهم من المحاربين من عرب إفريقية ولا فرق إلا أن هذه الطائفة الملعونة
أشد نقارا عن غيرهم . وأبى فجى أفتى بتحويل مدينتهم آلات الحرب
حتى لا تنقل إلى الرواحي التي يلبسها الأفريقيون من العرب لا فرق بين
علاء وهؤلاء إلا أن السعيديين أقوى ضررا من غيرهم لأنهم على مر الأيام
لا ينسون فسادهم ولا ينتهون من فعلهم الخبيث . وكان المولى أبو عمرو
عاش من أدهم ومزق جمعهم وأفلهم وأخذ عليهم أن لا يصلوا إلى نواحي
الوطن وسكنهم من وادرا إلى القبلة لا يتعدونه . وأنبأ حدث منهم
هذا الحادث في أيام السلطان الحسن إلى أيام السلطان أحمد هذا راد طغيانهم

فسلطه الله عليهم * وكان السلطان المذكور سحيا في العدل واقامة الشرع
لا يبعدا احكامه في رعيته وتس طلب معه الشرع اجابه اليه والمعتصمون
عليه يسبونهم الى غير هذا والله اعلم * وسمعت من اهل الحضرة من
يقول كان يزور الشيخ سيدي ابي القاسم الجليزي وله اعتقاد فيه *
وكان المذكور يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم في نومه كل ليلة جمعة
فلما جي بالسلاطن احمد ميت ودفن بزارية الشيخ الجليزي المذكور قصر
من ريارته فامتدح من رويته النبي صلى الله عليه وسلم فلما زال يستهل
بالدعاء الى الله ويستغيث الى ان يسر الله عليه قوما فيما يرى الملك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال - يا رسول الله ما جئتني - فقال له صلى
الله عليه وسلم - لم لا تزور الشيخ الجليزي - فقال - يا رسول الله لاجل
الظلم الذي دفن بازائه - فمئل له صلى الله عليه وسلم - انه كان يذب
عن شريعتي فرهما بعد علو لم نكر له الا هذه المقبرة فكفتم سامحه الله
تعالى * وكانت بينه وبين درغوث بك صحبة اكيدة ، ولما كان درغوث
باشا محاربا لخرجة ارسل له السلطان احمد المونة وذلك ان جربة عصت
عليه لظلم منه وملكها النصارى ستة اشهر وافتكت على يد الباشا علي
ارسله درغوث ، والباشا علي هذا هو الذي مشى اليه ابو الطيب المحضار
وعدل معه الى الجزائر * وفي ايام السلطان احمد كانت دولة الجاويين
لا تهم اتخذ سودانا وجعلهم جيش له لم كان ينوق من تملك البلاد لقوم
لغتهم غير العربية فحصل اقوام من السودان ورفع منزلتهم فثولوا بذلك
لكي يكونوا هم الموعود بهم لما احبره منجزة وتس يدعي السحر وكان
للسلطان احمد اهتمام بهذا العلم * وكذلك ما احبر به من اهل هذه الصنعة
ان المحكم يستل منه الى رجل اسمه علي من غير جنس العرب وذهب
ملكه على يدية فاقام مملوكا له من كلالج وسماه علي واجلسه في مجلسه
وفرض له الامر * والقدر يجري بحال ذلك * وكانت له فتكات في
العرب اذانهم وهدد جمعهم غير ما مرة في اقل حلق الوادي له عدة وقائع

مهما انه عن على السمر الى افريقية على عادته وسار حكا، ثم فاز ومعه
 الف فارس وارتى خلف كل فارس رجلا وسار الى ان بلغ ماطر ورجع
 من هناك على غير طريقه الاولى الى ان اتي الى ناحية المعلقة فكم
 هناك * وبسبب خيل الدالة وامرهم بالغارة على حلق الوادي
 والنصارى مطمئنون من جانبه لان جواسيسهم وهم المهاجرون اخبرتهم بان
 السلطان خرج من البلد فلما اندووا بخيل الدالة خرجوا من البوارج في
 طلب الخيل وانهموا امرهم فتبعوهم الى ان وصلوا الى قرب المحصرة * فلما
 علم احد بعدهم جال نحو البرج ودعم الذي به على حين غفلة ووقف على
 بابه وانذهلت النصارى من خلق الباب وامتنع هو من اخذه ورجع ولو
 اراد اخذه لممكن منه لما هو سابق في الغيب لان القوم كانوا يرون ان
 البرج المذكور يحول بينهم وبين عدوهم المتوقعون له * ولما رجع
 السلطان عن خلفه حال بين الاملاج الذين خرجوا فائرين وبين البرج
 فقتل منهم خلقا عظيما * وكان اهل حلق الوادي يأخذون من اهل
 تونس الرمية من الصوف والجير لبناء برجهم فان اضطوهم ذلك وقعت
 الهدنة وان لم يعطوا يصيقلون عليهم برا وبحرا وتصبح بطائعهم في البحيرة
 ويمرون ببلدافع وفي البر بغيرون هم ومن معهم من المهاجرين فيقاسي من
 ذلك اهل تونس اكبر التعب * وان عزم اهل تونس او السلطان على عزوهم
 اندوهم المهاجرون وهذا ذابهم معهم * وكان اهل تونس في شدة مع العدو
 سيف كل حين ولهذا كانوا يدرسون اولادهم بلعب المحر دائما ليتطروا
 بملاقاة العدو ولم يزالوا يقسمون من الكفرة الشدائد الى ان من الله عليهم
 بهذه السلطنة الخاقانية ابقاه الله لمجاهدة الكفرة حسبت عن اهل تونس
 تلك الارجاس والله وعرف بالنس وسيأتي بعد ان شاء الله تعالى * واحبار
 السلطان احمد يطول شرحها وفيما ذكرناه كفاية ودامت ايدهم وانتشرت
 بالعدل احكامه الى ان نفذ فيه امر الله لا راد لقضائه * وخمسيل ان
 ابا الطيب كان يتوقع منه القبح عليه * وهذا هو الموجب لانحرافه

عليه وأنه دخل عليه في بعض الأيام فوجده في شغل من الفكرة فحدثه بما
يسليه فدخل له السلطان - يا أبا الطيب لو جاءني علي من المغرب في
هذه يسير ما كنت العناء وهذا - أنه - وأنا في حيرة من ذلك - فحدثه
أبو الطيب بما شرح صدره وأذهب عنه ففكرة فكان هذا هو الباعث
لأبي الطيب على أن يكتب الباشا علي وهو بمدينة الجزائر وحرصه على
القدوم لتونس وكافت بين السلطان أحمد والباشا علي ضغائن في النفوس
من وقت استخدامهم بمدينة طرابلس * ولهذا السبب أرسل إليه أبو
الطيب فيما تقدم لانصلاح الحال * ولما بلغ مكاتبته أبي الطيب
لعلي باشا تنوى عزمه وخرج بمحطة عظيمة . واجتمع إليه من امرأة وقرفة
وسويد نحو من سبعة آلاف وأقبل بهم * ولما سمع أحمد بمجيء أهل
الجزائر خرج ليصدهم عن الوطن والتقى معهم على بلد باجة * وكان مع
السلطان أحمد خيله الرماحية . وأخذ معه من الرجالة الفارسية والتقى بهم
فلم يغنوا عنه شيئا . وأخذت محله وانهمر أحمد بمن معه . وجاءت الترك
على وادي مجردة فوجدوه رائدا فمنعهم من العبور فأرسل الباشا علي إلى
بنزرت فجاءته كلالواح والقنطرة وحملها جسرا على الوادي وقطع العسكر
والتقى مع السلطان أحمد مرة ثانية قرب سيدي علي الخطيب فكسر فانيسا
وقميل وقع الحرب ثلاث حكرة عند سيدي عبد الوهاب ولم تكن للسلطان
أحمد قوة فدخل إلى المحصرة وقد آيس من الملك ورأى الموانسة لعدوه من
عسكرة وفر عنه غالب الناس وخرج في بعض الليالي إلى ربض باب
السويقة وقصد دار الشيخ سيدي علي المني نفع الله به وهو إذ ذاك
بنييد الحياة * فلما جلس في صدر البيت ولم يكن الشيخ حاضرا إلا
والشيخ قد أقبل ووضع يديه على صرعتي الباب وقال يا أحمد فاجابه بنعم
فاستفتح الشيخ وقال - قل اللهم ملك توفي الملك من تشاء وتسزع
الملك من تشاء - إلى تمام الآية فعلم السلطان أن الأمر مدبر فخرج وهو
آيس من الملك فرجع إلى قصبته وجع ذخائره وأمواله وبعض أهله وتسبعه

وخرج نحت ليل فبعه العرب والبعض من أهل البلد فدافع عن نفسه ونهب الكثير من مله وسار على طريق وادس ولم يبق معه إلا ثقليل وصرح في طريقه إلى ناحية البريجته وقطع إلى حلق الرادي ولم يكن البحر فامراً تلك الجهة كما هو في زماقنا وانب طغى الماء بعد . ولما وصل إلى الحصار قرع الباب ففعل به العسس فاخبروا كبيرهم فاشرف عليه من فوق فعرفه احد بنفسه ففتح له الباب فدخل واظمنت نفسه . ولما خرج من المدينة لم يكن لأهل المدينة قبل بمداخلة الأتراك ففتحو الأبواب ودخل الباشا علي . ودخل العسكر معه واصبح جالسا في القصبته وذلك في سنة سبع وسبعين وقيل ثمان وسبعين وتسعمائة ونادى المنادي في الناس بالامن وطلع إليه أهل البلد وأخذ منهم البيعة لسلطانهم ومن عد اجتمعت جماعة من جند السلطان احمد من الزمازمية الذين رحعوا عنه وسكن بقي منهم وانفقوا على الرحيل من البلد فقال قائلهم : لا بد لنا من الوقوف بين ايدي الترك - فساروا بإجمعهم إلى باب القصبته وتكلموا معهم وقالوا - انا كنا خدمنا سلطاننا مدة اقامته ودافعنا عنه بقدر طاقتنا واما اليوم فمن شئتم ابقيتمونا في اماكن وان شئتم صرفتمونا وارض الله واسعة - فتشاوروا في امرهم وأبقوهم على حالهم وقالوا لهم - انتم نصحتكم سلطانكم وليس لكم ذنب وحيث اديتم حق ملككم وقالتم في طاعة اسم اليوم معدودون من جماعتنا - فمن ذلك اليوم عرفوا بجماعة الترك إلى يومنا هذا وعليهم ابو الطيب قوانين البلاد ونصرايتها واخذ ينصرف في العمل لان القوم ليس لهم خبرة بأحوالها طم منه انه يستبد بالحكم معهم لكونه هو السبب في انيانهم وممن اعانهم فعاجلوه وقتل صرا ونهبوا امواله وان الله لا يهدي كيد الخائنين وعوقب بنقيصن مقصوده كما هي عادة الله في من ساءت نيته . ولما تمهدت البلاد رجع الباشا علي إلى الحمراء وخلف في البلاد نوبة من اترك وزواة لصيبتها وخلف قاتك رمضان حكما في البلد وعدد الأتراك الذين خلفهم ثمانمائة والزواة كذلك . وكان في عسكر السلطان احمد اربعمائة من

الأتراك ولم أراد أن يدافع أهل الجزائر كما ذكرنا قبل للأتراك الذين
في خدمته هؤلاء أهل الجزائر من جنسكم وأنا لا أريد أن تقع بينكم عداوة
فقالوا له إنما خدمتك لدافع عنك بانفسنا فابى عليهم وبعثهم إلى
سوسة إلى أن وقع عليه ما وقع وأحدث الترك البلاد فتراجعوا بعد ذلك
ومكثت في أيدي أهل الجزائر ثلث سنين والعرب من برها وأهل
حلق الوادي من بصرى إلى أن جاءت العمرة من الأتراك بآذن السلطان
أحمد وذلك في سنة ثمانين وتسعمائة ، وانفق عليها أموالا كثيرة * ولما
وصلت العمارة إلى حلق الوادي أخرج الجنرال كتاب من عند سلطانه يذكر
شروطا اشترطها على السلطان أحمد فأُمتنع منها وقال - ما لكم عندي إلا المال
لا غير وأما البلاد وليس لكم فيها شيء - فقال الجنرال - أن نف بها فخير وإلا
نقدم غيرك نف لنا بها - وغدما أخذ مجدا فقبل الشرط ونزل بهم إلى البر
وأما السلطان أحمد ففر إلى جزيرة صقلية وسكن مدينته بلرم وبقي
بها إلى أن مات رحمه الله وحيي به إلى تونس فدفن بزاوية الشيخ الجليزي
بعد ما مكث ثلثة أيام ملقى في الجدار لم يؤذن بإدخاله البلد ظنا من
القوم أنه حي وادخل بعد ذلك ودفن وألملت له وحده *

الخبر عن خلافة الأمير المولى محمد بن المولى الحسن

أما أم ولد وهو خاتمة بني أبي حفص وباتقراضه انقرضت أيامهم قدم إلى
المحصنة بعمرة النصارى فليد عليت أهل تونس بهجيتهم هربوا من البلد خيفة
من هول الأربعاء وحي الواقعة الشى جرث عليهم أيام الحسن وهرب أكثر
أهل تونس إلى ناحية جبل الرصاص واختفوا هناك في الدواميس وهذه الواقعة
يعبر عنها بخطرة الدواميس * وكان فيها الخطب جليلا وكانت في زمن
الخريف وغلب أهل البلاد عرائس فنهشك حجابهم واقتضحوا ونالهم من
الهوان ما لم يعهده وصنعوا نوابيل في الغابات وسكنوا بها وتسلوا بين
خيام البدايتة وقالوا من الخوف والجوع ما لم ينلم أحد وتولى الحرس على
النساء والذرازي القائد عبد الله والقائد علي بن أبي زيد ، وبعث إليهم

الشيخ المجدي يحرضهم عن قلعة الطمينة . وبعدت السلطان محمد بعد ذلك للناس وامرهم بالرجوع الى البلد ثم رجعوا فتمت وجدة داره اخذها وتمت وجدها بيد النصارى وكل امره الى الله . وقسمت المدينة قسمين كفر وايمان * وفي تلك الايام ادين المسجد الاعظم ونهبت خرائن الكتب التي به ودرست بارجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت ما جمع فيها من دواوين العلم وتبددت في الشوارع حتى قيل ان البر من شرقي الجامع حيث النواوير بين الان اما يمر على الكتب المطروحة هناك وضربت النواويس في الحاضرة * وسمعت بعض اهل البلاد يقول ان النصارى وبطرا خيولهم بالجامع لاضطهم ونشوا قبر الشيخ سيدي محرز بن خلف فلم يجدوا به الا الرمل وفعلوا ما لا تفعله الاعداء بالاعداء . وساكنوا المسلمين وصارت الدار بالدار . وسكن القبطان مع السلطان محمد بالثعبنة ويجلسان مع في سقيفتها لاحكم واستمال القبطان قلوب الناس وساسهم بعدله ومكره ومنع من التعدي عليهم . واتخذ اهل باب السريقة على ناحية ومنعوا انفسهم من الاهانة . واهل باب الجزيرة واهل المدينة ادينوا لانهم تحت الرميثة فجرى عليهم حكم النصارى * وفي تلك المدة صر البسثيون خارج باب البحر من تونس وفصلت اسراقهم وحوادثهم وعمر بالكفرة وتسل اهل تونس من اهل البسثيون ما لم ينالوه من غيرهم حتى كانوا يقتلون الرجل عن دينه . وشركت النصارى المسلمين في مساكنهم ومعاملاتهم واقاموا معهم تحت القهر والاهانة وفي تلك الايام وقعت خطرة الشكارى بين مسلم ونصراني كل منهما اراد شراء قمد النصراني يده في المسلم فصاح المسلم واستغاث فقامت النفس لنصرة المسلم وقتلوا النصراني وكانت الواقعة بباب البسات فسمع ابنه جنسه ففزعوا وخرجوا من باب السويقة ووقعت بينهم مقتلة دام فيها الحرب من الصبح الى غروب الشمس وبقيت جثث الفريقين ملقاة وخرج السلطان وحز بين الفريقين وجرت النصارى موتاهم على العجل . وسبب هذه الخطرة على يد ابن الصغار كانت داره بالعزافين . وقد ادركت ابنته بسكن هناك وسمعت من

ولده يقول كان ابي هو السب في تلك الواقعة والله اعلم بحقيقة ذلك ،
ولرجع الى خسر السرك فانهم لما دعمهم العدو وعلوا ان ليس لهم طاقة
بمقومتهم سلوا البلد وهربوا الى ناحية جريوة شربكت ونزلوا على الحمامات
فغلقوا دونهم اهل الحمامات ببب البلد فطلبوا منهم الفيت غنمهم وعلقوا
سلوقية مينة على برج عندهم وبه يسمى برج السلوقية الى اليوم وقالوا لهم هذا ما
لكم عندنا - فبانوا بذلك وجعوا امرهم الى اين يكون ذهابهم فافقت عاراهم على
القبروان وبها الباشا حيدر . وكان نعا اليهم الخبر بم وقع بتونس فاضطرب
القبروان تلك الايام * ولمنسا اراد الترك ان يتوجهوا الى القبروان
لحققت بهم النصارى على بلد الحمامات فلم يكن لهم ملجأ ينجون اليه
فقال كبيرهم نجعل البحر خلفنا ونستقبل العدو والنصر ييد الله تعالى . وسمعت
من يقول ان اميرهم كان خير الدين وليس كذلك لان خير الدين هو
الذي اخذ تونس من يد الحسن في حدود الاربعين وهذه الكائنات في
سنة ثمانين الا ان يكون الحسن بن خير الدين والله اعلم * ولما
وصل العدو الى الترك صدقوا في القتل وصبروا صبرا لاهرار فهربت الكفرة
وركبت الترك ادبارهم الى ان اخرجهم من الخثقة التي بقرب الحمامات
وقتلوا منهم ما شاء الله وقطعوا رؤوس القتلى وبعثوا منها اجالا للقبروان
لنسكين الاحوال فيها . ووجدت صناديق للنصارى مملوءة بلريش يقصد
من قتل منهم مسلما رشقوا ريشة في راس قاتله للبهدة فخذلهم الله تعالى *
ومن الغد رجعوا الى الحمامات فحاصروها واخذوها عنزة وقتلوا من قعدوا
عليه من الرجال وفر الباقون وسييت اولادهم وحريمهم ونهبوا اموالهم
وفعلوا بهم الفاقة . واني الشيخ الجديد ففتك منهم النساء والاولاد وتراجع
اليها من هرب . والتحق الترك باخوانهم بالقبروان واقاموا هناك عشرة
اشهر مدة سلطنة محمد وتحكم النصارى بتونس . واشتد الامر على الذين
بالقبروان وصاقت بهم البلاد * وكان بها الباشا حيدر وهو الذي حارب
الحيدري المشهور بالقبروان . واراد الفرار عنها لشدة الامر وكان يتردد الى

الشيخ سيدي احمد الرندون نفع الله به فكان الشيخ يربصه ويوعده بالخير
 فينتف عند اشارة الشيخ الى ان قدر الله بارئفاع المحسن * وارادته البوس
 والحزن * واظهار شعائر الاسلام بالدرجة العلية * ونشر الاعلام الخافية
 وتطهير الديار التونسية * من الكفر والارجاس * فسلم الله هذه المملكة
 بالمخافان سليم بن سليمان والله رحوف باللس * وكاتب اهل القيروان
 اخوتهم بطرابلس والجزائر فانوا بنية الجهاد من الجزائر ومن طرابلس ومن
 القيروان ونزلوا بساحة تونس في يوم واحد ونوشوا القتل لاهل تونس وعسايقوها
 من البر واخذوا عليها مدة فلم يفعلوا شيئا * ولما طالبت اقامتهم ولم يحصلوا على
 شيء عزموا على الرحيل الى بلادهم . فظهرت لهم مراكب في البحر فظنوا
 انها عمارة امت لصرة النصارى فقويت نفوسهم على الرحيل بالليل * وكان
 من قدر الله ان العمارة المذكورة من قبل السلطان سليم ابقي الله البركة
 في ذريته الى يوم الدين والقبطان بها علي باشا وسردارها سنان باشا فله
 وصلوا الى ناحية النرسى من حلق الرادى وعلم المسلمون الذين هناك
 بانها عمارة الاسلام طلع اليهم بعض المسلمين فسأله عن احوال البلاد فاخبرهم
 بخبر الحال النازلة على البلد فكثروا كتابا وبعثوه الى امراء تلك المحل
 يخبرونهم بمجي العمارة الساطنية ويأمرونهم بالاقامة في اماسكنهم فلما
 اناهم الخبر ايتوا بالصبر وتووى عزهم الى ان فتح الله عليهم * وسمعت من اهل
 المحصورة تن يقول سبب مجي العمارة الى هذه الديار ان السلطان سليم
 رأى في منامه الشيخ الولي سيدي حرز بن خلف يستجده على بلاده وقل له
 - انا حرز بن خلف - فله اصبحت سأل من الشيخ وعس بلدة فقيل له تونس *
 وقيل ان العمارة كانت معينة الى لاندلس فجدة لغرناطة لان اهل غرناطة
 بعثوا يستجدونه فعزم على ارسال هذه العمارة اليهم فبعث خبر غرناطة وانهم
 اخذت في تلك الايام واحتوى عليهم اعداء الدين فقتل عزم السلطان عن
 لاندلس وبعث بها الى تونس . ولعل الانشاى وقع من الطرفين والله اعلم
 وكان عدد المراكب ثمانية عشر معونة ومن العلاط وغيرها من السفن

النا وخمسمائة قطعة حرس الله هذه السلطنة العثمانية من آفات الرومان ، وجعلها نذب على الدين المحمدي وهي بشعائرها مشيدة لأركان ، ولم يرأوا مطبقين على ترانس من برها وبحرها إلى أن تمكنت أيديهم بسجورها وفحرجا ونزعوا ملكها من أيدي الكفرة بعد ما كانوا استواوا عليها وسأوا ملك بني أمي حفص بعد ما كانوا ملوك البلاد لأفريقية وشيخها والله يورث لأرض وتن عليها . وكان ابتداء ملكهم كما قدما ذكره سنة ثلث وستمائة وأمترس بانقراضهم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فكانت مدة ملكهم ثلثمائة وثمانين وسبعين سنة . وملك الله هذا الأقليم لأفريقي كما ملك غيره لال عثمان ، وطهره بتوليتهم عليه من أهل الشرك والمصابان . وحسبيت بلغنا ما أردناه من لأخبار السابقة نصيف بحول الله وقوته ما تيسر لنا من لأخبار اللاحقة ان شاء الله تعالى لا قوة إلا به ولا أمثال إلا عليه .

البسب السابع

في الدولة العثمانية والسلطنة الخاقانية

إدام الله ظلال أمنها في الخافقين ، وجعلها دائمة اليعن

والبركة قاهرة لأعداء الدين . وخادمة لأجرمين الشريئين

أول من ملك منهم البالد جددهم عثمان وأليم أنسابهم وهو عثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه وكان سليمان هذا في بلاد ماهاق قرب بلخ وهو من جنس التركمان الرحالة الزالة من طائفة التتار ويحصل نسبهم إلى ياقوت ابن قروح أليم الصلاة والسلام . وإسا طهر جنكوزخان وأخرب بلاد بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه نفرقت أهل تلك المملكة وأخرج سليمان شاه المذكور من بلاد ماهاق بخمسين ألف بيت من التركمان وقصد أرض الروم وعبر من الفرات فغرق بفرسه فمات وتفرقت جماعته في أطراف تلك البلاد وبقيتهم مبعودة هناك إلى الآن على عادتهم في النزول والأرتحال وخلف سليمان أربعة من البنين فعاد منهم إلى بلاد العجم اثنان

وتوجه النان إلى بلاد الروم وقدما على السلطان علاء الدين الساجوقى صاحب بلاد قرمان وملكه إذ ذاك بشويته فأكرمهما وأذن لهما بالاقامة بإرضه فاستأذناه في الجهاد فأذن لهما واجتمع إليهما جمعة من التراكمة قواصلوا الجهاد في أرض الصخرة ولهم وقائع مشهورة عند أهل السير ومات أرطغرل وخلف عدة أولاد أشدهم بسا عثمان فواصل الجهاد على عادة أبيه فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده فأكرمه وأمره وأمدته وأعانه وجعل له المراتب السلطانية . وأرسل إليه نوبة خاقانية ودق بين يديه الطبل والزمر وسماه خان فخطبها له ونشجها . ولما دقت الطبول بين يديه قام هو على قدميه أجلالا لمخدومه فمن هناك صرث عدة لال عثمان القيام عند دق النوبة قانونا جاريا إلى الآن وجرى عليه اسم السلطنة سنة تسع وتسعين ومستمائة . وافتتح تلك السنة قرة حصار وخطب له فيها وتنادى في فتح تلك الحصون وسامدته المقادير لما سيكون إلى أن توفي رحمه الله سنة خمس وسبعمائة وتولى بعده ولده السلطان أورخان بن عثمان وهو الذي أفتتح مدينة برسا في حياة والده وجعلها دار الملك . وفق والده في الجهاد وفتح بلادا كثيرة . واجتمع لحربه جملة ملوك نصارى من بلاد الروملي وقصدوا لقاءه في برالانطولي فسير إليهم ولده سليمان بك فجاز إليهم إلى بر الروملي ودعمهم على حين غفلة فمزقهم الله وفرق جمعهم وفتح عدة أماكن وحاد إلى والده منصورا . ووش أورخان إلى ستة سبع وأربعين وسبعمائة فمات رحمه الله . وتولى بعده ولده السلطان مراد بن أورخان بن عثمان سنة سبع وأربعين وجلس على تخت الملك سنة وفاة أبيه . وهو الذي فتح أدونا واتخذ المليك وسماهم يكشريم معناه العسكر المهديد والبسم البلد الأبيض المنفي إلى خلف . وكانت له صولة نظيفة . واجتمعت ملوك الشرك إلى قتله فهزمهم وقتل زعيمهم الأكبر . وظهر بعض ملوكهم الطاعة وأقبل لتقيل يده فخطبته بخنجر كانت معه فمات رحمه الله ومن ثم صارت عادة عند آل عثمان لا يدخل أحد بسلاح على السلطان وإن يفتش ثيابه وإن يدخل

بين رجلين يكتنفانه * وتوفي سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة وتولى بعده
 بايزيد خان . وكنيته بلدرم معناه الصاعقة وصهره اذ ذلك اثنتان وأربعون
 سنة واقام سنة عشر سنة سلطانا . واستولى على قلاع كثيرة وغصب ملوك
 الطوائف الذين بازائه . واخذ ابن كرمين وحبسه ففر من حبسه وفر منه
 ايضا ابن متنسبا في صورة قلندري خلق لحينه وجواجهه وابن اسنندار وغيره
 من الملوك ولحقوا بتيهور ملك التتار واستغاثوا به وحرضوه على اخذ بلاد الروم .
 وتيهور هذا من اخر ملوك الدنيا اهلك ثلثي العالم ومملكه وكان مبتدا امره
 من وراء خراسان . وملك ما وراء النهر والسند والهند والصين والعراق .
 وجازل في الديار الشاميه والمجلبية ولم ينح منه الا مصر والمغرب وسفك
 من الدماء ما لا يعلم الا الله واخباره كثيرة ليس هذا محلها وقتل من
 العلماء الوفا لا تحصى . وسئل بعض الفضلاء عن تيمور اي سنة ظهر فيها
 فقال - في سنة « عذاب » * ولما وصل الى بلاد الروم خرج بايزيد
 الى قتاله فحذله من كان في عسكره من الشار وغيرهم . ورجعوا مع تيمور
 باستمالة اليهم وبقي بايزيد في جمع قليل وفاتل بنفسه الى ان هجم على
 تيمور فالتقى عليهم بسطا فقتله واخذ اسيرا ومات عند تيمور في القيد سنة
 سبع وتسعين وسبعمائة وتسلط بعده بنوه عيسى وموسى وقسم سليمان
 ومحمد . ووقع بينهم القتال والتحاسد نحو اثني عشرة سنة . واستل بالملك
 السلطان محمد بن بايزيد في سنة خمس وثمانمائة وعمرة اذ ذلك ثمانى
 عشرة سنة . وكان مطامعا مقداما واسع العطاء عين صدقات للحرمين
 الشريفين ومهد البلاد وفتح عدة فتوحات . وتوفي بعد سبع عشرة سنة من
 سلطنته سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة وتولى السلطان مراد الثاني في التوابع
 المذكور اي اثني عشر سنه وثمانمائة فقام الشروع في ايامه ولازم الجهاد
 على عادة اجداده وفتح بلادا كثيرة الى ان كبر ولده محمد فقتل له من
 الملك واجلسه في حياته على سرير ملكه وتقاعد بوضعه الى ان وافته
 حياه سم استل بالامر السلطان محمد خان في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة

وعمره اذ ذاك عشرون سنة . وهو من اعظم سلاطين آل عثمان في الجهاد
عنوكا على الله ، واكبر فتوحاته قسطنطينية العظمى وجعلها دارا للهلك . وبني
فيها المدارس وقرب العلماء واجرى عليهم النفقات ، واستجلب العلماء العظام
من انظار البلاد وتزخرفت بايامه الدنيا وتشرفت العلماء في ايامه . وفعل
خيرات لا تحصى . وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة رحمة الله عليه .
وجلس بعد في الملك السلطان بي يزيد ابن السلطان محمد في ربيع الاول
من السنة المذكورة وعمره اذ ذاك ثلثون سنة ، وقام بالامر اثنتين وثلاثين
سنة وفتح عدة قلاع وانسكها من ايدي الكثرة ونازعه اخوة في الملك روثع
بينهما الحرب فانهزم اخوه هاربا الى مصر في ايام قيت بلي باكرمه . وعاد
الى قتل اخيه مرة اخرى فهزم وهرب الى بلاد النصارى فدرس عليه اخوه
ثمن قتله هناك بموسى مسمومة حلق راسه بها . وفي ايامه ظهر اسماعيل شاه
ببلاد العجم . واظهر مذهب الرافضة واستولى على تلك البلاد فغراه بايزيد
وسكان رحمه الله بحبا للجهاد مداوما على افعال البر . وكانت بيضة لاسلام
في ايامه محفوظة بحب الاولياء والصالحين وبني المدارس والشيخات وديار
المرضى وحرمت الى باب اعيان الداس . ومنحه شهاب الدين ابن الخليفة
شاعر مكنى بتصيدا وارساها اليه غنائمه بالنف دينار وجعل له كل سنة
معانته دينار . وهي باقية في عقبه تصل الى اولاده في كل سنة الى يومنا
هذا . وكانت له عدة اولاد فرقمهم في حياته على المنصب الى ان ماتوا
في حياته . ولازمه مرض الشوس وهو من امراض آل عثمان فعجز عن السفر
وبال العسكر في حياته الى ولده سليم وتقاتل معه وعاد اخر الحال خلع نفسه
وقدم ابنه للملك وخرج الى ادرنة فمات سنة سبع عشرة وتسعمائة
والسلطان سليم جلس على تخت الملك في السنة المذكورة وعمره اذ ذاك
ست واربعون سنة وايام ملكه تسع سنين . وهكنا ملكا جبارا سدا كادما
قوي البطش غرا بلاد العجم وافك مصر من الشراكسة . واخذ مدينت
حلب والهام . وهو اول من خطب له بحادم الحرمين الشريفين . وتوفي

في ثامن شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة رحل الله تعالى عليه : وقسم
بلامر عدة ولده السلطان سليمان في التارنج ودامت ايامه في الملك سبعا
واربعين سنة . وفي ايامه فتحت عدة بلاد وغزا بنسبه بلاد لانكروس
وغزا جزيرة رودس واخذها من اهلها وكننت ليس لها مثل في الحصانة
واسلوها لم يعد حصار شديد وضائق عليها وعاخرو الحال طلبوا منه الامان
على اموالهم وانفسهم فانظمهم امان فخرجوا الى بلاد المغرب وعمروا جزيرة
مالطة دمرها الله . وكننت انفسهم برودس كافعالم لان عسى الله
ان يبدد عملهم عن قريب . وفتح رودس اول شهر صفر سنة تسع وعشرين
وتسعمائة وجعل بعض الافاضل فيها قاربخا وهو : يفرح المرحون بنصر
الله . واما تمكنوا من مالطة وزاد ضررهم ارسل اليهم في آخر ايامه عبارة
لاخذها فما امله اجله . ومن فتوحاته جزيرة استنكوى وبعودرم وقلعة
ايدوس . وسافر بنفسه الى بلاد العجم وحرب امامه الشاه واخرب بلاد
تبريز واخذ بغداد . وفتح دراق العرب وطلب الشاه منه الامان والهدنة
فاعطاه ذلك ورجع الى مقر سلطنته . والطف تدريب قيل في هذه السفرة
فتحنا العراق . ولم رحا الله ثلث عشرة غزوة على اهل البلقان والنفق
ومات رحمه الله في قروته الاخيرة بتاعة سكتان وكنتم الوزير موثم وارسل الى
واده السلطان سليم فاقبل بسرعة وعند ذلك اظهر الوزير موت السلطان
سليمان . ووضع في تابوت ورجعوا به الى القسطنطينية . وكانت مدة سلطنته
ثمان واربعين سنة سقى الله ثراه من صوب الرحمة . وكشفه من الفخر ان
علامته الوجود في ذلك العصر وهو الولي ابو السعود رحمه الله وثقه بتصيد
طائفة تدل على فخرهما العشد والمنشود . وهي من غرر التراث وهرامته
استهلها حيث قال :

اصوت صاختر ام نفخة الصور فالارض قد ملئت من نقر ناقور
وهي طويلة اضربت عنها وليس هذا محلها تركها خفية كالماتة . وجاس
بعده على تخت الملك ابنه السلطان الاعظم السلطان سليم الثاني

وبويع يوم الاثنين تسع مئتين من ربيع الآخر سنة اربع وسبعين
وتسعمائة . ومولدة سنة تسع وعشرين وتسعمائة . ومدة سلطنته تسع سنين
وهو المبارك النقيب على الديار التونسية سلبها الله بسليمها من ابوش
النصرانية وقامت الخطباء باسمه المبارك على منابرهما ولاحظت اعين
السعادة منازل الحضرة واصيف فخر الدولة العثمانية الى مغايرها . ولما
تمكس من ذلك تبع طريقته اسلافه في الجهاد . فسمي اكبر غزواته فتح
جزيرة قبرس بالسيف المهمة . وفتح بلاد اليمن بعد ما عصى اهالها . وقد كان
فتحها والده السلطان سليمان فلما مات قام به مظهر ابن شرف الدين
يحيى الزيدي واستحل امره بتلك البلاد فبعث اليه عسكريا منجبه الوزير
المبارك سنان باشا فافتك البلاد . وبلغ منها ما اراد . وهذا البشا السعيد
لم يكن له نظير في دولة عال عثماني ولا جاء مثله من ذلك العصر الى هذا
الزمان فكيف خلف ربه الله من المآثر والخيرات حيث حل وكابه وكم بنى من
مساجد وتكايا . يحمل بها المسافر ويدل من خيراتها ويحمد ذهابه وايابه
فانه كان عيون النقيب حيثما سر ولا استقرت قدمه باقليم الا بنى فيه
اماكن للخير والصدقة والناس كثيرون ممن شاهدوا تلك الادر حتى انهم
يقولون ان جباية تلك البلاد لا تقفي بها صنع من خيراته . وكان محبا
لفعل الخير والزيادة الى ان مات زاد الله في حسانه . وقد سمعت من
يقول انه كان يعلم سر الحجر المسكوك ودليل هذا كثرة ما حلف من اماكن
حبسة على الفقراء والى يوم هذا يدعى له وطلبه يترحم . وعلى يدبه كان افتتاح
هذه البلاد والله مخوف بالعباد . وذلك ان سلاطين تونس من بني ابي
حلف كما بيناه في اول الكتاب كان منهم من بلغ درجة الملك ومنهم
من قاربها ومنهم من نال الاسم من السلطنة فقط ومنهم من تعلبت
عليه العرب واقاموه في الملك وشرطوا عليهم شروطا وافى لهم بذلك ونمادت
ايامهم في اقبل وادبر الى ان اتاهم ما اتى على غيرهم فصاروا عبرة لغيرهم لما
خلت منهم الديار . ولست ساسا اراد الله تعالى انقراضهم وضعوا تفرقت

عاراهم واختلفوا الى زنت مشينهم لا حسنهم ، واطهر من مساويه ما غطى به
 حسنت احسنهم * وفي ايام تملك النصارى خلق الوادي وبنوا فيه
 حصارهم المشهور وشيدوا فيه بناء لم يشده شداد ، في ارم ذات الحماد ،
 وابتدأوا بناءه سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ، وهدموا اكثر اقواس الخناية التي
 كانت لقرطاجنة واخذوا حجارها لبناء وجعلوا الرميثة على اهل البلاد من
 الجير والجص ، وحصنوه حصانة لم يكن لها نظير واداروا به خندقا
 وادخلوا له ماء البحر الى ان دار به دور السوار وملاوه بآلات الحرب
 والرجال وما يحتاجون اليه بحيث صار فصة في الخلق ، وصارت النصارى
 تكمن باخرتها ومراكبها ويقطعون في البحر على المسافرين ويلاحذون
 كل سفينة فصبوا وعم اذا هم المسلمين وملكهم اذ ذاك باشيلىمة اصادها الله
 للاسلام ، وكان استجدة المحسن في السابق كما ذكرنا وتبع اباء ابناء اجد
 واراد ان يعد من نجباء الابناء واللعين النصراني ساعده على ضررهم ويضمر
 في البطن بمكره على غدرهم فاستصفي اموالهم واموال اهل البلد في واقعة
 الاربعاء وكمل على بقيتهم في خطرة الدواميس ولم يبق لاحد ما سعى *
 ولما تمكن عسكرة تونس في ايام السلطان محمد تمكن بالبلد اي تمكن
 وصار قبطن النصارى يحكمهم معه في حضرته وهو له قرين وعلم بذلك
 صاحب بلاد اسبانية ان تونس في قبضته وصار يفتخر بها بين زعمائه
 في قيمته وقعدته حتى اذا راي من قواميسه الليل منه يقول لهم - داري
 عشي - يريد تونس ، واراد ان يتولى طليها من اولها الى آخرها ويشعل
 فيها من اقدمه شعائر الكفر كما فعل بغيرها ولما اراد ان يجعلها منه قيس
 الله سليمها منه * ولمسا نمت اخبار تونس وما حل بها الى
 ملك بني عثمان وهو السلطان سليم جعل الله النصر والتمكين في عقبه الى
 يوم الدين تذاقت حمته الى فرع الديار التونسية من ايدي الكفرة ، ويبدل
 عوضهم انسا برة ، وقد تقدم ان الشيخ سيدي محرز بن خلف نفع الله به
 تعرض له في منامه واشار عليه باخذ تونس في اليقظة ولم تكن الرويا

اصغاث احلام * وتفسير ان الباعث له على ذلك العبارة وقد قدمنا خبرها اهل غرناطة فانهم استجدوا لنصرتهم فلما حزم بوايد باغد استيلاء اللعين على صولتهم فثنى عزهم الى هذه الديار وعلى ككل وجه بارادة الله جرت الاقدار . فاختدب لهذا الامر سنان باشا رحمة الله عليه وجعله سردار العسكر واصاف اليه سن يسكرين له المظفر على المراكب البحرية ومن كانت له بالبحر خبرة وذرية وهو قبطان البحر فليج على باشا اعلى الله منزلته في درجات الجنان وانعم السلطان عليهما بشاريقه المعادة وخلع عليهما وحكمهما فيما يحتاجان اليه من آلات السفر وزيادة وشحنات المراكب بما يحتاج اليه من الذخائر والاموال وعلات الحرب وبرز العسكر من الشططينية غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وكان يوم خروج العسكر يوما مشهودا وشحنات الاغربة بالرجال وعددها مائتا غراب وثمان عشرة معونة وغيرها من السفن الكبار والصغار فالجملة الف وخسمائة قطعة . وقد سبق التعريف بها وسارت العبارة فوق الماء مثل الطيور اولى اجنحتها ثنى وثلاث ورباع . وان كان البر يضيق بها فلها في البحر اتساع . وطفت على متن البحر كالطوفان . وان برزت اكباد اهلها بالامم وجسومهم بهاء البحر فان مدافعهم لاءداتهم تسخت واثمت بالنيران . واجتمعت في مينا نورين . ومن هناك توجهوا للغرب على ريم متوكلين . واجتازوا بقلعة في بر الكفر تسمى تيجة وهبطوا للبر فدفعهم العدو واحتسروا ففر العدو عنهم بعد ساعة من نهار ولاح هناك بعض اليات شهيدا . وظهرت علامة النصر واخذوا في طريقهم عدة قلاع وغنموا شيئا كثيرا وفي طريقهم اخذوا مركبا مشحونا بالقسم وفي الثاني عشر من الشهر وصلوا فليبية فنزلوا هناك واستراحوا . وفي الرابع والعشرين من الشهر بلغوا حافى الوادي وشرارت العساكر بعيدا من رمية المدافع ونزلوا اوطافى الوزير سنان باشا * وكان من قدر الله تعالى قبل وصول العمارة العثمانية ترسيم وصل الى تونس الباشا حيدر من الدروان * وقد تقدم خبره ولم يكن لي علم به انه كان متوليا على منصب تونس من

قبل حتى وجدت في تاريخ انه كان صاحب البلاد واطنه خرج منها حين
 دهمه العدو وكذلك مصطفى باشا صاحب مدينة طرابلس محصورا الى تونس
 ونزلا معا براه المدينة في سجون لتقصد بجاورتها . وفي آخر اليوم ظهرت
 مراكب في البحر فظنوا انها نجدة للعدو فعولوا على الرحيل ليلا ولم كانوا على
 اية ذلك جاءتهم الاخر من عند الوزير سلطان باشا مع رجل من اهل المرسى
 كان طلع للعدوة واستخبره الوزير عن احوال البلاد فاخبره بخبر الحاصل فبعثه
 اليهم رسولا يخبرهم بتقدم العسكر العثماني . فله صبح عندهم الخبر قويتم
 نفوسهم وسار حيدر باشا ومصطفى باشا في تلك الليلة في بعض الخواص
 الى حضرة الوزير سنان باشا وسليمان عليه وطلبا منه ان يتوجه معهم
 بنفسه فامر طائفة من امرائه وحين لهم الفا من العسكر واعطاهم مذاق
 وزراجز وباحتجون اليه وامرهم بالمسير الى تونس صحبة الكلوبكية
 مصطفى وحيدر وارسل معهم ابراهيم بك من مناجق مصر المحروسة
 ومحمد بك بصنمق فبرس وبكير بك صاحب فرقة حصار وصحبتهم
 الفان من العسكر مع انعم حبيب بك وتوجهوا في الحال الى تونس
 واحاطوا بها احاطة السوار بالعصم وشوشوها باقتتال من كل جهاتها . فلما
 رأى السلطان محمد الحفصي وتبين معه من النصارى كثرة العساكر صلوا
 ان لا طاعة لهم باقتتال هذا مع ان قلعة تونس كان اكثرها خرابا لتواتر
 المحن وقلعة الاقصر وكذلك المدينة لم تكن معمورة ب أهلها بل غالبها خراب
 ايضا فضلا عن سعة الشوارع التي بها . فعجزوا عن تحصين البلد وقلعتها
 فخرجوا الى مكان يقال له - قوملودكر - معناه بحر الرمل وعلاوا به
 حصارا من الخشب وحشوه بالرمل والغرائب والتجوا اليه . فاستمرت
 هكذا وجدت اسم هذا المكان مقيدا ولا اعلم في تونس مكان يعرف بهذا
 الاسم الا ما يذكر اهل تونس عن المكان الذي يعرف بالبسيون خارج
 باب البحر من شرقي المدينة . وهذه الاخبار تصدق عن ذلك المكان والخبر
 - وابر عنه الا ان صاحب القيد الذي انما - - هذه الحكاية -

بعيد الدار من الديار التونسية واتما بلغه الخبر بلسن المخبر وشه قيد ما
سمع منه * ولما تحصنوا بهذا المكان وكان فيه نحو سبعة آلاف مقاتل ما
يس كافر ومرند وشحنوا تلك البقعة بآلات الحرب والمدافع الكبار ومن الطعام
شي كثير ظنوا انه يمنعهم من تخلاء الله . فعند ذلك خلت المدينة وقصبتها
ولم يبق فيها من يصونها فدخلهما العسكر العثماني من كل جهة وملكوا المدينة
وقلعتها وحصنها بالآخشاب والألواح والتراب واحكموا ذلك . هذا والحرب
بينهم على ساق . واهل الملة الحمديّة ممّا يله الشقاق . وبعثوا
بمخبرون الوزير للعظم سنن باشا وقع لهم ويطلبون منه المدد بالاعانة
ومن يصرفهم فلما بلغ الوزير ما هم عليه حول على من يقوم مقامه ويستوفيه
فبعث لنصرتهم القبطان قليج علي باشا رحم الله الجميع فتوجه بجمع من
العساكر المنصورة من طائفة السليمانية ليكنوا اعانته لمن تقدم قبلهم من
صحبهم . فلما وصل الباشا قليج علي الى تونس وشهد لحصن البستون
وكثرة الصاري والاعراب المرندين الذين به رءاه حصنا منيعا فبعث اليه
الوزير يطلب منه عدة مدافع اخرى وزيادة عسكر فبعث له الف ينشوي
وبعث معهم علي باشا ساحدار الباب العالي وثمانية مدافع وستة زرايز
والحقهم بالقبطان قليج علي باشا . فسلما وصلوا اليه اجتمع امرهم ان
يدوروا بالبرج من كل جهاته وكانت الكفرة وتن معهم من المرندين
كثيرين ما بين فارس وراجل وجاءت لنصرتهم طوائف من العربان
وخرجوا من قلعتهم مرارا ودعموا المسلمين واقتتلوا مرارا ومات من الفريقين
خلق كثير . فريق في الجنة وفريق في السعير . واشدد الامر على المسلمين
والمدد متصل باعداء الدين . وبلغ الخبر الى الوزير سنان . فجاء رحمه
الله بنفسه الى اصلاح هذا الشأن . هذا والحرب متصل بين اهل خلق
الوادي وبين رجال من العسكر العثماني قرويي الهم غلاظ شداد . ولما
نظر الوزير الى حصانة القلعة التي هي المستي من اشر برايم السعيد على
ما اقتضاه نظره السديد بالتدبير . وامر بتوزيع طوائف العسكر من

كل جهاتهم . وعين لكل موضع من يلهم به من رجاله وكماله . وأشار على
القبطان والعسكر بكيته بمراجعة من الصواب . وهون على الجميع حسن العاقبة
ورعدهم بنصر الله واحسن اليهم بالخطاب . فاستدبت نفوسهم بكلامه ورويته .
واعتسوا بزيه ومشورته . وعد من يومه الى محل اوثاقه من حلق الوادي وقصد
لاهم فالاهم وان كان كل موضع حصل فيه فصل الجهد . ويداني تمام الخبر في
محل ان شاء الله تعالى . وما استطردت الى هنا إلا لارتباط الحديث لان اول
الحرب وقع في هذا المقام عدة ايام . ولما تيسر ابتداء الفتح فخلق الوادي كان
في البسيتين التمام . ولنرجع الى خبر حلق الوادي ومآثره . ونسوق الكلام
ان شاء الله من اوله الى اخره . تقدم ان العشرة المنصورة بلغت الى مستقرها
من حلق الوادي يوم اربعة وعشرين في ربيع الاول ونزلوا للبر على بعد من رحمة
المدافع ونصبوا اوتاقاتهم . وارتجت الارض باصوات مدافعهم . ورنس مكاحلهم
ونزلوا المدافع الكبار التي انوا بها لهذا القصد . ورموا بها من ابعد . الى ان علا
الدخان وصار النهار يحاكي الليل . وبرز الامر من الوزير ان يتقدم العسكر
على عادته . وان ياخذ كل انسان اهنته لما يعلم من صنته . فبنهم متفرس
متفرس بالحرب والجلاد . ومنهم من عادته نقل الشراب والرمل وقلع الاصلاذ .
وصدروا يتقدمون قليلا قليلا ويسوقون التراب ويستنزون به ويحفرون
خنادق في الارض وينزلونها . ويجعلون متاريس ويستترونها خلفها . وهذا
داب العسكر العثماني في كل مكان . ولم يزالوا على هذا لاسلوب الى ان
احطوا بالبرج من كل جهاته ورموه بالمدافع والمجنقات والبندقيات
ورموا عليهم اصنافا من آلات الحرب . وكان هذا الحصن لم ير مثله في
الشرق ولا في الغرب . وكان للنصري به اهتمام وحصونه بما قدروا عليه
من المبتدأ الى التمام . واداروا به خندقا واجبروا الماء فيه . والماء من
البحر الى البحيرة والسفن تجري فيه . وهو ممتنع من كل جهاته . واسواره
مشيدة مشحونة بكماله . وقد حكمت منذ زمان وقفت على رسالة بعضها
بعض من شاهد الواقعة لبعض الروساء بالدمر العثمانية واخسر فيها

بها شاعد من شدة الحرب ومنعة الحصار وكثرة رجاله وذخائره وسعته وطوله بما يعجز عنه الوصف ومن شاعده بقيته عاثارة حاكم بصحة من ومنى ولكن طال عني وبعد زمانها ولم يحضرني إلا القليل من أخبارها ما ذكرها في أوانها * ومسن جلت ما قال فيه أن سعة السرور يسير عليه سبعة من الخيالة من غير ازدحام . وأن البناء الذي به ما ساه طائر عقل ولا عنه حام . وعدد الدور التي حوله لسكنى المهاجرين أزيد من مائتي دار والبحر من جميع جهاته . والخندق به دائر ودور المهاجرين من ناحية المغرب وعائنها باقية . وكل م ادموة من النساء أهدمه الله على أيدي المسلمين وحدث صنائع المشركين فهل يرى لهم من باقية . وكان عمق الخندق ستين ذراعاً وقعره متصل بالبحر وفي حفرة قبته دنيعة أعدوه للتحصن فيها وثابوا تحت الأرض نفياً طويلاً يتصلون منه إلى تلك القبعة . وكانت قريبة من ناحية الوزير فيطس بمن كان فيها فصار الوزير اليهم برجالهم وقاتلهم قتالاً شديداً وملك القبعة وقتل من كان بها . وأعجزهم أمر الخندق فما وجدوا له حيلة إلا أن يملأ بالتراب فبعث الوزير بأمره السعيد إلى العسكر أن يحتمدوا في نقله فامتلأوا إلى أن نقلوه في ثيابهم * والرسالة التي تقدم ذكرها يقول فيها ومم رمي به في الخندق من الصوف مقدارة بلعدد سبعون ألف شليف . والشليف عبارة عن حل الجمل ووضع في كل شليف قنطاراً من الرصاص لينقل به ويغوص في الماء * قسست الله أكبر هكذا تكون هم الملوك فإذا كان من الصوف والرصاص هذا المقدار وهذا العدد ولو تملت قيمته لكانت مئتين من كالألوف فكيف غير ذلك من الأجناف والآلات الحرب وبارود ومصروف من الأموال على الرجال هكذا تكون والله ملوك الزمن . ولولا أن السلطان سليم رحمه الله من البشر الذين بعد النبوذة قلنا أنه سليمان ولكن هو ابن سليمان . وأخبرت من أهل تونس أن الصوف الذي القوة في الخندق جيء به من نحم دريد كثيرة من شجرة اقلية * وأظن أن الله من عبد الصمد من جسر الخطرة

كما أن جده أحمد بن نويرة الحمودي حضوره هو وجلسه من العرب الذين
 بارض طرابلس جاءوا عسكرة المحلة التي بها مصطفى باشا * ولما القوا
 في الخندق الصوف القوا من فوقه الحطب والشراب والاختشاب وأهتتم
 العسكر بنقل التراب كل لا هتتم واحدوا بنسهم غيرة الاقدام لى ان ملاوة
 من اوله لى ءاحرة وصارت فوقه ككيان كالجمال ، وجلس الرجال من
 التراب ما لا تحمله الجمل ، وكانت لتلك العساكر نية صالحة ، بعوا انفسهم
 واشتروا الجنة فكانت لجنونهم رابحة ، وسسمعت من قتل عن شاهد
 تلك المواطن انه سر برجل من العسكر وهو حامل على ظهره جلا من
 الحطب لكي يلقيه في الخندق وبه عدة جراحت وهو على ءاخر رمق قال
 قاربت ان اخسف عنده فامى ولم يزل ساقوا به لى ان القاه في محله ،
 ومث لوقت بحضور اجله . رحمه الله وفامله بنيت عن عمله * ولما امتلا
 الخندق بالتراب بنوا المتريس فوقه وصدر المكان اصلا من حيطان الحصار
 وانفق هذا الواقع لاربعم عشرة ليلة حلت من ربيع الثاني من السنة
 المذكورة هذا والحرب ناره متند في كل الجهات ، وأفرع الله الصبر على
 عصابة المجاهدين والحزبي على الطغاة ، ونصب الوزير مدافعه فوق الحصار
 ورمى من كان به من الكفرة من افواهاها بالثار ، فلقنهم النار الى النار ،
 ووصل في اثناء ذلك رمضان باشا التواي على مدينة الجزائر في التاريخ ومعه
 ثلاثة ءلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير سنار باشا وطلب منه خدمة
 يوديه فارسله ومن معه الى اعانة الذين بتونس ، فتوجه اليها وحظ عليها
 مع من هنالك من العساكر والسيوف ، والامراء والغزاة ، واستمر الوزير في
 تحريض المسلمين على الاقدام الى البرج الذي بحلق الوادي وتشديد الحرب
 عليهم من كل جهاته لى ان وهنت نفوس اهل العناد ، ومن قدر الله
 سبحانه ان محمد عرب كان بعسكر من ناحية رادس فعزم اهل الحصار
 ان يدهموا لى على حين غفلة وسكون وصمت على المسلمين فخرجوا عليه
 عند الفجر فوجدوه متقظا على امة فوقهم وانفروا بين يديه فتبعهم

يقتل فيهم لئلا يدخلهم إلى حصنهم ، ووافق الحال أن الوزير حين من
العسكر من يقدم نفسه إلى البرج ويبيع نفسه في مرمى الله وجعل
لهم مطايا سنية لأول فلول من ألف دينار وأقل وعين لذلك من جميع
الجناس ، ووافق دخول المنهزمين من ناحية رادس وهم داهلون ولم
يستطع أحد إطلاق الباب والمسلمون على أهبة فحملوا جثة رجل واحد من
كل الجهات وأعلنوا بكلمة التوحيد وارتفعت الأصوات فتزلزلت الجبال
بحملتهم ، ودخلوا القلعة والقصر المشيد بنيتهم ، وأخذوه عنوة بالسيف ،
وقتلوا من فيه من المقاتلين بغير تشبيه ولا تكليف ، وكان هذا الفتح
القريب والنصر الغريب ، الذي مر به البعيد والقريب ، لست مضرب
من جدي الأولى سنة إحدى وثمانين وتسعمائة والله الحمد والمنة * وعلموا
ما كان فيه من الدخائر التي لم يوجد مثلها في مكان ومن العدد والسلاح
وعالات الحرب ما لا يوصف ، وأخبر الوزير أن الذهب الذي انتهبه
العساكر ليس له حصو فسامو الوزير بتفتيش الأخبية والرجال فوجدوا
شيئا كثيرا ، وأخبرني بعض الناس قل أخبرني جدي وكان ممن حضر
الفتح وأصابته جراحات يوم الدخول للحصار قل بينما أنا راقد إذا بعض
أصدقائي وضع تحت فراشي من الدنانير التي انتهبت قبل دخولوا إلى الحب
الذي أنا فيه ووجدوني في حالة المرض انصرفوا عني وسلم ما كان تحت
الفراش وكان أزيد من ثلثة آلاف دينار ، وأسر فبطن النصارى صاحب
البرج والحاكم عليه ، ومر السيف على من وجدوه من النصارى المهجسين
والمرتدين من ساكني البرج وما يليه ، وشاع في الخافقين خبر هذا الفتح
البيش ، وقضي الأمر وقيل بعدا للقوم الظالمين * وكان هذا الحصر من
أعظم ما شيد بئانه فوق الأرض ، فاتساء جيش السلطان سليم وقال أمراء
السعيد نريد أن ينقض ، وكذا وقع الهدم على ذلك البناء العالي إلى أن صار
هبا ، وحط من أعلاه إلى أسفله وتفرق من كان فيه بيدي سبا ، ورأى
الوزير أن إبقاءه على حاله الأولى لم يأس عليه من الكاد * وكان

انتهائه بالفعل الماحي فوق عليه كلامه بجزم الفتح فخصني أن لا يتم له الرفع فيما هو ذات ، ولم يبق من اثرة إلا ما هو معلوم عندنا اليوم ، وهو المكان الذي كان مسكنا لقبطانهم وباقية مسكن اليوم * ومن عجيب الاتفاق انه رسمت معاليه في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ومكثوا في تحصينه مدة ثلث واربعين سنة لم يسطر لهم يوم بلا تحصين * واما اراد الله سبحانه وتعالى نزعهم من ايديهم احذ في ثلثة واربعين يوما عدد م ملكوة من السنين ، فكان كل يوم من ايام الفتح يقبل مما ملكوة بسنة ، وان كان طغيانهم تزايد في تلك المدة وانتهوا لاختد البلاد فانه كان سنة ، والله تعالى يديم عز هذه السلطنة العثمانية ليدوم بها عز المسلمين ، ويجعل سيفها قاطعا بحده في الحدد وفي رقاب المشركين والمنافقين ، وارسل الوزير البشائر الى الباب العالي ، وكتب بما يسر الملك والامراء والموالي ، ولولا قدارك الله هذه البلاد بنصرة هذا الملك العظيم ، لكان الكفر استحوذ على اكصرها حتى لا يكون بها سليم * وقيل ان ملك النمصارى لما سمع بهجوع العسكر العثماني اطعمته نفسه ان يمد اهل الحصار بعدد من عده ، ويرسل عمارة منسحونة بذخيرته وجنده ، وطن ان باب الاستدراك واسع ، ولم يعلم بان الحرق اتسع على الراقع ، فبعث رجالا من حكمائه يتطلعون احوال القوم ، فذهبوا ورجعوا في زمن قريب كانه يوم او بعض يوم ، فسلمهم عما شاهدوا من احوال العسكر وابصروه ، فلم يكتموه بثصيحهم واخبروه ، وقالوا راينا ما اذهلنا ، وحير افكارنا وشعلنا ، وذلك اننا وجدنا كل صاحب صناعة مستغلا يشغله ، وكل من فيه في مكان للجهد ملأه لفرسه ونخله ، واتقوم بين طاح وجزار واسواق ملثانة بالباعة من كل صنف والمشتري بين دلال ومسمار ، وحداد ونجار وبيطار ، واكثرهم مشغول بجمع الدرهم والدينار ، ومنهم من يتداول الحرب ويعتمد عليه ، ومنهم من همته شان نفسه ولا يلتفت اليه ، وليس لاحد علم بم صنع الاخر ، وعسكر المتانلة ليس له اول من آخر ، ولو نبعت اليهم جميع النصرانية ، لم يثن صل

شيئا ولم يبق منهم بقية . فبطل عزمه وزعمه . وقام ان اليهم دهمهم واهمهم .
 فاستوحش لما اخذله الله بعد النانس . وانهب الله رجسه الذي كان
 بنونس * ولمسا اثم سنان بنشا ما فتح الله عليه بحلق الواد . ثنى عزمه
 المبارك الى البلد التي لم يحلق مثلها في البلاد . فرجع بعسكرة المصور الى
 تونس واجتمع بالعزاة المحاصرين قلعة البستيون وهم في اشد التسل ففوج
 البكر بكية والامراء بقدومهم واشدد ازهم به واطمانوا وتقدم معهم وجاءوا
 على من بالقلعة حلة الاسود الصارية . وتعلقوا بطراف الحصار من كل
 ناحية . وجمعت السبوف والمدافع بين الغريقين . ومات خلق كثير من
 المسلمين . وثواط المسلمين على الاقدام الى ان دخلوا عليهم باسيف وقتلوا
 منهم زهاء ثلثة آلاف . ورعى بانفسهم من اطلاق الحصار الى استسلم زهاء
 خمسة آلاف وبعثوا رمية سهم ثم ارادوا ان يتنصروا بالثراب لان العسكر كان
 مشغولا بالنهب فتداركهم الوزير قبل ان يستحكم امرهم فتقاتلوا قتالا شديدا .
 وعلم اهل الكفر ان لا مانع لهم من الموت لذا الموت فاقدم كل على صاحبه
 وتصارفوا بالخناجر وماتت بعضهم بعضا الى ان بدد الله شملهم وقتلوا عن
 اخرهم الا من نجا منهم الى شكلي ولم ينح من قصاء الله . وملككت
 المسلمين البستيون واخذوا ما كان فيه من امتعة واسباب ولبوسات وءالات
 حرب ومدافع وبارود كبير وبشمط اعدوة لحصارهم واخشاب والواح استعدوها
 لانقاذ حالهم * وكن البستيون اقوى ضررا على اهل تونس من غيرهم
 لانهم ارادوا ان يبنوا فيه حصارا ومدينة وقد ابتدأوها وفصلوا شوارعها
 واسواقها وكادت ان تستكمل لولا لطف الله باهل تونس ولو تلحق العسكر
 العثماني قليلا لكان لهم ما ارادوه ولكن قدر الله اشجلهم عن اتمام البناء
 وانقائهم . ولو تكمل بنيانهم لكان اصعب من غيره ولو لم يهزم السلطان
 سليم بهذا الفتح لاستصلوا افرقية بالجملة ويتفرعون من تونس الى طرابلس
 ولم يكن لهم مدافع هذا مع شدة نفاق العربان الذين باخريفة لانهم ار
 اكنهم لا يراعون الا ولا دمة والكبر اقرب اليهم من الايمان فجزى الله

خير هذا السلطان علينا وعلى جميع المسلمين . وجعل السلطنة والنصر في يده
الى يوم الدين . ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر
مأمن بالأسلحة والاعمال وربها اهل البستيون كانوا يفسون الناس عن اديانهم
ومسمى غير ذلك ، وكان احده بعد حلق الرازي بسبعة ايام وقيل خمسة عشر
يوم وقيل غير ذلك والله اعلم . واسروا قبطه ناراد ان يفتدي نفسه بالمال
فصرخوا عقر لانهم وجدوه سبي في رودس وايضا في جزيرة . اخذها درغوث
بشاه وهذه السلطنة في البستيون قد راح الله منذ الاسلام . ثم ان الطائفة المعروفة
لما سمعت بشكلي طلبت امدد من الوزير فامتهم : وقد روى في ذلك
مصلحة فجهاد اليه ردة مائتي منهم واخبروه : امور مهمة من ان ندعم مائتين
وخمسة من رجالهم اهل صناعات غريبة منها عمل الطوب الذي يعجز عنه
وقريب الحديد والنحاس وعمل المدافع الكبر وغير ذلك من الصناعات
واعطاهم الامان واحذ اولئك المعلمين وشرط عليهم شرب المدافع وسبب النحاس
وتكون في ارجلهم الفيلود ويكفل بعضهم بعضا بوضو بذلك واعطاهم على هذا
اشراط الامن وكساهم وجعل لهم العلوقة واستخدمهم للباب العالي ومن
ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار . وكان هذا التسريح لآخر
البارك يوم الخميس الخامس بئس من جندي كاولي سنة احدى وثمانين
وسعمائة وقيل في السلاخ الثالث عشرة آلاف مقاتل . ومن المسلمين ذلك القدر
خمسة ائمة لهم بالسيدة . وراهم دار الرضى لما حتم لهم بالحسنى وزيادة . ومن
من ائمة العساكر المصورة امراء اعلام . فمن مشاهيرهم صفو بك صاحب
الاسكدرية . وبيريد بك صاحب نرجونة . واجد بك صاحب اولونته .
ومصطفى بك صاحب اسيس . ومن امراء الاكراد خضر بك وفرهاد زعيم
البشرية وراس زمرة البهسين . وكثير من الزعماء واهل السموات وغيرهم عدد
كثير . واحذ الوزير من الاماكن الثلاثة مائتي مدفع وخمسة مدافع كبار غير
الصغار ووزراء ونسك لحفظ ثونس خمسة وثلاثين مدفعاً وارسل للباب العالي
مئة وسبعين مدفعاً من الكبار العظيمة للخدمة هناك . وارسل بصورة التسريح الى

ألابواب الشريفة خلد الله سلطنتها . وانفذ في الخافقين كلمتها . ورفع درجتها
 آمين . ولا يطن الوافئ على هذا المجموع اذا سمع لفظة حصار خلق
 الوادي انه كجملة الحصارات الموجودة كلاً بل هذا اعظم حصارات المغرب .
 وناعيت ان النصارى نكثوا في بنيانهم واتقانه طول المدة التي ذكرناها .
 وهدموا لاجل ذلك الحناية التي يعجز العالم عن دهرها فاعسى مبناها . واخذوا
 حجارتها المخرقة من جهد ابن السمود . وافروغا عليها من آلات البناء حتى
 قيل انها من صنع داود . وانما اطلق لفظ حصار على هذا المكان بجازا . وانما
 هو مدينة على الحقيقة والبحر بينه وبين من يصل اليه حجازا . وشكل هذه
 المدينة مربع . واربع حصارات في تراكنها الاربع . والبحر من قبلها
 والبحيرة من ناحية الجنوب ويتلي البحر والبحيرة من ناحية العرب ولهم من
 مجمع البحرين قبة وهي المعبر عنها بالبرجعة في يومنا هذا . وادخلوا خارجها
 من البحر اخذاً من القبلة الى الجنوب اخذاً في طريق الناحية الشرقية .
 وخارجها آخر دارا من الجهة الغربية ويدوران بالمدينة دور السوار بالمعتم
 وقدخل ثلاثتهم من البحر الى الخليج لاخذ من ناحية الغرب وتكون
 مرسى عند باب مدينتهم . والباب تحت الحصار الذي على ربع المدينة ما
 بين المشرق والجنوب والخليج المر من شرقها فيه مرسى العلائط الكبار .
 وغربي المدينة على صورة الرقص الدور التي كانت سكنى المهاجرين وسكن
 سواهم من الكثرة اريد من منتي دار ولهم حاجر بينهم وبين من يصل اليهم
 مثل الصور . وبناء المدينة بوجهين داخل وخارج كل وجه حجارته من
 اعظم شيء يكون وما بين الوجهين حجر دفيق مفرغ عليه الجير والرمل كافراغ
 الرصاص بحيث لا تعمل فيه المعاويل ولا الفيسقان بل ولا البارود الذي هو
 بلا ريد . ويشهد لما قلناه ان في اماكن من هذه القلعة عدة مواضع كانوا
 جدارا فيها العدا ما علم تفن مشيما . وعانار هذه الاعلام باقية . وعانار المحيطين
 على حالها راقية . وفي وسط الحصار كنيسهم باقية وانارها ايضا ولهم عدة
 مواجل لاجتماع الماء الذي ينزل من الطر وهي مثل الدواميس مشهور عليهم

من اعظم ما يكون وهي باقية إلى اليوم . وبكل ربع من الارباع منها حصار
مستقل بنفسه مبني على اقيسة يحير العقل في وصفها وصورة الاعلى كالاسفل
في الاتقان . وهذا قليل من كثير . واما شاهدته من بعد التدبير . ولم يبق
منها إلا الربع الذي بين القبة والمغرب وهو الحصار الموجود في زماننا هذا
ومفتح الباب الآن إلى ناحية المغرب . وهو باق على حاله الاولي ولم يتغير
منه إلا شيء يسير . ولما نزلت بساحتهم العمارة العثمانية صباحا وانذروا
بأخذ ما حكمه « فسد صباح المذيرين » . ولما اخذهم الله اصبحوا لا ترى
إلا مساكنهم كذلك نجزى النعم الظالمين . ونزل العمارة من ناحية المشرق
وامتدت إلى ناحية المغرب ومن هاتك وقع الودم الذي القوه في الخندق
كما ذكرنا سابقا وجعل فرقه المتحاربين إلى ان صارت مدافع المسلمين
اعلى من فوق رؤوس اهل الشقاق . والوضع الذي اخذ منه التراب والنفثه
في التماس انحصار فيه الماء واخراط بماء البعبعة حتى صار كانه منه يسمونه
الغديرة الكحل لكثرة ماؤها وعيقها . وصار السمك فيها كبير . والمكان الذي
كان مينا المراكب من كل الجهات صار ملاحة يسعى الملح منه المطافقة
المرتبون لأن لحظ الحصار . وعائر تلك المصانع مشهورة واحا وقع الودم
على الدور التي كانت من خارج المدينة وعلى الاماكن المرتفعة منها . واما
الجدران فهي إلى الآن يشهد لها من فطر اليها بانها كانت خيبة لا تترك
وانها كانت حصينة طيعت من ملك او يملك وطولها ... نقص ...
واما المكان الذي يعرف بـ « يستيون فمعروف لكن ليس فيه اثر بس » إلا
ما وجد فيه في حدود الخمسين بعد كلاله في أيام حاكم تونس وهو مرادني
في امر بنقل الاربل الذي اجتمعته هناك واليوم اهل المدينة ان يشعلوها ويضعوها
في المكان المختص ما كان في المرتفع فوجدوا من حكور المدافع شيئا مستكثرا
يستدل به على ما وقع هناك من شدة الحرب ونجيك بمكان اجتمعت على
احده اربعة محال واربعة باشوات حيدر باش . ومصطفى باشا صاحب طرابلس
واحد باشا صاحب الجزائر وكان متصلا عنها في التاريخ ورمضان باشا كان

ممثلها عليهما . والمدد الذي امدهم الوزير به وهو ابراهيم بك من صندوق مصر
ومحمود بك صبيحتي قبرس وبكاكير بك صبيحتي قره حصار كل هؤلاء ما منهم الا
ومعه عسكر الفاقر من عسكر السلطان والى رجل من الطائفة لخدمة المدافع
والى ينشري وهى عاشره ساحدار الباب العالي وجامعته والطائفة الكبرى
وقلج علي قبطان البحر حضور مع هؤلاء المذكورين وعدة مدافع وزرايز امدع
الوزير بها ومشاهدة الوزير لهم المرة بعد المرة . وبعد هذا لم يحتسبوا عليه الا
بعد فراغهم من حلق الرادي . وان سكان هذا الخبر قد سبق ذكره ايلا
افى اذنتهم هالزبدة التعريف بها وقع من البلاد في وقعت البسنيون واثلا
يظن الظان ان هذا المكان ليس بشي . واما جريرة سكي ادرىك به ازار
البناء وقد سبى التعريف بها في اول الكيب . ومدة الاماكن المذكورة
اصحزت سلاطين بني ابي حفص ولم تمكن لهم قوة عن حسم هذه الطائفة
وامل تونس معهم في جهد جهيد . ونار حرب كانوا قيل لها هل امتلت
فتقول هل من مزيد . الى ان سن الله تعالى على هذه المملكة بمن نظر حالها .
وفك بعد ما استولت عليها ايدي الكثرة عقلاها . وهو سلطان البرين والبحرين .
وخادم الحرمين الشريفين . ودمع الطاعة والمفسدين . السلطان ابن نسل
سلطان السلطان سليم بن سليمان . خلد الله سلطنته . وابدها في ذريته .
وجازاه في دار الكرامة بما فتح بسيفه وحسن نيته . ورحم الله ورراة الذين احلوا
له بالطاعة . ولم يشق احد منهم العص ولا خرج من الجماعة . خصوصه
سن كان هذا الفتح على يديه . الوزير الاعظم سنان بسا عناه الله بما جرت
من الصلحات على يديه . ولما نم لم هذا الفتح . الذي حصل له به الرشح
والنجاح . بحث بالخبر الى الابواب العلية . وبهر بان الكافورين ليس لهم
باقية . وانعم على سن كان في ركابه من الرعاء والاكابر . وبذل احسانه
لمن كان معه من العساكر . وانعم على كل صاحب مرتبة بما يستحقه . ومضى
ذلك على الباب العالي فبلغ لكل احد حظه . ومهد البلاد وامن العباد .
وقمع وخافه اهل الفساد . وتزلت في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار

الينشيرية وهي الواحدة بعد المائة على ما هو المتعارف بينهم . والتجاري على عادة اللواتين العثمانية وتن سلك طريقهم . ورجع إلى تلك الديار . وخلف من ذكره ما سارت به الركبان وطرت به الاخبار . واحض قبطان البصاري وقيدة وحمله في مركبه وحمل السلطان محمد ءاخر بني ابي حصن وهو ءاخر العهد وبه انطلقت دريئة بني ابي حصن من هذه الديار . ولم يبق من نسبهم الا اولاد وعجائز ونسب وابتكار . وانشد لسنن الحال *
 كان لم يكن بين المحزون الى العشا انيس ولم يسمر بمسكنه صامر
 ولما تفكر قدم العسكر العثماني في تونس كما ذكرنا ورئب الوزير سنن باشا قوانين صرت من بعده ذبلة الرسم . واطهر ناموس الملك وقدر فيها المرتب المعلوم . رجع إلى دار سلطانه بالديار الرومية . وخلف هذا العسكر المعمر منه بالينشيرية . فصبوا ملك تونس ودعيت قواءهم . واستمرت يد يديهم خلتا عن سلف والربال مساعدهم . واصحابهم تسد من بنين قاعها . وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها . وهي المعبر عنها بدار الباشا . وكذلك الدواوين كان ترسم منها وجعلوا قوانين يتميزون بها . وحدثوا في اول امرهم في الاحكام حذود ديوان الجزائر . وانصرف في احكام البلد بأس الوقت ونظر العسكر الى آلامهم . ودرت الدواوين وخرجت الولايات والجهات . ونشرت في كل اقليم الافريقي باسم اساطمة العثمانية الترات . وتوزم الخطباء على المنابر باسم السلطان العثماني وحرب اسمهم على الدرم والديار . واضيفت إلى مملكتهم الشريفة هذا الدير . واستمرت عليها الولاة العثمانية . وجاءت من المظنطيرية رعية الروم وحسبكت فيهما التوبة . وجعلوا اصطلاحا على عادة اهل الجزائر الخدم في الديوان والعسكر جهات اسم الياوكمانية . ولكن ساروا في احكامهم بعفة على من دونهم في العسكر ووقع مهم الجور حتى ان الواحد من الشوكانية اذا كان عدة صبيان وهم المعبر عنهم بالعرصة تكون له حرمة وافرة وربها مد يده في الياوفاش وما سوى من دونهم فسيقت نفوس العسكر واضمروا لهم الشر وعقدوا بينهم على

الفلك بهم في يوم معلوم وهو يوم الجمعة وكان وكيل المخرج في الديوان واحد منهم اسمه طبال رجب وله عقب الى اليوم فساعدتهم على ما ارادوه ووعدهم انه لا يحضر ذلك اليوم لتكون البيت التي فيها السلاح مغلقة بحيث لا يجدون سلاحا يذبحون به من انفسهم . فلما كان اليوم الذي نواءدوا فيه واجتمع اهل الديوان دخل عليهم العسكر على حين ثقلته ووضعا السيوف في سن وجذوة هالك ولم يمنع الا سن لم يحضر ذلك اليوم وتبعوهم في منازلهم وقتلوا منهم من ظفروا به ولم ينبج الا سن قر بنفسه وكانت هذه الواقعة في اخر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وتسعمائة وكانت اسيرة الشيخ الشهاب قد تقدمت بما صار لهم لانهم كانوا طالبة بمل يستعينوا به على مرتباتهم لان الشيخ كان ينفق انفاقا من لا يخشى الفقر من كثرة احسانه للفقراء واهياء الزوايا التي في المدينة والخارجة عنها واطعام الطعام وفك الاسارى واعدل ابر حتى قيل انه كان يصرف في انفاقه من كون الله فسولت لهم انفسهم بمطالبتهم فطالبوه وارادوا اكراهه فبعث جماعة من الفقراء الى المجازر التي بتونس وامرهم بشري رعي الكباش فاجتمع له منها شيء كثير وفي اثناء ذلك حل بهم ما حل فكانوا يرون هذه الواقعة من كرامات الشيخ تفجع الله به ءامين * واستجابا فعلا فعلتهم تحزبوا احزابا وصار كل حزب منهم له رئيس فاجتمعت عدة رؤساء وصار كل رئيس يدعوا باسم الداي وهذه اللفظة معناها خال باللسان العربي وهي منهم تكبرة بمن ينادى بها وصارت جماعتهم تقرب من ثلاثمائة رجل * واذا حل بهم امر تجمعوا في القسبة وتشاوروا فيهم الى ان يتفقوا على رأي واحد ولكن لا يتم لهم رأي من كثرة دايانهم * وكان اكبرهم اذ ذاك ابراهيم داي اشتهر بينهم اشجاعتهم وكثرة جماعتهم الا انه لم ينفرد بينهم بالحكم فمكث على حاله ثلث سنين وطاب منهم دستور اربارة الحرمين فاذنوا له وفارقهم ولم يعد اليهم وماد الى بلاد الروم فاستوطنها وعاش الى بعد الستين والالف * ونسبا خرج من ديس اظهرهم قلم مقدم موسى داي واراد ان ينفرد بكلمته في الحكم فلم يتم له مراده فلما رأى الاضطراب في العسكر

والهجر بينهم ذلت نفسهم فمكث نحو سنة وطلب منهم المسير إلى الحج
كما طلب إبراهيم داي فأذنبوا له ، فلما خرج من بين أظهرهم بعثوا له أن لا
يعود إليهم فما رجع بعد ذلك . ثم تبايعت فيهم الرساء وصار كل واحد منهم
يريد الاستقلال فقدم من بينهم أنسان أحدهم قرة صفر والآخر عثمان وكان
عثمان أهل من في الدايوت جعاً وذكراً إلا أن الوقت ساءده والندر موافق
له فرفع بينه وبين صفر داي مشاجرة فذهب كل واحد منهما إلى منزله
ولبس لامة حربيه وأقبل إلى القصبة . فسبق إليها عثمان فدخلها وجلس
في سقيتها واجتمع إليه بعض جاشه فلما رأى صفر داي مقبلاً إلى القصبة
بعث له من رده وأمره بالخروج من البلاد فخرج على وجهه ولم يستطع
بينهما عنزان فخرج صفر داي وسافر إلى ناحية الجزائر ولم يزل هناك إلى
أيام يوسف داي فأعادته إلى البلاد ولم يكن له اسم بعد وعاش إلى قريب
من الخمسين وألف ومات بتونس بعد أن تزوج بها وكان له ولد واحد وادركت
صغرا هذا ورأيت . وأم عثمان قدما لما نفي صغرا حابه من سواه وأخذ في
نسبته إكابرهم وخافه أكنوهم فهربوا من بين يديه وسكن غلبهم في
أطراف البلاد خيفة منه . وهو أول داي انفرد بالكلية في سنة سبع والثم .
فباشر الولايات بجاش متين وصوله زائدة وكانت فيه شجاعة قوية بحيث
يباشركامور بقسمه . وربما سمع ببعض الجنات في العابة للفسدين من
الأنراك ينتهبون الغلة فيخرج بجاشه في طلبهم حتى يطفر بهم . وكان أهل
البياتين قبل ولايتهم إذا طابت غلاتهم طابوا من أهل الديوان من يحرسهم
من يجتري عليهم من العسكو لنهب غلاتهم فيعينون لكل مكان ساجيا
يحرسهم ويجعلون له جعل على ذلك . فأبطل عثمان عدتهم وصار يحرسهم
بعديته فحماه النلس وجعل تلك العادة يأخذها الساقجي من الباعة الذين
يلوجون في الأسواق فلسان على كل واحد . وانحسبت الأشرار من النعس
في الجنات والسائين . وقدم بالدولة أحسن قيام لا نرد كلمته . وإذا تكلم لا
يرجعه أحد . وإذا أراد أن يفتاوة مرارا فلم يتم لهم ذلك لأنه يأتي إليه من

يعلم فيمكن منهم ويقتلهم اشرقت فيهم . ولما لم له الامر نفى
 اهل جربة الغاطيين بتونس لانهم كانوا تحت حكم اهل طرابلس فاجلاهم
 من تونس . وكثرت في ايامه غارات البحر حتى كانت لا توصف وفي
 ايامه كبر صييت محمد باي بن حسين باشا وكان قبطان البحر بفلائطه وجر
 عدة غنائم مشهورة . وكان عثمان داي اذا جاءت غائمه طلع الى حلق
 الوادي ويبحث الغنيمة هناك فيقع للتجسس ربح قوي . وفي ايامه جاءه
 دال قبطان من بر النصاري وحضر ما بحلق الوادي من المراكب ومنعها
 من الخروج فخدمه عثمان داي الى ان عذره واسره وسجنه في القسبة
 وبها مات . وفي ايامه كان الشتاء لاظم وذلك في سنة ثمان عشرة واربع
 عشرة بعد الثلاث وهو مشهور بين اهل الحضرة بحيث اجتمعت ثلث مسائل
 التوباء والعلاء وتغيير المسكة في زمن واحد فكان اهل تونس يرون هذه
 الامور من اعظم شئ حل بهم بحيث بلغ فخير الحظرة ثلثين دينارا ، وادركها
 من كان يستعظم هذا الامر ولو ادرك ما راينده في عمره لاستصغر ذلك لانه
 شاعروا العلاء المفرط الذي لم يسمع بمثله في افريقية قط بحيث بلغ التثنية
 من الحظرة اضعاف ذلك وبيع الصاع من الحظرة بنصف ريال فيكون ثمن
 الثنية قريبا من المائة ريال وذلك في محاصرة القسبة والمدينة في الكائنة
 العظمى التي حرق فيها ابواب المدينة وسياتي لها ذكر بعد . واجتمعت
 مسائل شريفة . وفي ايام عثمان داي كثرت غارات البحر كما قد سألنا .
 النصاري كانوا في علة من الاستعداد لسحب المراكب الكبار . وانما كان
 يسافر الغداة في الشرايط وما ظهرت المراكب مثل الشيطيات والبطشات وغيرها
 من السفن الكبار الا في زمن عثمان داي . وكذلك في بلد الجزائر وتندى
 الجبل الى اليوم وسافر عثمان بنفسه المحلة مرتين محلة الجريد وهي التي احدث فيها
 بلد سداة وحلته الصبي . ومهد البلاد وجعل قوانين للرعايا يكون العدل بها
 ويسمونها قوانين عثمان داي وقد تغيرت لان تلك القوانين . وفي سنة سبع
 عشرة قتل عثمان داي محمد باي بن الباشا حسين لانه اراد الوثوب على عثمان

فقطر به . و كان اتفق مع جماعة مستبضة واطلع على امرهم ساقطى رجب
فماخر عثمان داي بذلك وقيل كذب عليهم وفي سبب قتله اختلاف
وانذر محمد بناي فتفرقت جماعته وهرب بنفسه الى ناحية افريقية فحانته
تلك العرب وقبضوا عليه وانوا به فسمع عثمان داي فبعث من قتلته قبل
ان يدخل تونس خيفة من العسنة * وكان عمر محمد بناي اذ ذلت تدني
وعشرين سنة وذكره طبق بلاد النصارى وفعل بهم القفرة ورزق سعادة
في البحر لم يسمع بمشاهد وكان نسبي وحده رحمه الله وعفي عنه * وفي هذه
العسنة والتي نليها جاءت كاندلس من بلاد النصارى بانيهم صاحب سبانية
وكانوا خلف كثيرا فوسع لهم عثمان داي في البلاد وقرق صعدهم على النهر
وان لهم ان يعمروا حيث شاءوا فاستروا الهندشير وبسرا فيهم واتسعوا في
البلاد فعمرت بهم واسوطوا في عدة امكن . ومن بلادهم المشهورة سليمان
وبلي ونيانوا وقرنمايد ونركي والمخددة ورمون وشيرة وقرش ارال وجزر
الباب والسوقية ونستور وهي من اعظم بلادهم واحصوها في العادة والنعمة وغير
ذلك بحيث تكون عدتها اريد من عشرين بهذا فصار لهم من عظيمته
وقرصوا الكروم والربوب والسائيس ووزنوا لطرفه دايكر ايط للمسفورين
وصاروا يعدون من اهل البلاد * ولست استقام لعثمان داي ما اراده
عاجله حاكمه واني عليه ما اتني على غيره ولحق بربه في سنة تسع عشرة
بعد كالف وانه كتب الى يوزا هذا * وقسمهم بلامر بعلنا يرسى داي
وهو اول داي استمد امره بالاف ب وكر امن داي رسحه في حينه ورزحه
ببشده وام يدخل به . وكان في مرصه من نلي بعدة فنان لهم * صاحب
الامر عجم داي . وكان فائبا في بلد بنجد لان فيه شهامة . وان اردتم
هذه انفسكم فقدموا يوسى لان فيه لنا . وكان قصده تولينه لانه صبرة
عليه مات عثمان بعثوا الى عجم رسولا واصبحوا منطرين في امرهم وتجمعوا
عند دار عثمان داي * فبينهم اهم كذلك اذ دخل علي نبت وكان من
اصحاب يوسف فلما راي جمعهم اقبل بجسارتهم وقل يد يوسف داي

وبارك له فلم يبق من الجماعة احد الا وفعل مثله فبايعهم كبار العسكريين
وطاهوا به الى النجسة واجلسوه على عذبتهم وجاعة الناس وبديعة على طبقاتهم
وقد كان الامر . ومن غدا اقبل عبيد من بيوتهم فاجلواهم فقام فقام يسعد
الا المديعة فكان يوسف داي يكرمه فيما بعد . واخذ علي شيت في تدبير
الملكة وصرف نيت يوسف داي عن انزويج بابنة عدلان داي فتخلى عنها
ودار عليه بنزويج خطايا من جنات كالاتح كانه خافي من مصافحته لا يلاذ
صداق داي والزواني جدهم لم يندب هو بغير راحة فكان كذلك فاستتم امره
وصعد جده الى ان بلغ رتبة لم يسلها احد قبله وسيلتي له خبر . وفي
ايام يوسف داي تحسرت البلاد بكسرت عمارتها وكان مفرقا بتجديد الراكب
في البحر للفرار وبلغت عدتهم خمسة عشر رجلا من الكبار . وفي ايامهم
كثرت الروساء في البحر وكانت لراكبهم سمعة وديعة . ومن انظم ريس
عصرة قبيلان صمصوم وقبطان وزديت فكان نصرانيين فاسفرا في ايامهم
وحما الى دينهم واسلموا بعد وكان لهما صيت في البحر . وسعدته الايام
بما هم من النعم والها في البر فبنيت في ايامهم مدة امكن في المدينة
منها سوق التراك امر تحتسره على ما هو دايهم ايام وكان على غير هذه الحالة
فجاء من احسن الناس التي بنس وبنى الج مع المشهور به وجعل امره
من الطيبة المحيرة وحصل له اوتة من المودنين والقراء والخدمته فجاء من
احسن ما يكون داي باراد ودرسة نوبت به ايضا وفيه عدة بيوت
الفاطيين بها ودرس على مذهب كلام ابي حنيفة وجعل مربيا للفاطيين
بها والخدمة وارتقت طبهم اربعة من الحصر لكل من المودنين والامام والطائفة
وقد تخلص الحصر دلت . وفي البهجة التي تخرج القوة يسفح فيها كدر من
الناس يكاد ان ينفذ التي سوق البهجة وجعلت من احسن ما يكون
وحماها وغيا . وبنى السوق الذي به الخزانة ماري التجارم وهو من احبب
الاسوان وكذلك الحصر القريب من السوق المذكور وبنى عدة فنادق لسكنى
الطائفة اللوند . وكذلك السوق الذي يباع فيه الرقيق من السودان

وغيرهم ويقال له البركة وهي من أجل الأسواق * وكذلك فتح باب
البنات بعد ما كان ممدودا وبوبه وحمل فيه عدة حوائث فجاء من احتل
الأسواق وبني قريبا منه سوقا يباع فيه العزل وكانا قبل اليوم في غاية
العسرة وقد دلت على أمرهما ولم تنق إلا رسومهم وصيرت تلك الساحة بعد ما
كانت خرابا من مكان يعرف ترابته حرة لك باب البنات وكان المر
من ذلك في النهار يحث على نفسه فعمرت تلك الساحة وهي اليوم من
أجل حرات قرنس . ولم يمر ما ذكر من الثمرات التي بقيت بعدة فذكر .
ومن أكبر حسناته أن جانب الماء العذب على الحائض المنورة بدونه من مدحا
في المدينة في عدة أماكن منها الثبة المربعة التي تحت المربعة المربعة
لأنجام الأسطى ومنها في رأس سوق البرك وفي أماكن أخرى واتسع الناس
بها الماء وقد جعل في ردها دنانير من يجر في شوارعها وأصل
الحكام له ولا حول ولا قوة إلا بالله * ومن خيراته بركة الساحة العسرة
التي على راسي حرة من ناحية المدينة يحضر مرشد السطوري
اليوم من أعجب المنزهات التي لها ذكر بين الناس . وكان عليها برج في
حياته ثم زاد فيه من بعده مرآة أنقى تصويرا ثم زاد به وأخذ المرحوم
أحمد بن علي وضحه . ثم صار من بعده إلى حليته أبي الحسن علي بن أبي دراز
صنعت إلى أن صار يصوب به الليل وجاء بسعدته على أهل شكر وسر
لذلك زيادة عذاب . ومن في عدة أماكن من ذكر أبواب الترحيلات
الأمكن المعطشة وجلب اليوم الماء من أماكن بعدة . مع السطوريين
وصنعت له صدقات عديدة منها السطوريين في السطوريين
أشرف حصة ريميلات لكل متب حتى أن اكتسب ولو بطل في مدة
السنة يجي في هذه الليلة لاخذ ما هو معلوم أنباء الله على صنعه * ومن
زاد أيام دولته . وسلك في فعل المعروف طريقته . وكان يصدر من رايه
في قوته وقدرته . المرحوم بركة الله الخاج علي بن أبي رجب وجه الله في
حسنة من حسنات يوسف ذكي . وكان صاحب أعمال السطوريين

وله ذكر عند أهل تونس لا يحتاج إلى تعريف * ومن بعض حسنة
تسجيد المسجد الذي بآراء داره داخل باب الجزيرة وجعل له أوقاف وكذلك
تسجيد الحمام خارج الباب المذكور والمباني التي بسوق الترك وجاءت
من أجل ما يكون ويتفق به الغريب وجعل له أوقافا لمن يقوم به وكانت
في غاية الحسن إلا أن بعض حسنة استولى عليها وأمرها مصير إلى التلاشي
وله أخبار تحتاج إلى ديزان ومات رحمه الله في سنة إحدى وأربعين وألف
وهو من كان يعين يوسف ذي على فعل الأمر ولو تتبعنا حسنة يوسف ذي
الطائر بنا التسع لها * وفي أيامه في سنة اثنتين وعشرين وألف كانت محلة
الحرار الأولى وله يثع بينهما قتال * وفي أيامه كان التمدد الأعظم الذي يقول
له أهل تونس وماء سيني أبي القيث لانه فيه قوتي الشيخ رضي الله عنه
وشهد به وكان في سنة ثلثين وأحدى وثلثين وألف ومات فيه خلق كثير
وفي أيامه سنة أربع وثلاثين أخذت غرابان من غربة ماطلة وجي
بهما إلى تونس وزينت البلاد لأحدهما * وفي سنة سبع وثلاثين كانت
البراقة العظمى بين عسكر الحرار وعسكر تونس ومات فيها خلق كثير وكانت
في شهر رمضان من السنة المذكورة واستجلبهم الشيخ ثابت بن شريف
والجميع في البلاد ومما انتهى الحكم من كانت الدائرة في أول يوم على أهل
الحرار حتى طالبوا الناس ثم ان الأعراب خذت وكان أعظمهم أولاد سعيد
فانكسرت محلة تونس ونهبته وعانت الأعراب في الوطن ومشت جماعة
من مشيخة البلاد مثل الشيخ تاج العرفس العناني والشيخ إبراهيم النرياني
والشيخ مصطفى سيح لانس وغيرهم وتم الصلح بين الفريقين * وفي سنة
ثمان مائة كانت محلة الكدى التي م بنى شريف وكابد هذه الأهوال مراد
بني وكان صاحب دماء * ومميتها أحدثت التصدي غلاتين لأهل تونس
وفي سنة إحدى وأربعين توفي الحاج علي ثابت وفيها جاء منصب المشايخ
لمراد باي * وفي اثني عشر من أواخر سنة إحدى وأربعين من أولاد سعيد وركبوا على الخوازيق
في المركب وفيها ظهرت لجنة بتهمة محمد باي * وفي أيام يوسف ذي فتحت

الحمامة بعد نفق سبع سنين ولم يزل رحمه الله الى ان سار الى رحمة الله مشكور السعي ضد الناس وكان مغرما باصيده يخرج الى البادية ويقيم عندهم ايام ويصطادون معه ولم يكن له منازع في البلد ونبات عن سن دانية ليلة الجمعة الثالثة والعشرين من رجب القدر سنة سبع وأربعين وألف ودفن في مسجده المعروف به وبني عليه ولده تربته بديعة اشكل وهم الله تعالى هذا الروح الطيبة وجازاه بما هو اهل له * ومنها ~~صلى~~ اصط مراد بن عبد الله من الاعلاج ببيع صبيحة اليوم الذي مات فيه يوسف داي وانفق على تقديمه جامعة واكرمه مامي من اكبر عماليك يوسف وكان يرى نفسه انه احق بالامر من غيره الا انه خف من العسكر اتهم لا يقدمونه وراى انه يقدم اصط مراد فان رضوا به دبوا في خاعه واشيد هو بالامر . فعجله اصط مراد لما تم له الامر ونفذه الى زغوان وقتل هناك ولما لم له امره بأسر اسولائه بحش منس . واول ما امر به قطع الخمرات التي بين الكوفة وكامت كثيرة وابطل نوح البستيون وابطل بيع التمتع الذي كان يساع به وابطل ايضا بائنة السميد والدقيق ونظر في معيش المسلمين اصس طرقه وكان الرغيب الذي يساع بدصري زنه ستا وثلاثين وقتة وبيع المحم في زنه مناصري الرطل في فصل الشتاء وكان الناس في ارغد عيش وامر به بنس الا زبال التي خارج باب المحر وكانت كيمان كالجهال وخدم فيهم الربيعين والدينية قويا بينهم وكان يحضر منسبه وجماعته كل يوم . وفي اول سنة من ابداء جاءت علايط الجزاير الى تونس وسكان عددها مائة وستة مائة مائة مع علايط بنونس وهي ثمانية ايضا استعرا السلطان في حرب اولونه محصرتهم عدة السندقية في مكان استحبال الخروج منه فكان من رايهم انهم ثقلوا الى البر باجمعهم ومن معهم من اسارى الصارى واضرقتوا العلائط كلها ونوحوا برا الى قسطنطينية فنعم عليهم السلطان بعلايط من عدة ورجعوا الى بلادهم وكانت هذه الواقعة سنة ثمان وأربعين * وفيها جاء الخبر بان السلطان اخذ بغداد فزينت المدينة مبعثرة ايام وسكانت هذه الزينة من

أحسن ما شهده في تونس من الدعة والسنة . وقيل جاء الخبر بوفاة السلطان
مراد وتولية أخيه السلطان إبراهيم . وكانت أيام اصط مراد هذا من أحسن
الأيام . وقد انتفخت جافة على القيام عليه فخطن بهم وقتل منهم جمعا كثيرا
وفروا فر منهم . وكانت له صولة عظيمة وهبته وهو أول من جعل
القواد يلزمون ببه كل عشية بقصد الانصاف لمن يشتكي منهم ولم تكن
هذه العادة لمن تقدمه . وفي أيامه بني البرج الذي بنى الملح على يد
العلم موسى وأمر أن تبنى هناك مدينة واستقر الناس إلى السكنى فيها
وسلّهم دواهم للتعمير والاعانة فاستوطنوها جمع من الأندلس وغيرهم وهو السبب
فيه حتى صار من أجل المراسي التي يبلد لأسلام وكان قبل ذلك مكانا
للصاري فانحسم ضررهم وهذا بعض من حسناته . ويعد قنبر التميمي في أيامه
بأربعة دنائير نواصر ومطر الزيت بدينارين ومنع خروج التميمي لبر النصرى
ودخلت هيثم في قلوب العسكر والعامة من الناس حتى أن الذمي كان
لا يجار عليه ولا يظلم بشيء . وكانت كليلة لا تزد ولا يراجع أحد ولو
كان ولده . وهو أحد من رأس في البحر لأنه كان خدم فيه قبطاننا
ورزق فيه السعادة التي لم يرزقها أحد من قبل . وكانت أيامه في
البحر من أجل الأيام ولما نولى الحكم بتونس كانت أيامه من العدم
كذلك إلى أن توفي الله وقدم عليه بعمامه وكانت وفاته سنة خمس
والثمان رحمه الله تعالى . وقسم بالامر بعده أحمد خوجه ويقال
له أوزون خوجه باتفاق من العسكر ولم يختلف فيه أحد لأنه كان في
أول أمره وهو خوجه بالديوان يعادل الناس بالرفق واللين وخصوصا الأيتام
من أبناء العسكر يهش لهم ويتحن عليهم فمالت إليه القلوب وقدموه من
رضى منهم فيشر الولاية بجمهوريت ومهامته وكان جاتا للبل . وفي
أول ولايته جاءت أغربة ماطرة ودخلت إلى حلق الوادي وأخذت منه
عدة مراكب أحدها مركب يو شانية وحرّقا مراكب آخر وقلوا فعلا عظيما
ولم يمنعهم البرج الذي هناك فعند ذلك أمر ببناء برج آخر الحصانة الرسي

ويؤتى أيضا سكان الغلاء المفرط الذي لم يسمع بمثله وفعل قيمه سوا
 طيما المرحوم محمد باشا وأحمد شاي لانهما جعلتا صدقات من الارغفة
 للضعفاء تغري عليهم كل يوم ويقع نزاحم بين الناس في مكان التفريق وربما
 مات بعض من الارحام بمقرربة من زاوية الشيخ الجليزي وانقطعت
 كلاسار من الغم والشجير ولكن كانت مدة يسيرة ، ثم تدارك الله سبحانه
 هذه وتراجع الحال واثبت السن في عاية الخصب وارتحم الناس * وفي
 اول ثولته وقعت المحاسبة بين المرحوم محمد باشا وسليمان باي وظهر قبل
 سليمان مثل اخذ موصى محمد باشا فليطه والرنذالة والسانية التي براس
 الطائفة فوجب كل هذا لاجد خوجه وهذا يدل على سخاء الباشا المذكور .
 وفي سنة ثلث وخمسين كان الغناء الاعظم ودل سبع سنين * وفي سنة
 خمس وخمسين كان ابتداء العمارة لكديوة وجاءت الاوامر السلطانية لقصد
 العسكر والركب اعانة للسلطان فندب اجد خوجه الساس وجعل على اهل
 المدينة والريف امرالا لتجهيز المسافرين وبيع جمعا من الثروة للسفر ولكل
 واحد جعل من ذلك المال مقدارة ثمانون كرونة لكل رجل وبين جلته من
 الاسحى والتمسان والثقاف وبعثهم في التراكب وكذلك في السنة التي
 بعدت ثم قطعت بعد ذلك ، وفي ايامه ابتدا المرحوم محمد باشا بتزويل الزمول
 وتويت شركته على العربى ومضى فبهم الهوان ، ومات سليمان باي في
 ايدى واخرى الشا بديرو وطنه ولم يكن له منازع وحصلت بينه وبين اجد
 خوجه مشاحنة ادخل بعض المكربين بينهم فسيده الله من شره ولحكم فيه
 ومات على يديه في اشد احنة وسكان اسمه جيدة عاشر وانتم الله منه
 واستقامت احوال اجد خوجه وكان مطاع في عسكرة بحيث انه استنفر
 العسكر الى غار الملى لاجل واقعة يطول شرحها فلم تكن الا ساعة من النهار
 حتى خرج العسكر من اخره ولم يبق بالمدينة اجد وهذا من نفاذ امره .
 وكانت قريته من موته فلم يعش بعدها الا اياما يسيرة وبدا مرضه الذي
 مات فيه وكانت وفاته سنة سبع وخمسين والى * وتولى بعده الحاج محمد

لأز في صبيحة اليوم الذي مات فيه أجد خوجة وبويع في جمع من أكابر
العسكر في سقيفة أجد خوجة وطلعوا به إلى القصة وجلس على بابها وجددت
بيعتهم هنالك وكان مسكنهم داخل القصة فكان يجلس عند الباب لتعاطي
الاحكام في كل شية إلى أن انتقل إلى داره المجاورة لثوبه الشيخ ابن خريسان .
وفي أول ولايته كانت الوليمة الكبرى التي لم يسمع بمثلها في إقليم المغرب
وهي الوليمة التي صنعها المرحوم محمد باشا لولده المرحوم مراد باشا بالحرة
الجليلة ابنة يوسف داي رحم الله الجميع وأظهر في العروسية من أبهة الملك
ما لم يكن لغيره في الديار التونسية ومكث أربعين يوما في الاحتفال
لها وانفقت فيها أموال تجل عن الحصر وشاهد الناس ما اذعاهم منها لم يسمع
بمثلها ويتجلت الأيام كاسطمة ممددة بلا طعنة المتأخرة مما يكل منه
الوصف واكل منها أهل البلد قطبة ولم يرد أحد منهم وجاءت الناس من
أقطار الأرض والمغتربين من سائر البلاد ولم تخل ليلة من الليالي من الفرح
ويسرج من القناديل ما لا قدر له ويوقد من الشموع كل ليلة ما يشهد
للعقل أنه لا يكون إلا بديار الملوك الصخمة وكانت تلك الأيام تعد
من الأعصر وجاءت الوفود من كل بلد لتهنئته واشدت الأشعار وأجيزت
أربابها ووصل من الأحسن والبر لم يستحقه وبحق صد أهل تونس أنهم
م سمعوا به مثل حتى في رتب بني أبي حفص وهي أول وليمة صنعها سامحهم
الله تعالى وفقر له بمهنة وكرمه * وفي أيام الحاج محمد لاز تقوى أمر بلباس
المنستير في الأمانة ومنته نفسه بانغور وذلك بمعاونة كشك مراد مملوك
الحاج محمد لاز وكان لاز المذكور يصدر عن رأي مملوكه * وفي أيامه صودر
الدند عبد الله أبو خوران واستصفى أمواله وأهين بعد ما كان قائد القواد
على يد المرحوم محمد باشا * وفي أيامه صدر الشيا المذكور بلباس
التقصي وأخذ جملة أمواله واعتقل في راوية الشيخ سيدي أبي الحسن
الحفاري ثم رخص منه فيما بعد ورد عليه ما أخذه منه وبعده استصفى أموال
بني صندل ونسبهم على يد كتابهم أحمد المردي والقرى شأن علي هري

الترجاء بمساعدة الباشا لم حتى اعجبته نفسه ومتمه بالمحال فنكب على يد الباشا واراد ان يقتل به فعجل نفسه بان اكل السم ومات وهذا من حسن بية الباشا بحيث لم يقتله من اعدائه احد . وفي اول ولايته الحاج محمد لاز كانت الطامة الكبرى وكادت ان تكون فتنة لولا ان تداركه الله برأي الباشا المذكور وهي التي بيعت فيها عدة نواصر من مرتبت العسكر على يد القائد داود اليهودي الذي كان صراف فكانت ان تكون فتنة بين العسكر فهدد الله الفتنة برايه السديد ورد لكل واحد ما نقص من مرتبه ودفع المال من عنده وجعل من داره سلك الديوان اكياسا على اعناق الرجال وكان شيئا مستكثرا وسلم الناس من الفتنة وهذه السلسلة بعد من مائة الحسنة الجميلة . ودامت ايام الحاج محمد لاز الى ان توفي الله لثلاث وعشرين خلون من شوال المبارك سنة ثلث وستين والعب بعد مرض طويل ودين بتوبته عند باب القصة وقسم بالامر بعده الحاج مصطفى لاز ببيع في صبيحة اليوم الذي دفن فيه الداي المذكور وذلك بمشورة الباشا وهو اذ ذاك باي المحال فبعثوا يشيرونه في سن يتولى دايا فشارك بتولية الحاج مصطفى لاز فعندم جاء امره السعيد بايعه العسكر . وعند حلوله بسب القصة دخل الباي المذكور من غد وكان قد رجع من سفره فاشتد به تصد الحاج مصطفى لاز . وكانت جماعة خيرة اعضاءهم ممتدة للولاية فطرح ما بايدهم ويشموا . ولما استقر في الحكم وتعهد امره زوجة الباشا بمجارية من حواريه وجهزها بجهاز معتبر كاحدى بنائه ووهب له دارا من اجل الدور وفعل معه من الجميل ما لا حد له . وفي اول ولايته نكب بالشاسم المستيري على يد الباشا لانهم كان حاقدا عليه لامور بدت منه وكذلك نكب الشيخ مصطفى الاندلسي واستصفيت امواله وهرب الى وطن الجزائر ومات هناك وكذلك نكب الشيخ صالح وفعل به ما فعل بغيره . وفي ايسم الحاج مصطفى جاءت مراكب الانكليز الى غار الملح واحرقت مركبا كان خارج المرسى ودمت على الحصار بالمدافع واستنفر العسكر الى غار الملح

وكانت واقعة مشهورة وذلك في سنة خمس ومئتين وألف * وفي السنة التي تليها كانت الوليمة الثانية من الولائم المشهورة التي صنعها لولده محمد باشا. الحفصي على ابنة عبد الرحمن باشا وكانت أيضا تعد من عجائب الدهر * وفي أيام الحاج مصطفى بعث محمد باشا هديته المشهورة مع ابن قلمان ولم تدخل له الديار الرومية هدية أفخر منها من بلاد المغرب وطلب منصب البشاوية فاجيب إلى ما سئل وجاءته الأوامر العثمانية سنة ثمان وستين وخطب فيها الباشا ابن الباشا . وفي أيام الحج مصطفى لاز كانت الزينة المشهورة التي ضرب بها المثل لما كان بها من الدعة والترف وجاءت من أحسن ما يكون وهي بشرة بلخ السلاطنة أليما من بلاد النمسة . وكانت أيام الحاج مصطفى أيام هدوء وراحة لأن محالب تدبير الأمور كان يصدر عن رأي الباشا رحمه الله وإذ الحاج مصطفى كان ثين العريكة ويكوه سفك الدماء إذ ما كان من واجبات الشرع وأكثر الأحكام يقلد فيها المشرع * وفي أيامه كانت الوليمة العظمى التي اجتمع فيها ثلثة باشاوات وهي وليمة أحمد باي بابنة عثمان باشا صاحب طرابلس واحتفل فيها المرحوم محمد باشا غيبة الاحتفال وكانت سنة تسع وستين . وطالت أيامه إلى أن توفاه الله ليلة الجمعة التاسعة عشرة من ذي الحجة سنة خمس وسبعين . وقسم بالامر بعده الحاج مصطفى قوة كوز جلس عند باب القصبة في صبيحة اليوم الذي مات فيه الحاج مصطفى لار من غير اتفاق من العسكر وإنما قدم نفسه بنفسه واستولى على الامر بشهامته وكان مهاب وفيه أقدام فهابه الناس . ويوم ولايته ظهرت عليه سكمته وابتدا أمره بتنقية أهل الجرائم ومعاقبتهم بالشنق والخنق على أدنى شيء وخصوصا من أنهم بالسرقه فكان لا ينظر في أمره بشيء ولا يعرف له إلا سطة حبل فسق خلف كثيرا وفر من المدينة كل من كان بينهم بشيء وتفرقا في البلاد ولم يعد أكثرهم إلا بعد موته . وكان فيه بعض هرج ونعطل عائب الأحكام في أيامه وصار غالب أهل الديوان وغالب الحكام لا يتصرفون

بشوي خيفة من باسمه وشدة يربما تعطلت بعض احكام الشرع وهو الذي
 عزل الشيخ مصطفى بن عبد الكريم عن منصب القضا وقدم عوضه الشيخ ابا
 المحاسن يوسف شهر درغوث فباشتر القضا بعداى وصلابة في الدين والخلق
 الى ان توفاه الله شهيدا كما سيأتي وهو يعد من حسنات قره كوز . وفي
 ايامه كانت وليمة محمد باي ابن المرحوم مراد باي بابنة احمد شلي ابن
 يوسف داي واحتفل الناس كعادته في غيرها من الولايم . ولم يزل قره كوز
 في تشديده على الجناة والاقدام على سفك الدماء حتى ان اكثر المعاملات
 كادت تبطل وانحسم الشر عن الناس وخافه البعيد والقريب وانقطعت
 السرقة من البلد الا ما قل ونزلت العافية حتى في البادية ولكن لم تطل
 ايامه . وكان في سن الشيخوخة وقبض الله له قرناء منهم احمد صنايلي والحاج
 حسين شاقال فذهبا به كل مذهب وعاجلاه بان اطعماهما فتغيرت اسراجهم
 وضعف ما كان فيه من طبع السوداء حتى صارت تحدث له حالات
 متناقضة ولم يفعل به ما فعلا الا ليتم لاحدهم الامر بالولاية . ولما ازدادت فيه
 السوداء انتفى جماعة من الاكابر ووافقهم بعض رؤساء الوقت فخلعوه وقدموا
 عوضه الحاج محمد حاج اعلي . وفي شهر رمضان علق الحاج علي الفلاري
 وكان ترجسنا . وفي عشية منه ايضا علق خمسة اشس على دعوى من غير
 اثبات . وفي آخر دولته توفي المرحوم برجة الله محمد باشا وموته انتفى
 الرنق وصار كل احد بقدر اجتهاده وانفتح باب الخلع على الدايات فخلعوه
 او اخر ذي القعدة سنة سبع وسبعين والى واخرجوه من القصة الى دارة بحومة
 كتاب الوزير فلم تطل ايامه ومات في العشر الاول من ذي الحجة من
 السنة المذكورة . ويوم خلعه نفى من المدينة حسين شاقال واحمد صنايلي
 ولم يتم لهما ما املاه الله سو في تقلبات الزمان . فتولى الامر الحاج محمد
 حاج اعلي المتقدم الذكر جلس على باب القصة يوم خلع قره كوز وابتى ان
 يدخل دار كرامة حتى اخرج قره كوز منها فعند ذلك دخلها وهي دار معدة
 لمن يتولى هذا المنصب . والحاج اعلي هذا ممن تريس في المراكب وكان

يعد من الثبايطيس المشهورين وكانت فيه سكينته زائدة ولأجل ذلك قدومه
 طد منهم انه يحبس السيرة في البلاد فظهر منه خلاف ذلك فقل ندبيرة
 وصار لا يأمر بشيء إلا فيما قل وربما يأمر بل شيء وينهى عنه كأنه ما أمر
 به وتلاعبت لا يدي في الأحكام ولم يرد أحد عن مراده . ونفى جمعة من
 الأكابر وسأل عنهم بعد ذلك وقيل انه لم يأمر في أمرهم بشيء وصارت
 الأحكام تصدر من غيره ويوهمون انها صادرة عنه . وصار الكائنات اللذان
 بالديوان هما صاحب الحل والعقد وهما شعبان خوجة والحاج محمد بيشارة لا
 ترد لهم كلمته . وفي ولايته أمر بخدمة الرتبة التي عند سيدي عبد الله
 الشريف تفع الله به وخدم فيها الربيعين والمدينة عدة أيام وكان يحضر
 بجماعته هنالك ودام على حاله الى أول سنة ثمانين وقيل إحدى وثمانين
 فحاضرة كثيرة وأخرج الى داره بمقربة من دار الديوان وبعد أيام حجر عليه ولزم
 بيته الى ان توفاه الله وقيل انه خوطب في عثله فلهذا خلعه . ومنهمم الحاج
 شعبان خوجة المذكور جلس مجلس الدايات في القصبة في السنة المذكورة .
 وفي تلك الايام كانت الولاية التي صنعها مراد باي لآخيه حسن باي
 ولولده علي باي وجاءت من أجل ان يكون ومشي على طريقة والده وأرعى
 عنه وأظهر من الاحتفال لا يوصف . وفي ايام الحاج شعبان كانت الزينة
 العظمى لأخذ كهدية في ذي القعدة من سنة إحدى وثمانين . وأول أمره
 بأمر الولاية بتعلق ونظر في معيشة الناس وربما بأمر بنفسه ميزان الخبز
 في الأسواق وكان مهابة وسكناه بالقصبة فأخذ له المرحوم مراد باي دارا
 ووزن ثمنها وراد الحاج شعبان في بنائها على ما كانت عليه فجمعت من
 أجل الدور وسكن بها . ثم خاضه بعض أهل الفساد وأغروا بمعاذاة
 البايات ميزنا له كل قبيل وأصروا ان يفتك بهم وفشا الخبر بين الناس
 وبلغ الى أرباب المملكت فمكروا به قبل ان يكر بهم . والذي أعراه على
 ذلك ابن القائد جعفر ومحمد بن أحمد خوجة على ما قيل . فسلما رحع مراد
 باي من محلته محلة الشتاء سنة اثنين وثمانين ابي ان يدخل الى المدينة

واضمر الشر لشعبان خوجته فلما فطن لذلك خاف على نفسه وكان مراد
 باي كاتب اكابر الدولة واخبرهم بما نوى الحاج شعبان فملئت قلوب الناس
 منه وتحقق ما اضمره بما صنع قبل من امور فيها بعض هضم في جانب
 البايات فلما احس بالشر بعث بجماعة من اصحابه الى الباي يستعطفوه
 وحلف لهم بايمان وكان الباي مراد لم يظهر ما في ضميره الا بعد ما استحوذ
 على القائد احمد بن جعفر وعلى محمد بن احمد خوجته واراد ان يجعلها فتنة
 فلما وصلت الجماعة الى مراد باي تكلم معهم في خلعة فخلعوه بالمحلة او اخر
 ذي الحجة من السنة المذكورة وقدموا عوضه الحاج محمد منتشالي ويوم
 دخولهم المدينة دخلوا لقصبتها واخرجوه منها الى بستانه براس الطائفة وبعد
 ايام بعثوا به الى رغان فقام بها يسيرا ومات يوم الثلاثاء لسبع عشرة مضت
 من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين والقب وحيي به الى تونس ودفن بازاء
 دارة وقبره معروف هناك * ومنهم الحاج محمد منتشالي بويج في
 المحلة كما سبق وحدث بيعته يوم دخوله القصبة واستوطنها وكانت فيه
 بلاذة لم يجرب الامور وغالب الاحكام في ايامه تصدر عن البايات وهو مساعد
 لهم لا يخرج عن امرهم بشئ وعنع بالمنصب واسمه فقدم على سيرته اقل من
 سنة وانقضت جمعة من اهل الفساد وزين لهم الشيطان ما تووه فدخلوا
 القصبة على حين غلظة وحاصروا منتشالي وبعثوا الى الباشا صاحب المنصب
 اذ ذاك وكان متفق معهم فخلعوا منتشالي وقدموا الحاج علي لاز واخرجوا
 منتشالي وبعثوا به الى رغان الى ان مات هناك وحيي به الى تونس
 ودفن بترتبه قبالة دارة وقبره معروف هناك * ومنهم الحاج علي
 لاز بويج في النصف من ذي القعدة سنة ثلث وثمانين يوم الثلاثاء ووافق
 ذلك اول يوم من الحسوم فتطير الناس من ذلك وساعدة قوم غيره واصبين
 وزينوا له بحالات عظيمة ويوم ولايته فر محمد باي الحفصي ولحق باخيه
 مراد باي ودخلت محلة الشتاء ولم يدخل مراد باي ولا اخوه الحفصي وكان
 اجتماع الحفصي باخيه مراد بي فوق القيروان ثم انهما توجهما الى ناحية

الزواريين ، ولما استقروا مشى بينهم الرسل وكل منهم حاقدا على صاحبه
 وصار له سوء وحدثت في المدينة احوال تؤذي بالفساد وتحزبت جماعة
 الحاج علي لاز وزاد ضررهم ، ولما علموا أن مراد باي اخذ حذرة منهم عزولة
 واقاموا عوصد محمد عاغا ولبسوه قفطانا وركب في المدينة ونادى المنادي بولايته
 ولقد يستجيب الناس والرعايا وينفق الاموال وهو لا خبرة له بالامور .
 وبعد ان كان ذلك كذلك بعث مراد باي بعدة اوامر يحذر الناس وينذريهم
 الى الرجوع صا فعلوا فلم يزد هم الا شرا ثم بعث اليهم اعتقادا من الخيل وغدروا
 على ماحول البلد فخرجت اليهم جماعة علي لاز وخيله فالتقى الفريقان ووقعت
 بينهم الحرب في عدة ايام ، وعاخر الحال جاءتهم جماعة من اولاد سعيد
 والثالث وغيرهم من الاعراب فخرجوا بمحلة ظاهر البلد وكانوا قتل ذلك
 جعلوا سؤالا وحكم فيه القاضي وافتي فيه بعض الفقهاء بموافق اغراضهم
 فبعد ذلك نهبت ديار البايات وغالب اثاثهم وسكان الخطب جليلا .
 ولما خرجوا واقاموا بظاهر البلد وجاءتهم البايات وظهرت طلائع خيلهم
 بادروا الى لقاءهم وخرج من المدينة كل من يقول بقولهم والتقى بعضهم بعض
 فلم تسكن الا ساعة من نهار حتى انهزم محمد عاغا ودخل المدينة مكشوق
 الراس وخلف صكره فتحكمت فيهم ايدي اصحاب مراد باي فقتلوا منهم
 خلقا كثيرا ولم ينج الا من بعد اجله وهذه الواقعة تعرف بخطرة اللاسين
 وكانت بعقبة الجزار ونهبت لاعراب ماحول المدينة ونحصر الحاج علي
 لاز وجماعته بالقصبة ومن قد أصبح بابها مغلقا وباتت المدينة في سوء
 حال ، وبعث الباي الى باقي العسكر بالامن وامرهم بتولية الحاج مامي
 جبل فبعثوا له وبايعوه في الديوان وبعثوا الى الحاج علي لاز واصحابه
 فخرجوا بالامن ومشوا الى رادية الشين سيدي محرز بن خلف فلم تقن
 عنهم وحوصروا بها ومات هنالك اكثرهم وبعث بالحاج علي لاز الى الحمامات
 فقتل بها ونهبت عدة اماكن بالمدينة وتبع السي عاثر المفسدين فقتلهم
 وكانت وقعت لم يسمع بمثلها بحيث مكث القتل اكثر من شهر ، وكتب

البي اوامر وبحث بها وفودا الى الباب العالي مخبرا بما وقع وجلاءه الجواب
بما في مراده وزبدة القصة اطول مما ذكرنا وكانت هذه الواقعة منتصف صفر
سنة اربع وثمانين * ومنها ————— الحاج مامي جمل بربيع منتصف
صفر كما تقدم وسار على سيرة مششلي في مساعدة الزمان إلا انه كان فيه
مرج وغلبة وكان يظهر الدين والعنف ويميل الى الفقراء وذلك منه لامر
ما وفيه امسك ويشكي من الفقر وازدان اول دولته إلا برأي البايات
ثم تغير حاله فيه بعد . وفي ايامه نافق ابو القاسم الشوك بوسلكت فقاتله
مواد باي وحاصره وفتح له من سائر البلدان والتم عليه جميع العمالة فطاب
له الجبل وقطع رأس الشوك وجاعته وجميع براسه الى تونس والقصة طويلة .
وفي ايامه اخذت غليطة محمد باي اخذها عنو الدين . وفي ايامه
مات الرحيم مواد باي في جمادى الاولى سنة ست وثمانين . وفي ايامه
وقع الخلاف بين محمد باي واهيه علي باي وقدم عنهما محمد الحفصي .
وفي شهر رمضان من السنة المذكورة سافر محمد الحفصي الى بر الترك . وفي
ايام الحاج مامي قويت الوحشة والعنت بين الاخوين واكثرها بمساعده
وغلبه على امره جاعته من اصحابه فكانوا يهونوا عليه الصعاب ولم يزل امره في
لشيت الى ان خلع باله حاج محمد بيشارة اواخر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين
والى وخرج من القصة ودخل الزاوية القشاشية الى ان كان من امره ما
مذكورة بعد . وفي ايامه كان الوباء العظيم وابتدا في سنة ست وثمانين
واوقع سنة سبع وثمانين ومات فيه يوسف بشا وقبره بمقربة من الشيخ
سيدي مبرز نفع الله ببركاته وقبر معه ولداه وبنيت عليهم قبة حسنة . وفي
سنة سبع وثمانين المذكورة خرج علي باي الى ناحية المغرب . وفيها
كانت وقعة سلات مع محمد باي ومات فيها خلق كثير وسياتي طرف
من ذلك . وفيها جاء محمد الحفصي من بر الترك ولم يقبل . واضطربت
أمر الحاج مامي حتى خلع آخر ذي الحجة كما تقدم واقيم بدله الحاج محمد
بيشارة * ومنها ————— الحاج محمد بيشارة بربيع في المحلة على يد الامير

علي باي عاخر ذي الحجة المذكور وحيي به الى تونس فجددت بيعته
واخرج الحاج مامي ولم يتعرض له بمكره واستنفر عسكرا لاعدته علي بي
وبعث بالمدافع الى الكافي وسكن بالقصبة ايام ولايته وكان فيه طيش في
احكامه وهو من كتبت الديوان في السابق وكان يظن ان فيه سياسة فلما
تولى لم يظهر عليه شيء منها وكاتبه علي بي في مسائل تصلح به فلم يقبل
منه . واخذ العسكر في ايام مرتبها واحدا وبعث الى الحاج مامي مرنبه وهو
مقيم بالزاوية . وخلق في منتصف صفر من سنة واعيد الحاج مامي الى
الولاية وذلك حين احتوى محمد باي على المحلة عند الكافي ورحل علي
باي الى الجريد كما سيأتي خبره فبعث محمد باي الى تونس وامر بمعدة الحاج
مامي فخرج من الزاوية وطلع الى القصبة واخرج ببشارة ونفاه الى راس
الجبل وبعد ايام امر بقتله ولم يف له بما فعل معه ومن يوم رجوعه لم يهنا
له شيء . وبعث بجمع من اصحابه الى الكافي لكشف الخبر والزم اهل البلد
بالعسس لئلا وجعل العسكر على الابواب نوبا ومشى طارق الفتن في غالب
الاقليم وبدأ نفاق القيروان ومكنت تونس في جهد من العسس نحوها من
اربعين يوما . ومن اغرب بلادته وهرجه ان الجماعة الذين ارسلهم للكافي لما
رجعوا وجدوا رجلين في الطريق مسلوبين فسالوهما - من فعل بكمما هذا -
فقالا - اصحاب من جماعة مصطفى سبيول وهو بمكان كذا - . وكان مصطفى
المذكور طرق ذلك الجانب فلما سمعت الجماعة من الرجلين ذلك مالوا
عن ذلك الطريق واتوا على خيرة خيطة من السبيول المذكور ولما اخسروا
الحاج مامي بذلك لم يصدقهم فقتلوا له هذان الرجلان المسلوبان فسالهم
فاخبراه بالصدق فامر بضربهما فضربا اعدنا اللد من قلته الوفيق . ولم يزل
يشرب الاحوال الى ان فشا بين الناس ان علي بي رجع من الجريد
والتقى مع اخيه في العحص وهي الكائنة العظمى وهرب ابو رخيص وابن
شبان وجماعة كانوا في تونس في صندل من البكرة . وبعد ايسم جاء الخبر
مع بلوك باشي وحسين بن مامي فراش فعند ذلك هرب الحاج مامي الى

الراوية كعادته و بقيت المدينة بلا حاكم قاضطر العسكر الى داي فوقع اختيارهم على اوزون احمد فهرب ايضا ومن غد اخرجوه غصبا وقدموه دايًا بعد ما شرط عليهم شروطا رضي العسكر بها فبايعوه نصف النهار وبث حاكما ومن غد خرج الى الناس ولم يثبت الا وقد نبس خلفه فكان الواجب ان لا يعد من الدايات * ومن ثم اوزون احمد ببيع في السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين واقام يومين ولم يرز حكما وكان بعث فسه علي باي ان يولوه فهرب الى الزاوية كما سبق خبرة واصد الجواب الى الباي فعند ذلك بايع بالمحطة محمد رايس طابقي وبعث به الى تونس ولم يعلم احد بذلك فلما سمع اوزون احمد بعث بجماعة من العلماء الى الجبل لاختصر لان مصطفى سبتيول كان هناك محاصرا للمدينة ومنع عنها الداخل والخارج والرم البعثة ان يجلبوا بضائعهم للجبل لاختصر وامر الحزاريين ببيع اللحم هناك وانقطعت المدة من اهل تونس فوصل الداي محمد طابقي ولم يكن لاهل المدينة علم فلما وصل النقيب برسالة اوزون احمد وبالشروط التي اشترطها وجدوا الناس قد بايعوا طابقي فطرح ما بأيديهم وبايعوا مع الناس ورجعوا فاختبروا اوزون احمد فهرب الى الراوية الى ان كان من امرة ما سيأتي ان شاء الله . ومن اشجب الاشياء ان المورخين يعدون اهل المناصب من الخلفاء والسلطين وان السادس منهم يقتل او يخلع واثبتوا كثيرا من اخبارهم وجاءت على انفاقهم في الاكر الا ان هك الدولة خالفت جميع الدول لان السنة اندايت الذين كانوا مستقلين لم يجروا الى احد منهم الخلع وهم عثمان ويوسف ومراد واحمد ومحمد ومصطفى كل هؤلاء كانوا مستقلين ومانوا في ولايتهم ومن بعدهم ثمانية على نسق واحد وقع الخلع عليهم قارة كوز والحج علي والحج شعبان ومشمشلي والحاج علي لاز والحاج مامي وببشارة واوزون احمد هؤلاء المخاضعون ويمكن ان يقل الاولون ثمانية ايضا لان ابراهيم داي الاول وهو الذي تسمى بهذا الاسم ومن بعده موسى داي ثم يتبع الخلع عليهما لانهما سلما باختيارهما * فهكذا من اعجب

لأنفاقه والله لأمر وجو العليم الحكيم * وممن الدايث العظم
وأول الرتب العظام الذي جاء في آخرهم وهو ككاولهم لاسجد لأنجد
محمد داي عرف طابقي معدود من الرؤساء الذين بلغوا درجة التبطننة
ونزل سعاده وافرة وعلا اسمه وجرت له امور اضر بنا عنها الى ان بلغ هذا
المنصب هل يد المكرم علي باي بوبيع له بالحققة بالفحص آخر ربيع لآل نور
سنة ثمان وثمانين وألف وأقبل الى تونس فنزل بالجبل الأخضر وبعث
الى تونس جماعة من اصحابه فتمصروا على الحاج مامي جل وجماعته وسيرهم
اليه وكان ذلك آخر العهد بهم * ويوم الخميس آخر شهر حرج الديوان
الى لقائه ودخل المدينة ويوم دخوله كان بعض الناس ينحني من جنبه
وبعضهم راي عليه محايل الولاية ولما نزل عند باب القصبة جاءه الناس قبايعة
هنالك وتكلم بكلام يدل على لينه ولم يعلموا ما وراء ذلك ودخل القصبة ومن
الغد امر بخراج من بها ما عدا جماعته وبعد ذلك بشر الامور بمشاهمة
وحدة ونفى جمعا من الاكابر وشئت كثيرا من المخالفين وقم بنصرة الباي
احسن قيم * وفي ايامه ابتدا الغلاء واجتهد في ضبط السعر غاية الاجتهاد *
وبعد ايام بعث الباي احمد المديك واقامه خليفة للبasha * وفي شعبان من
السنة المذكورة جاء خليفة البعث من بر الترك ودخل المدينة بزي الباشوات
واجتهد في امور المملكة وغير السكة لانها كانت غر مرصدة فجاءت على
وفق المراد وفرح الناس به * وفي ايامه تقوى الخلاف في القيروان والمنستير
وصفاقس وبعث ارسالا للقيروان والمنستير فلم تقبل منه * وفي ذي القعدة
من السنة زادت الاراجيف في البلاد وطلت غيصة الباي وخبره من
الناس * وفي ذي الحجة كانت الواقعة العظيمة التي احرق فيها
ابواب المدينة وتعطلت المساجد من صلاة العيد والجمعة وكان الخطب
جليلا ودخلت جيوش محمد باي المدينة وعانو كيف شاءوا ولم ينازعهم احد
وانخذل اكثر العسكر واستنفرهم مرارا فلم يأتوا اليه ومكث ثلثة ايام يتدارك
الامر وفلق باب القصبة هو ومن انضاف اليه وانحصروا هناك وكان قد ديا

ذخيرة تقوم به وبيع العسكر في مدة الحصار ساقلي حسن ورموا على
 القصبه بالبندقيات ودام الحصار والحرب ليلا ونهارا ورمي على الحصار
 بالمدافع مدة ايام وحفر تحتهم لغم واطلقت فيه النار وجعلت المتاريس في
 عدة اماكن ونار الحرب مشتعلت في كل جانب وانقطعت الاسعار من المدينة
 حتى بلغ صاع القمح نصف ريال عسارة عن ستة ريالات الويسه فكان
 مبلغ القفيز ستة وتسعين ريالا وهذا شيء لم يسمع بمثله في تونس * والزم
 اهل المدينة والربطين بالعرس في داخل المدينة وخارجها وعظم البلاء واشتد
 الخوف وانقطع المار من عدة اماكن من الطرق وذهب الناس ما لا قبل لهم
 به ولم تنزل الحرب في المدينة ولا ابواب مدممة والبأس في جهته اربعة
 وعشرين يوما * وفي تلك الايام قبض على جماعة من اهل البلد والزموا باداء
 المال وقبض على العالمين المفتيين الشيخ محمد فتانت والشيخ يوسف درغوث
 فانتقلا فاما الشيخ محمد ففر ليلا واما الشيخ يوسف فقتل * وعاذوا الامور استغنى
 محمد باي العسكر فخرجوا معه الا قليلا منهم فكان من امرهم ما سنذكره بعد
 وفتحت القصبه رابع المحرم او سادسه سنة تسع وثمانين وصلى اهل باب
 السويقة ووقع منهم حرب لاهل المدينة وني باب السويقة حاجزا بين
 الفريقين فهدموا وجاهروا بالعرسين وجاءت الاخبار بهزم العسكر الذي
 خرج ثم تناقصت وهرب اهل النوبة التي بحلق الوادي حتى لم يبق به الا
 رجلان وبعث عوصهم رجال اخر فظفروا الخلفى وكانت لاراء مختلفة في
 كل مكان الى ان جاءت رؤوس انقتلى وحطت عند باب القصبه ومات خلق
 كثير من اكابرهم ساقلي الذي تولى دولتي وكان في ايام الحصار الحاكم
 في القصبه طاباق وفي المدينة ساقلي المذكور * وفي تلك الايام ارجف بهوت
 علي باي من مرض كان اصابه وعافاه الله منه ثم اخذت الفتنه في الانحطاط
 وتماذى الغلاء الى ان من الله بهراكب جاءت من بر الترك بالقمح فحط
 السعر قليلا كل هذا وطاباق مكابده هذه الاحوال ومتحمل لصعاب الامور صابر لها
 رواد لاجتماعه التي كانت محصورة مع خمسة اواسر ترقب لكل واحد في منزله

وهذا لم يسبقه اليه غيره وصفا عن الذين لم يدخلوا معه القصة وعلم عليهم وكان
الذي حمله على الصبر معاصرة البايع الى ان تم له ما تم فعند ذلك
هاجم الناس قطيعة وخافوا بأسه واطهر شهامة على من خالفه واشتدت
شوكته . وفي آخر شعبان اقبل محمد باشا الخطمي من الديار الرومية في
زي حبيب ودخل المدينة بشعار السلطنة بما لم يدخل به احد قبله
ومعه من الاعلاج والطول والانفة والالات الباشوات ما لا يوصف فكانت
النوبة تعزف عند العصر فيلشد بسماعه خلق كثير ويقع لذلك ازدهام كبير
واحضر معه امر السلطان نصره الله الحكيم علي باي برفع ركابه وتعظيمه
واجلاله . وفي ثلث شوال من سنة تسع وثمانين والخ كانت الزينة
العظمى وثقيت هذه الزينة سبعة ايام يليها وفي الثامن منها وقعت
الوحشة بين الباشا والداي فخرج الباشا مغاضبا وسكن في برج كورباية .
وفي تلك الايام نزل البايع على المستير وحاصرها اياما ورحل عنها . وفيها جاء
الخبر ان محمد باي ركب البحر . وفي ربيع سنة تسعين رجع الباشا الى
سايشه براس الطابية ولم يقع بينه وبين الدايع اتفاق . وفيها خرج
البايع الى محلة الصيف واقام هناك وخرجت له محلة الشتاء قبل اوانها
فارسلها لاجريد لصيان البرج الذي في نوور واحذ في سنة احدى
وتسعين والخ . وفيها استنفر الدايع العسكر للكاف ومنعهم مرتباتهم .
وفي ربيع الثاني من هذه السنة بعث الدايع العسكر نجدة لاهل
سليمان . وفي جمادى الاولى جاءت الرسل من الجزائر لاجل الصلح
وقابلهم الدايع بعنف . وفيها صادر اهل المرتبات ومنعهم لقلته استقامهم امره
وسمى رجب خرج الباشا الى القيروان وكان من خيرة ما سيأتي ذكره .
وفي شوال خدمت صفاقس . وفيه جاءت رسل اهل الجزائر ونزلت
محلتهم في الحدادة . وفي الحادي والعشرين من شوال جاء الخبر بخدمة
الكاف وفرح الدايع بذلك . وفي ذي القعدة جاء الخبر برضاء الكاف مع
الدايع . وفيه خدمت اولاد سعيد علي باي وتعطلت مرتبات العسكر في

هذه المدة الى ان دخلت سنة اثنين وتسعين والف . وفي اول ربيع الثاني منها قام العسكر على ساق وطلبوا مرتباتهم فالان لهم الداي القبول فابوا فغلق باب القصبة واحس بالشرومكث ثلثا وكانت هرجة عظيمة لولا ان تداركها الله بالباي فقمع اشراهم وهدن الثمة ووعدهم باخذ مرتباتهم * وفي سابع ربيع الثاني كلف اهل المدينة والربضين باداء الرمية فامتنعوا ثم اذعنوا وتمشى الاداء في الوطن كله * وفي جادى كادى كان الختان في هرج باردو لحفيد الباي وكانت تلك الايام تعد من الايام * وفيه قويت الوحشة بين الداي والباشا * وفي ثاني جادى الثانية سافر الباشا الى الديار الرومية وبقيت البلاد بلا باشا والمركبات والمجاوي تحظي الديوان * وفي هذه الايام وقع الرخاء العظيم وكثرت الغلال والخيرات بحيث وصل قفيز القمح الى اربعة ريالات واقل من ذلك والله تعالى يلهم هذا الداي للسداد والصلاح . ويصلح حال من تسبب في اقامته بهذا المنصب ويبلغه النجاح . كيف لا وهو حسنة من حسنات الامير علي باي نسال الله تعالى ان يوفقه لما يحبه ويرضاه *

وحيت اثيت بجملة من اخبار الدايث وجب ان نأتى بنبذة من اخصر البايث وان كانت هذه التي جعلها لم تدون قبل وانما تلقيتها من كان قبلي واخبرني ومنه اعتمد في نقلها على سبيل الاختصار وذلك ان في مدة بني ابي حنص سلاطينهم كانوا يخرجون بمحالهم لحباية خراجهم وفي ايام الدولة العثمانية تسمت البلاد بين القواد وصار اعظمهم يخرج بالحلة وكانت الاغراب في قوة واستحوذوا على جل البلاد كعرب افريقية اولاد امي الليل واولاد بوسالم واولاد حزة وغيرهم واولاد شوق بوطن الكاف واولاد سعيد واولاد مدافع واهل الجبال غالبهم مصاة وحسان صاحب المحلة يعاملهم بالمخادعة والرفق والقواد يتعاقبون في التزامات المحال فكانت احوالهم مضطربة وكثرت الحكم بالمدينة فكانوا في جهد مع الرعية والعرب اشد شوكة في اول الامر فكان نغسور الخلاص معهم وخصوصا اهل

جبال عميدون وجبل وسلاط وجبل مظاطة * واول من سعا واظهر ناموسا
لهذه الطريقة وتسمى بين هذه الرعاية بهذا الاسم على الحقيقة القدائد
رمضان من الاعلاج واصله من اهل الجرائر وخدم المنصب هناك وانتقل الى
الديار التونسية وتحصل على هذه الرتبة وكافته فيه سياسة وتدابير فاقني
الماليك ومات ههنا وتخرج من معاليكم عدة رجال اخذوا المناصب
في حياته وتسموا بهذا الاسم قبل مائة فمئهم مراد باي ورمضان باي
وحسين باي هؤلاء مشاهير مواليه وكان اعظمهم همة وابعدهم صيتا مراد باي
وكان فيه حذق زائد علم بتدبير الرعية وحبية خراجها استولى في حياة
استاذة على الولاية الصخمة واستطاع في حياته وكان يتفرس فيه النجابة
عن غيره حتى من اخيه رجب * وكان مراد ايضا يتفرس في مديك
استاذة حتى اني سمعت ممن سمعته يقول عن مملوكي استاذة حسين ورمضان
اما حسين فلا يموت حتى يفتقر ويعبى وكذلك كان يطلق على رمضان
اسم الفقير فنبحث فرأيتهم وكان يفتخر بنفسه ويقول انا ملازم لخدمته
استاذي وعندي كذا وكذا مال وعندي شيء معتبر ولم يزل يترقى الى ان صار
بعد استاذة في هذه الرتبة * ولما مات استاذة في ايام يوسف داي
اراد اخوة رجب باي ان ينفرد وحده فسمي عند يوسف داي قتل لم تن
اصبح عند باب الصغير ابن صندل فهو باي الحال لم يعلم من ذكاء ابن
صندل وكان اذ ذاك قد هرب الى الراوية فسمع عند باب مراد فخدمه
فأخبرني على المنصب وزاحم رجب باي واستخدم أولا خاخم فلم يتم
باءباء المنصب كقيام ابن صندل فاذا خرج مراد بمحلة جباها على وفق
المواد دون غيره وربما اشتركا * وفي ايام محلة الجرائر كان كل واحد بمحله
وهرب غامب مديك استاذة اليه فكان يستغل حسينا * ولما وقع
عليهم في محلة الجرائر وعاد من سنته الى محلة الكافي ساس اموره على
وفق مرادة وكثرة الروساء مصرة لا فتراق الكلمة ولم يزل يعمل وغيره يسفل
الى ان متهم نفسه بعلى المراثب فبعث الى الباب اعلي وجاعة الثقيلين

من السلطنة وذلك في سنة احدى واربعين والف * وكانت فيه سياسة لم تكن لغيره الى ان تم له ان اراد بحسن تدبيره ونزول به عظم الامور فلا يتصعصع لها وكان مغرى بقتل اولاد سعيد وتمزيق شملهم وكانت له القدرة عليهم الا انه لم يتعد بتدبيره اولاد مساريكته الغير له فيها * وفي آخر شرواه التي جلاهم فيها وقطعهم واخرجهم من البلاد الى وطن طرابلس ولم يستقروا به وهي آخر محله جده خير المنصب وهو على مدينته صدقس وتسمى باسم الباشا ونحلف لولده على المحصال وباشا هو منصب الباشوات ولكن لم تصب له لايم ومات من سنة ودفن في تربة باراه الشيخ سيدي احمد بن حورس ثقت الله به ثم نقله بعد ذلك برمان طريل ولده لاسعد محمد باس وجعلهم في تربتهم بالجامع الذي اخترعه وسمي به وجاء من اعظم المسجد وساتي ذكره بعد ان شاء الله تعالى رحم الله الجميع وتجاوز عن سيئاتهم انه سميع مجيب *

* محمد بساي *

من احبي رسوم البـيـث في الديار التونسية وشيد معالمها في البلاد الافريقية وظهر من ايمته لامرته م لم يظهره غيره وفعل ما لم يفعل ملوك بني ابي حنص في زمانهم ولا غيرهم لايمير لايجد ابو عبد الله محمد بساي ابن المرحوم بركة الله لايمير ابي الطاهر مراد باشا رحم الله الجميع استقل بالامر بعد وفاة والده وكان والده تخلق له عنها في حياته لما ترقى الى الباشوية فلما مات ابوه انفرد بالامر وباشا الولايات بجنان قسوي وقابل الرعية برزق واحسان وقرب القاصي وقهر العصي وهو اذ ذلك في عتوان شبابه * وكان رحمه الله معتدل القامة تلم الخلقه ازهر اللون بديع الشكل لايمتلي منه العاظر لحسن اعتداله ولم يكن في زمانه احد من امثاله فيه حدة ولين وحقل وزين مثله كاتبه ووزيره الصغير بن صندل وكان كاتب ابيه من قبل وخليفته في السفر رمضان باي وحسين باي وحعفر باي ومصطفى باي استبدلته في آخر الامر وكل من المذكورين لم يميت وسدعت

وكانهم بين الامراء ورفعتهم وحيولاءهم المشهورون من ممالئكم وخدمته وركابهم .
 ممن لا بد لكل واحد منهم ان يمثل لامرته ويتف ببابهم . وتخرجت من
 مواليتهم عدة رجال . ممن باشروا اعادة وجباية الاموال . وغيرهم جم غفير لو
 تتبعنا اسماءهم لصاق بنا القرطاس . وكفاة شهرة مالهجت به البلاد وروقه
 من اخباره الناس . وكانت له اخلاق رضية . ونفس ائمة . وفيه ذكاء مفرط
 وراي مصيب . اذا اضمر شيئ لا يبدي سره لاحد ولا يظهر عداوته اذا اراد
 العادة محبا لاظهر الفصائل بذالا للاموال ورهب . يعطي عطاء من لا يخشى
 الشكر وهم احسانه البعيد والقريب . وشهد له بذلك العدو والحبيب .
 وكان مجلسه مجمع العلماء والفصلاء ويكرم اهل العلم والصلاح ويحب الغرباء
 ويود الفقراء ويستحسن ان ترى ثروته على احبابه ويعجل بالاحسان لاهل
 حضرته واصحابه وبه مجلسه العلماء والادباء وتقع بين يديه المباحث وله
 مشاركة بفهمه الذكي . وجعل لاهل مجلسه المرتبة السنوية بحيث يعم الجميع
 بالانعام وجعل لهم دهنرا فيه اسماءهم ويعطوا على قدر مراتبهم وتجري
 عليهم عاداتهم من البر والغنم والبقر والتمر والتفصيل والدرهم وغير ذلك مما
 هو من عاداتهم . وكفاة فخرا ان العلامة ابا عبد الله محمد بن مصطفى الارمني
 فزيل نونس كان يقول - لو سئلت من ثلث لا جبت بلا ولو قطع راسي -
 وقد تقدم ذكر السرايين والثلث البعود به - ولو قيل لي هل رايت اكرم
 من محمد باشا لقلت لا - كفاة مدحا شهادة هذا العلامة . التي بقيت في
 وجنات الطروس كالشامة . فان قال قائل - ما صدرت هذه المقالة من الشيخ
 الا لما غره به من الاحسان . ولهذا وجب عليه ان يمدحه باللسان والجنان .
 لقوله صلى الله عليه وسلم - جبلت القلوب على حب من احسن اليها -
 وهذا الشيخ من كرامة احسن اليه اطلق لسانه بالمدح وحلف هذه
 امقده نروي عنه - قلنا له - سئله لك هذه ولا نسلم لك غيرها مما هو مشهور .
 واذا جاء الحق ذهب الباطل والزور . هذه خرافته باقية من بعده .
 يصنع به تفرقت بين الناس وحسنت اكنسبها بجمدة . والناس مطبوعون

على مدحه وثقوة سعدة . ولا يخلو أرباب الصدور في كل وقت من اصدقائه
واعداً ، وهذه المحاسن شهد بها الصديق والعدو ، والتحمل ما شهدت
به لاعداً ، وسيتلى عليك بعد هذا ان شاء الله . ولو تتبعنا بحاسنه لاحتجنا
الى تأليف مستقل . ولكن ناتي في آخر الفصل بما هو مشهور ويصوب
به المثل ، ونرجع الى كاول فنقول لما استقل دلامر بعد والده كان المشرط
له في المنصب رجب باي ثم سليمان باي وكانا لم يبلغا شواة . ولم يجريا
جراه . الى ان لحقنا بالله واغرد بنفسه . وفي ايام مشاركتها له في الولاية
حادث الاغراب في غالب الاقاليم . وخصوصاً منهم زريعة الخبث والاصل
اللئيم ، اولاد سعيد لا سعدهم الله لان طبعهم الفساد في البلاد . ويهلكون
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . لان امرهم سكان مشتتة مدة من
السنين . الى ان ظهرت على اهل تونس الواقعة المشهورة بين العسكرين سنة
سبع وثلثين . وقد مر ذكرها فتناوت قيامتهم على ساق . ونهادوا في الفراق
والشفقة . وغالب اوقافهم جازوا على منهج الضر . وبقيت نفوسهم الخبيثة في
الكر والفر . وكان المرحوم مراد باشا مقاوم لهم وحريصاً على تبديد شاملهم فاجله
جامه . ولم يبلغ منهم مرامه . وكانوا ياجتئون الى بلد الحامة ويتحصنون بها
لانها ساعدتهم في نفاقهم نحو سبعة اعوام فكانوا بها يتحصنون واليها ياجتئون
وعرب اقربقيته كذلك الا انهم اقل طمرا من غيرهم واولاد شوف متغلبون
على وطن الكفاف الى ان من الله تعالى بهذا الامر . فقطع دابرهم والحق بهم
الغني بالفقير . فخرج بمحاربه الشتائية سنة احدى واربعين والفساد . وشد ازر
بلاذ القيروان بعد ما كاد ان يقع بها من اولاد سعيد الخسف . واستوثق امرها
واولى عليها مملوكه القائد علي الحشاشي وكانت فيه غروسيته . ودخل
بمحاربه الى بلاد الجريد وخلص بجباه وظهرت همته ورئاسته وبلش امره
على وفق مراده . وتقدم انه كان معه عشركا في وظائف رجب باي
الا انه لم تكن له فطنة . وانما بلغ باسم اخيه من قبله . وتقدم ان
اهل تونس يذكرون ان ثلثة من الرجال كانوا نجباء . وكل واحد منهم له

أخ ومات الثلاثة قبل أخوتهم فلم يبق منهم أحد مقام أخيه أحدهم رجب
 بن أبي المذكور لأن أخاه رمضان بن أبي كان في غايته الذكاء فلم يبق رجب
 مقامه وإنما نال ما ناله بسابقيته أخيه ولما مات خلف ولده سليمان فدخل
 بمخالبه بين معتوك الفرسان فلم يبق لهم مراد ، وانفرد بالرحوم محمد بن
 بامور الملكة وأخذ في تهديد البلاد ، وقمع أهل الفساد ، وأغرى بين أولاد
 شوق وسلط بعضهم على بعض ، إلى أن حاربهم من كل أرض ، وانتفت
 إلى الحامة فخرج إليها بمحطته سنة أربع وأربعين وألف وأرسل المئونة
 في البحر والعسكر في البر وحشد إليها من جميع البلاد ، وكانت على نفقاتها
 سبع سنين وهي مانجا كما أقدمنا لأولاد سعيد ، وكان نزوله عليها يوم
 . . . من السنة المذكورة فنصب عليها المدافع والمنجنيقات وحفر الخنادق
 وأمر بقطع النخل فتطعروا منه شيئا كثيرا وحاصروها من كل جهاتها وداوم عليها
 الحصار وكان تقدم منه إنذار لهم مع الرابطين وأمنهم فلم يبق شيئا فعند
 ذلك أقسم أنه لا يرحل عنهم أو يحكم الله بينه وبينهم فناوشهم القتال
 وجعل العساكر نوبا في مقابلتهم وداوم بهم الحصار وصابق عليهم ومات من
 الفريقين خلق كثير ، وجاء إليها المدد من أخوانهم المتمردين فلم يجد نفعا
 لكبير منهم ولا صغير ، ومع ذلك كان يبالح في الأوسال إليهم بالأعذار والانداز
 ليقيم الحجة عليهم فلم يوردهم إلا طغيانا ، كُنَّ لكل متهم منهم شيطانا ،
 وسكانت الحامة هذه في غايته من الحصانة ، ولا طمها خبرة بالحروب
 ومكانة ، وهي في مكان منيع والنخل محدد بها ، ولها خندق دائر من
 كل جهاتها ، ولما نفذ القصة دارت عليها الدوائر وكان المتعصبون يقولون
 لو مكث عليها عدة أعوام ، لن يتيسر له بهت مرام ، ولا قدار مخالفة
 للظنون ، وما قدر الله به يكون ، فداوم عليها الحصار ، والقتل لا يفتقر
 بينهما في الليل والنهار ، وهم حكل يوم في مدد مزيد ، وقمرد من غواية
 شيطان مريد ، ولا مير يستخدم في الرجل ، ويجود بالمل ، إلى أن يسر
 الله عليهم بفتحها ، وانتادت له بعد جمعتها ، فقتلت رجالها ، وصبيت

نسأوها ونهبت أموالها . وبيعت أولادهم بيع الرقيق . وصبغت صخورها
بدماء أهلها صبغ العقيق . وخرب المساكن . واجلا منهب المساكن . وكانت
وقعة مشهورة . وأخبارها بين الناس مذكورة . ولما تم له ما أراد منها .
امن الذين هربوا عنهم . وأمرهم بالسكنى خارج البلد . وضرب أهلها بسيف
الغزو بعد سيف الحد . وأذعنوا لأداءه الخراج . ودخلوا في طاعته فاجراهم
على احسن منهاج . وكان هذا الفتح أو آخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين
والف . ولما سمعت بهذا الفتح جيرانها من البلاد العاصية . جاءت الوفود
مستأنين من البلاد القاصية . وشاع ذكره بين البلاد . وعم اسمه الحاضر
والبد . وصارت له سمعة عند أهل التلحق . وطار خبر اخذ الحامة في
كافاق . لأنها مكثت نحو سبع سنين هندية في هلالها . واستصعبت
عن غيره الى ان اخذها وكان من فحول رجالها . وكان جبل وسلات قد شمع
بأنهم في هذه المدة . فله بلغه ما حل بالحامة لانت صخورها بعد الشدة .
ولما تم هذا الفتح رجع الى حضرته العلية . وقد سار الرعب في قلوب
الرعية . وعلم ان طاعه اخذ في الصعود . وطالع أعدائهم في السعد الذابح
وهو في سعد السعد . ثم تبي . لأولاد شنوف وقومهم بالكفاح الى ان أنزلهم
من صياصيمهم . وقتل جل رجالهم وجلا باقيهم وجز نواصيمهم . وما زال يتبع
فلهم واحدا بعد واحد الى ان أفناهم ولم يبق منهم بقية . ومن فجا بنفسه
مداقت عليه الأرض وطلب منه الثقيت . وكافوا قبل ولايتهم متغلبين على
الكاف ووعيثهم وهم أهل التلحة بين العسكريين وقد مر بعض أخبارهم .
وكان من تقدمه من البايات عاجزا عن ان يحل بدارهم . الى ان يسر الله
لهذا الأمير ما لم يتيسر لغيره . وفتح له كل صعب ورزقه من خيرة .
واحتوى على ما كان بيد أولاد شنوف . واجلاهم من مساكنهم وديارهم
وانزل من تبقى منهم منزلة الخوف . ولم يبق شيئا من دارهم . وكانت لهم
سمعة في الملاد بين عرب أمربقية . وتحكموا في وطن الكاف مدة من
الأيام وجبوا المجانيات من الرعية . الى ان فلبهم . ودخلوا تحت امره

وأذلهم . فدانت له عند ذلك جميع العربان ، وحلث بهم العاقرة ونزل بهم
 الهوان . ثم التفت الى اولاد نعيم . الذين لم يكن لهم رئيس الا ابليس .
 فخذهم بكرهم ولحق اولهم بأخوهم . الى ان قطع دابرهم . فحرق عليهم بغزوات
 متواترة . الى ان جعلهم في الحميم لا يجد رقع الله بما فعله بهم درجانه في
 الاخرة . فمارسهم المرة بعد المرة . واثنى عليهم بمحاله الكثرة بعد الكثرة . الى
 ان اذاقهم الذل والهوان . وفك ما بيدهم من جباية الاوطان . وحل بهم
 الصغار . والزهم اداء الدرهم والدينار . وصاروا يفزعون من انفسائهم الى
 النسبة السعيدية . وان سئل منهم احد عن نسبه فر الى النسبة اليهودية .
 وتشتوا بعد اجتماعهم . وركنوا لاداء الخراج بعد امتناعهم . وتفرقوا ايدي
 سبأ في الحافقين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . وامن الله البلاد
 والعباد . وقمع بهذا الامير اهل البغي والفساد . وامن السبل في ايامه من
 الاغاث العادية . وصارت الطمينة في ايامه رائحة غدوية . ولو لم يكن
 له من الزايا الا قطع هذه الطائفة الرذيلة في ايامه لكانت له من اعظم
 المنافع . ولو توسل بها في الدار الاخرة لكانت من اكبر الوسائل . ولم
 تقم لهم قائمة مدة حياته . الى ان بعثوا من قبور الدل ولكن بعد مائة .
 صلى الله ان يقطع دابرهم . ويهلك اولهم وءاخرهم . ومن وقائع البشاة
 المذكور ادخله حرب ورضعة في عدائهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم
 من اجداد العرب فدخلهم في طائفة . ونظمهم في سلك اهل جباية . ولهم
 خبر يطول . ويعجز له الوصول . ومن خزائنه المشهورة ووقائع المذكورة
 اخذه لجهل مطماطة وكان مستمرا على النفاق . فخرج اليه بمحاربه سنة
 سبع وأربعين والف واقام فيه الحرب على ساق . فلاراه بالحصار . وصبق
 على اهله من جميع الاقطار . الى ان سلموا له باداء الخراج عن رؤوسهم .
 ورضوا منه بالامن على اهلهم ونفوسهم . وكانوا قبل ذلك يعدون انفسهم
 انهم اهل حرب ومنعة . واستعصموا بجلهم الذي لم بين الجبال رفعة .
 واداه السرور الذين كانوا من اهل جالوت . فسلط الله على ءاخرهم هذا الامير

كما ساط على أولهم طالوت ، وبني في جبلهم حصارا ، وجعل فيه انصارا ،
 والزمهم من الخراج ما طابث به أنفسهم مدد السنين ، وعظف بعنانهم
 وقابل قوما آخرين ، ومن وقائعهم المشهورة التي اذاعت اهل ميدون
 الفرار ، وفعل بهم ما فعل بغيرهم والزمهم البوار ، بعد ما كذبوا متحصنين
 بجبلهم ويصعب الوصول اليهم ، ولا نسمح نفوسهم بشئ من الاداء إلا ما
 هان عليهم ، لان جبلهم في غاية الحصانة ، ولهم به قوة ومكانة ، فنزل
 عليهم بخيلهم ورجلهم ، وصايق بهم الى ان دانوا له وداس جبلهم برجلهم ،
 وسمى منهم النساء والاولاد ، بعد ما قاتلهم وقتل منهم واباد ، ودخل جبابهم
 غيرة ، وقطع منهم العدة والنخوة ، وعف عن بقيتهم بعد ما ذهل كل خليل
 عن خليله ، واجراهم كاخوانهم جرى لاداء وسيلهم ، وذلك في يومه العربان
 والنوم الصغار لمن كان له منهم شان ، مثل اولاد امي الليل الذين كانوا
 في زمن بني ابي حنيفة اهل حل وشد ، فاهدتهم الى ان سمحوا باداء
 الماشية والنقد ، وكذلك اولاد حرة واولاد صولته ، وغيرهم ممن كانت له
 شوكة وصولته ، ولازم مدة حياتهم في تتبع اثارهم ، الى ان مح ذكركم
 واخلي ديارهم ، وهؤلاء ممن كان يشق العصا في السابق ، فلزمهم لاداء
 الى ان اصل الاول باللاحق ، وهذه الطوائف ممن افنى ابن نجي بتحريم
 مبايعتهم * آلات الحرب ، وكذلك البورلي قال عرب افريقية اهل حرب ،
 وكذلك الشيخ اللفاني صوب بهم المثل قال المحاربة من عرب افريقية
 وبجملته فان صرهم كثير ، وهم من الذين لا يراصون إلا ولا ذمة ولا
 يثبتك مثل خيسر * فحسم الله هذه الطوائف الجبينة في ايديهم ، الى ان
 صار المسافر يتوجه حيث شاء ببصائتهم يهز بما كدهم ، وامنت السبل
 والطرق * وانقطع المتمردين والطغاة * ودانت عرب افريقية ولزمهم الدين ،
 واستقرت عليهم الجباية في كل حين وحبان الحيس * ولما مهد رسوم عرب
 اوطانهم ، وجعل كل واحد منهم مستغلا بشئهم ، القمت الى صطماء مسائلي
 العرب ، مثل علي بن عبد الصمد وولده من بعده ابي زيد ، فنذرهم في

عربهم ، واجلاهم عن معانهم واطانهم . وشنتهم في القفار . واخلى منهم
الديار . واصناف دريد الى رعيته . واحسن للحسن منهم والزم الجاني
بخطيتهم . وركب منهم عدة من الفرسان وجعلهم من جملة رجاله * ولما
صرم على ممارسة قبائل العرب شرع في تزييل فرسانهم . فجمع منهم
هددا وجعل كل زمالة في قبح من فجوج اوطانهم . ولكل زمالة رئيس من رجاله
كالثائد حسن المنسب لحسين باي وهو اشجع رجاله وعقبه موجود وهم
جماعة من اولاده واحفاده كلهم معدودون من فرسان العرب وسياتي ذكرهم
والثائد علي الحناشي مقدم زماته ايضا والثائد احمد الويعي هؤلاء مشاهيرهم
وغير من ذكر كثيرين وركب عدة رجل من صكر زوارة يقال لهم الصبايحية
وجعلهم بركابهم حيث سار يسرون . وجعل صبايحية آخر وقرر سكانهم
بيلد القيروان وجماعة منهم بيلد الكافي وجماعة بيلد باجة لتأمين الوطن
فامتت الطرق في جميع بلاد * ومن اشهر سعادته ممارسة لطافية العرب
في وقت الشيخ خالد بن نصر الحناشي . وكان خالد المذكور اشهرهم
سمعة بين قبائل العرب ولم منعة وعدة وقائع مع صكر الجزائر عمر عمرا
طويلا ومارس الحروب وكان يتشامخ بانقته على العائلة التونسية ويبتد
في وطنها لانه جاور لها ويتعرض الى محلتهم فيستكفون شره ويهادونه
بالهدايا الى ان قبض الله له هذا البطل الزهيم فتبادى على ممارسته الى
ان هزمه سنة اربع وخمسين والى بركان يعرف بصراط . وهي واقعة
مشهورة وكان تعرض على الوادي وحال بين الماء والجملة فزاحته فرسان
الرجال . وكان ازعمهم في ذلك اليوم الثائد حسن وظهرت منه شجاعة قوية
ضربت به الامثل . وهو اول من باشرة بالحرب فرحل عن الماء عشوة
بعد قتال شديد وانهزم هزيمة شناعة ولم تلم له بعد ذلك قائمة مدة
حياته واخذ يلاطفه ويهاديه ويهادنه ولم يكن له ذكر بعد ذلك . ولم
يمت الباش حتى خدم ركابه اولاد خالد المذكور ووقفوا ببابه واحتاجوا
اليه * ولم سارت هذه السمعة بين القبائل من العرب خافوا من سطوته

فأخذوا بالطاعة وجاءتهم الوفود من كل مكان وهادوا على قدر مراتبهم وأتوا
 من جميع الجهات بالتهنئة ودانت رعاياهم وبلغ مناء واقفل إليهم شعراء
 العرب وشعراء الحواضر والتمدن وأشعارهم وأجازهم الجوائز السنية وانتشر ذكره
 في الأفاق إلى أن طلق الوجود ولم يسبق حي من العرب إلا وعندة خبير
 من سعادته فتكلمش كل متمرد بعد ذلك ورد كل شيخ من العرب أن يكون
 مملوكا . وكذلك شيخ مشايخ العرب الذين في ناحية الغرب الشيخ ابن
 علي دخل في سلك الجماعة . ولم تسعه إلا الطاعة . وكان من المتمردين
 على مسكر الجراتر وهزمهم مرارا عديدة * فمن سعادة البشا المرحوم أنه كان
 يتصرف من أذنه مدة حياته . وأوصى بأولاده إليه بعد مماته . فكان لا يشيخ
 أحد منهم إلا بعد مشورته . وإذا أصابهم صميم دخلوا في مماته * ولما دانت
 له جلته هذه الجبابة وصفها له زمانه جمل رعيته على أحسن طريق .
 وانقطعت قلوبهم مع بعد أوطانهم من خوفه إلى أن صار كل مسافر لا يحتاج
 في سيرة إلى رفيق . وربما سافر عدة أيام وليس معه إلا رادة وبضائعه ولم
 يلف من يتعرض له في الطريق . واحتدث المسافرون في جميع الأفاق . ولم
 تكن مدة حياته قبيلته من العرب تميل إلى النفاق * ولما ساعدة القدر
 على مراده حظ بكل كلمه على من أراد أن يكون من اصداة . وذلك أن جماعة
 من أكابر الحاضرة والقواد كانوا يريدون انتقص من ايته . ويتطاولون إلى
 رؤيته . والقدر يقول له أنت أمير دولتنا . تصرف بما أردت ذلك باعنتا .
 فرد عزمه إلى أهل البلد وبدأ بأكبر قوادهم القائد عبد الله بن خوران وهو إذ
 ذاك قائد القواد فصادرة واستصفي ذخائره وأمواله بعد ما كان متكرفا عليه .
 فدخل في طاعته وجث بين يديه . ومن كان يأنف من مقامه . وبأبى
 أن يكون من خدامه . الشيخ مصطفى شيخ لاندلس مكث عدة سنين في انحرافه
 وخلافه فذاقه هوانا . والبسه من ثياب الذل الوانا . واستصفي جميع ما كان
 له ومات طريدا في غير وطنه * وكذلك شيخ عرب طرود الشيخ صالح
 الحذنة مثل ما أخذ غيره . ودمر ذكره واستصفي خبره . ولم له الأمر وما بقي له

سارع في دولته ، وهلك عدة رؤساء ممن كانوا في خدمته . مثل الصنادلة
الذين هم كتابه وامبي القاسم القفصى وعلي هذا كل هؤلاء من المحولين
في نعمه لما كثروا بها ائدهم اخذة رابية واسترجع منهم ما كانوا اقتنوه من
امواله ولم يبق في المملكة إلا من كان مطعاً له ويصرف بامره ويقف
عند حده ونال سعده لم يثله أحد ممن تقدمه من المصطفين . وجلس في
رتبة تصهني رتبة بني ابي حفص وكان يعد من السلاطين ، ونصرفت
المملكة من نهيه وامره . ونال ما لم ينله أحد في دهره . ولد صف له الوقت
من اقرانه ، وخلف كل أحد مشغلاً بشانه ، نادى لاهل زمانه هل من
مبارز فلما لم يجبه أحد جل الدهر على كاهله ونصرف كيف شاء . والله
سبحانه وتعالى يوتي ملكه من يشاء . وكانت محاله السعيدة اذا خرجت
كعدتها لم يكن لاهلها تعب وكانهم يشبهون في العمالة والاموال تجي بلا
تعب واكثر محيها حسون فيما * وهو اول من اتخذ قاصيا لمحلب كمعادة بني
ابي حفص واتخذ الكروسة لرفاهية السفر وشالب احكامه لا تخرج من
احكام الشرع إلا ما تدعو اليه الضرورة من قمع فساد او سد ذريعة مما
يستحكم بالقوانين . ونجرت من مراليه عدة زعماء لا يحصى عددهم كل
واحد منهم يعد من الملوك وجدته التشريف الملوكية . ولاوامر الخاقانية
وطار صيته في البلاد الرومية . وبعث الهدايا الجليلة الى الاغاثاب السلطانية .
وماجر الى حضرته العلماء والادباء وجاءه كل طالب برحق من البلاد
الجزائرية . وانتشر ذكره في جميع الافاق . وهدوة من مصر ومن الشام ومن
العراق * ولما لم ما احب من دهره تفت نفسه الى الرتب الملكية .
واراد ان يتطم في سلك الفرائد السلطانية . فطلب من الباب العالي منصب
الباشوية . فبعث هدية حافلة لم يدخل من الغرب مثلهما للديور الرومية .
وعرضت على الحضرة العثمانية . فسيرت له الخراج الخاقانية . وكانت
هدية في ستة ثمن وستين والى صحبة ابن كهار فكانت يصرف بها
لعمل وبلغه السعيد في اواسط رحب من السعة ننسها ودخل الى الحضرة

بشعار السلطنة * وكان يوم دخوله يوما مشهودا تباشرت به اهل البلاد
وباشروا الولاية على اكمل حل ولم تقع في ايامه مظلمة مثل ما كانت في
زمان غيره . وشمل الناس بعدله وخيره . ومدحه شعراء وقده . واذاب كلا منهم
من قدر مرتبته . ونمشت المراتب على احسن حل وكان الناس في ايامه
في هناء لم يروا مثله . وايامه عدت من حسنات الدهر تستقبل الله منه معيه
وفعله . واستمر في منصب الباشوية الى سنة ثلث وسبعين والفر ثم بعث
الى الباب العالي واستعفى من المنصب وحله فقبل منه وفعا عنه وكان
خليفته بالباب في رتبة صالية وله المشاعات عند اهل الدولة وكل ذلك
بهمة استددة . وبعد انفصاله عن الباشوية طلب الراحة لنفسه وكان
سابقا تخلص عن جميع بلاده لاولاده وقسم بينهم المناصب فقدم ولده الاكبر
مراد بي على المحل وحراجها وجعل بيد اخيه الذي يليه وهو ابو عبد
الله محمد باي صنجق القيروان وصنجق سوسة والمنستير وصفاقس وجعلته
رهباهم . والمذكور هو باشا زماننا . وسياتي له خبر بعد هذا وقدم ولده
حسن على صنجق افرقية وكلهم تسموا في حياته وتلقوا بالباب البايات
وكل واحد منهم له صيت وصعته ولم يخرج من الدنيا حتى راي ماسرة
من بنيهم وبني بنيه وتلقب بنو بنيه بالبايات في حياتهم ولا زال متناديا
في افعال البر والاحسان ولاخذ بقلوب اهل العلم والصلاح وتن اصابته
. فنبته من اهل البلاد يابجا اليه فياخذ بخواطرهم ويتجز من هفواتهم الى
ان لحق بالله تعالى وكانت وفاته رزعا على اهل تونس سحر الله بمنه
وكرمه . ولذكر نبذة من مآثره التي بقيت بعده على سبيل الاختصار ولو
تبعناه كلها لاحتجت الى مجموع مشغل فتمسكنا تشييده منارة
الجامع الاعظم ببناء ضخيم وجعل في اعلاه درابزيني الموزنين الحجر في
الصيف والبرد في الشتاء وجعل رخامة تقبل الناظر اليه . وحزبوا اسمه
عليها . وتاريخ البناء بابيات من انشاء لاديب الشريف السوسي *
ومسما الحنايا المجلوب عليها الماء من مسافة بعيدة من عاب رقصة

صاحي بها الخديعة القديمة في ضخامة البدء وانفق عليها أموالا لا تدخل تحت حصر ونعم بناءها في عدة سنين وادخل ماءها الى المدينة وفرقه في أزقتها ووقف عليها أوقافا للقيام باصلاح ما يتعطل منها فانتفع به الناس إلا أنها في هذا الوقت تعطل بعضها من شدة الفتن * ومسن حسنة انشاء المارستان بحومة العزافين وفيه عدة بيوت في اسفله واعلاء للمرضى وجعل له اوقافا للقيام بلوازم الذين يحلون به منهم وخدمته يخدمونهم وطيبا ينظر في علاجهم وما يحتاجون اليه من اشربة وادوية ومن طعام وكسوة وقراش وغير ذلك وجعل له باطرا ينظر في اوقافه وهو اليوم جاز على احسن اسلوب تقبل الله منه * ومسن حسنة بناء الجامع الذي براء تربته مقام الشيخ سيدي احمد بن عروس نفع الله به وكان موضع دوا فشتراها من اربابها بثمن طابت نفوسهم به وببلغه شيء كثير وبناؤه في غاية الحسن والخطامة بحيث لم ير في المغرب اسر منه وخطامته نبي من ضخامة يائيه واقف عليه اوقافا جليلة لامامه وللمؤذنين والقراء وما يحتاج اليه وجعل فيه مدرسا للعلوم الشريفة وجعل امامه من السادة الخفية تقبل الله سعيه . وجعل فيه تربته بديعة وهي لم تكمل الى اليوم ونقل اليه حمة والدة وخبره به ومن مات من اهل بيته وبقيت فيه اماكن لم تكمل الى زمن هذا قبله الله بحسانه * ومسن محبته في الفعل الجميل ما سارت به الركبان افتكاكه المراكب التي اخذت للجرائدين من ايدي النصارى المرة بعد المرة بصال جزيل وانعم على الماسوريين وكساهم واحسن اليهم وصرفهم الى بلادهم وهذه اسارى ممن سواهم بعث بطلبهم من بلاد الكفر وخلصهم * وكذلك احسانه الذي كان لاهل الفيوان في كل سنة بفرق بين صغائهم واهل البيوتات منهم * ومن سخائه وعلو همته انه سمحت نفسه في يوم واحد بما قيمته مائة الف دينار وهي الواقعة التي جرت بينه وبين سليمان باي عند محسنته اداء واحد منه العليطة والزندالة والسانية التي كانت لبني ابي

جلس في رأس الطايفة فسمح للجميع لاحد خوجه الذي كان سردار العسكر في ذلك الوقت * ومن المأثور التي بقيت من بعده ما احياء من منازل باردو وشيد بها القباب الرفيعة وزاد على ما كانت عليه في ايام الخنصيين فمن شاهدها حكم بعلو شأنه على من تقدمه وكان موكبها بها كمواكب السلاطين ويحضر موكبها في سفرة وحضرة جماعة من الخنيس والمهيين والعلماء والتكلمين والشعراء والادباء ويجلسون في مجلسه على طبقاتهم ولهم جوائز سنية ومرتببات سنوية تزيد على الخمسين ألفا دون ما يتعبر من هدايا وملبوس وهذا غير ما يصرفه في عساكرة واصلاح شأنه وما يحتاج اليه اهل بيته وعلمائه وحشمه واتباعه ومرتببات اجناده وهذا شيء لم يسمع به لاحد في اقليم المغرب * وبعث بصدقائه الى الحرمين الشريفين وحاجاتهم جماعة منهما فحسن اليهم وكان فضلاء الحضرة يحضرون محله وقت اقامته بتونس وجعل لاهل القبروان صدقة سنية وكان يميل بيرة وراقتهم عليهم ومن اهل سوسة من كان يقد اليه في غالب السنة ، ونال وجدة عنده مفتاحا الشيخ ابو العباس احمد عرف العلي والشيخ ابو عبد الله محمد عرف العروي وهو شاعره ومادحة له فيه وفي ولده القصائد الطنانة ، وكان اديب وقته وشاعره من غير مدافع ، وكان يجله ويحسن اليه ويانس به . وللشيخ المذكور ولد فجيئ قدمه والده في حياته للفتيا وكان يروي مسند البخاري بحضرة والده في مجلس البشا في السه التي مات فيها وقصد ابتداء به مرصه فكان يحضر الاستماع للتبرك بالحديث الشريف وبه ضعف وهذا من حسن فتيه بحيث ختم صرة بهذا الختم الشريف ختم الله له بمخير الاعمال * وربما نائي لم بمحاسن اخرى في غير هذا الموضع عند ذكرنا محاسن تونس وخاصة هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وصلى الله عليه في شوال سنة ست وسبعين والقب وحمل على الاعناق وكان له شهيد عظيم ودفن في تربة والده في جدهم الذي بنه وكانت وفاته رزءا في المدينة ساحه الله وحف عنه * ومثهم الامير المصطفى ، وصاحب القنطرة الامم ، قديم المرددين من اهل النصارى ، المرحوم

مهرجته الملك الجواد . ابو النصر مراد باي انشرد بتدبير الاوطان بعد وفاة
والده المرحوم وكان تخلى له عنها في حياته ولم توفى والده ثم لم الامر
وكن صدرا من الصدور تمام القامة بديع الشكل اشهل العينين واسع
الصدر بعيدا عما بين المشككين علامات الملك ظاهرة على شمائله من رداءه
ادركته حريمه منذ را بتدبيره لا يشكل على احد قد تولى في فحوة الملك من
والده ولم سطوة وصولته قامعا للاعراب لم نقم لاحد منهم قائمة في ايامه
مشتتدا لاحوال ريشته قاهرا من عداوه مهد البلاد كتمهيد والده واجرى الامور
على عادته يحصب الصيد والقنص ومكابة صهوات الخيل وهي هذه من اغنى
الفرض ولم تجر في ايامه حادثة تشكدر عنها الفرس إلا الواقعة المشهورة
التي يعبر عنها بواقعة الملاسين والتي قبلها الواقعة في تغيير دولته شعبان خوجه
له ارادة الله تعالى من تغيير النعم . وبهذه الواقعة انفتحت ابواب الفتن .
واجتهد اهل تونس الشدة والباسة وصدوروا بالحق . ونذكر بعضها على وجه
الاختصار . وذلك ان الباي المذكور لم يكن له اهتمام إلا بامور الرعايا التي
في الاوطان . ومدير المدينة واهلها على مثل ما سبق هو الدولاتلي والمستولي
في هذه المدة الحاج شعبان داي وقد تقدم ذكره فاعراه بعض الاعداء
من اربع الباي ومن كان تحت نظره . وقد سوت له نفسه ان يقوم
مقامه واتفق مع جماعة وحسبوا للداي المذكور ما لم يكن حسنا ولا راد
لامر الله وانتشيت آراؤهم الفاسدة على الفلك به وذلك موجبه الجسد لما
خولم الله من خيرة وإطلع على ما اضره من الشر وكتب اليه بعض
اصدقائه بالخبر فلما ثبت عنده ما اضره رجع بمحلتهم كعادته وكتم سره
ولم يظهره إلا لمن يثق به من بطانته . ولما قرب من المدينة بمحلة
خرجت وجوه السس كعادتهم الى لقائه وخرج ابن احمد خوجه واجد بن
القائد جعفر وهو احد مدليكهم وثبت عنده انهم اصل الفتن وهما اللذان
اغريا الداي فلما عليه قض طبعهما ورجع بهما الى محله فلما شعر الداي
بذلك علم انه المطلوب فبعث جماعة من الكبراء دولته يعتذر الى الباي وانه

ما اراد شيئا وانها اخبار كاذبة وحلف بايمان ولا امر فثبث بخلاف قولهم فلما وصلوا الى المحلة التقى بهم واعلموه ما ارسلوا به لهم فاخبرهم بدلائل قاطعة فانفق معهم على خلعهم فخلعوه بين يديه وقدموا بذلك من اراد وهو الحاج محمد متشالي وبايعوه بين يديه ورجعوا به الى تونس وعند وصولهم القصبة دخلوا على الداي الحاج شعبان وخلعوه واخرجوه وجلس متشالي مكانه وكفاه الله شر ما ارادوه ودخل الى حصرة تونس مريدا بجورا فخافته نفوس اعدائه وتصرف في البلد بنفاذ الكليته وتيسر له ما لم يتيسر لآبائهم وبعث بابن احمد خوجه الى بلد تستور وحسنه هناك ففر من محبسه وابن القائد جعفر ارسله الى بلد الجريد فكان ذلك اخر العهد به وهذه الواقعة سنة ثلث وثمانين والى ولما الحما بحضرته احسن الى وجوه اهل الدولة وفرق فيهم اموالا واستجلبهم وطيب خواطهم واطمانت نفوسهم والتج اليهم محسنهم وخافهم مسيئتهم وتصرف كيف شاء ونفذت الامور على ما اراد وخرج في السنة المذكورة كعادته الى بلد الجريد لجباية الخراج فجاءته الاخبار ان اهل طرابلس وعسكرها عصوا عن باشاهم وحاصروه في قلعتها الى ان مات بها وانه اوصى باولاده الى البلي المذكور فسر الى طرابلس ليكشف الخبر فخرج اليه عسكر من طرابلس فاعذر اليهم وحذرهم وانذرهم فابوا الا قتاله فقاتلهم وقتل اكثرهم واسر باقيهم فعفا عنهم وجاءته مشايخ البلاد والمراطين وطلبوا منه ان يرجع عنهم ولا يتعرض لاحد بمكره فقبل منهم ورجع الى بلاده وانتشر الخبر فخافته نفوس اعدائه واضمر له اهل الشر في قلوبهم داء فعجل لهم بدوائه وذلك ان جافة من العسكر زرع ائله في قلوبهم الحسد على ما رزق من النعم واراوا العسكر به كما فعل الذين من قبلهم فقبولوا بالنقم فاتفقوا في غيبتهم هذه ودخلوا للقصبة البلد على حين فتلوا واخلعوا الداي الذي بها واجلسوا عوضه دايا اخر وهو الحاج علي لاز وقد مر ذكره وبعثوا بينهم على المكر بالبليات جميعا وبعثوا عليهم كان يوم الملاء وهو يوم دم واول يوم من الحسوم فبقيت اهل اعتزل

بإراقتهم دمه ، وحكمت بحبسهم ، ولم فعلوا ما فعلوا خرج الكرم محمد باي
ولحق بأخيه وأتزر بعضهما ببعض ورجعا إلى بلد الرواريين من ناحية الكا
وبعث الحاج علي لأمر يخاصمهما فلم يثده شيئا فعند ذلك أمر أن تنهب
دير البايات فأخذوا من متاعهم ما قدروا عليهم وصارت هرجة في المدينة
وخرج إلى الباي جنات ممن ينتمي إليه وكرة الناس هذه النازلة لما وقع
بسببها من الفساد في المدينة واستعظما الأمر ، ولم فعلوا هذه الفعلة قدموا
على أنفسهم محذرة وجملة مقام الباي وركب في الأسواق وطيف به
وحلس في بعض منازلهم وأخذ يستعد لحربهم وبعث إلى طائفة من العربان
واستنصر بهم وخرج بمحلة ونزل بالملايين وبه سميت واقعة الملايين وهو
المكان الذي في طريق سيحون فبعث إليهم الباي يحذرهم على فعلهم فلم
يرجعوا عنه لأنهم جماعة من أشرار العسكر وروساءهم لم تكن لهم عقول
للتمييز وغلبت أشراهم أخيارهم فبعث الباي إليهم بعثا بعد بعث فكانوا
يخرجون كل يوم إلى خراج البلد ويستشرون معهم من هو على رأيهم
وجاءتهم مشايخ العربان وسخروا بهم وهونوا عليهم الأمر وأخذوا منهم دراهم
وثبوا على الرحيل فلم يجدوا من يحملهم فلم تكن إلا أيام يسيرة حتى أقبل
الباي إليهم بأجدة وزمولة ونزل بمقرية من سبدي علي الخطاب وتاهب
لقتلهم فلما سمعوا به استنفروا بقية العسكر وخرجوا إلى المكان المذكور وأخرجوا
مدافع كانت معدة لهم وتقدموا إلى مكان يعرف بعقبة الجزار فطلعت عليهم
الخيال من ناحية الباي وكان الباي في مرادة ابتداء الحرب إلى غد فلما انتهى
الجمعان وتداولوا القتال لم تكن إلا ساعة من نهار حتى ولوا على أعقابهم
منهزمين وأخذت مدافعهم وأمتعتهم وقتلت منهم مقتلة عظيمة لم يسمع بمثلها
فيما تقدم ومن نجا منهم دخل المدينة واتجه إلى القصبة بقية الجماعة وألقوا
عليهم الأبواب وتحصنوا بها ، وهذه الواقعة كانت يوم الجمعة في النصف من
صفر سنة خمس وثمانين وألف ومن غد أصبحت القصبة مغلقة الأبواب وأهل
البلد في حيرة لم تكن في حسب وحدث الأعراب في أطراف البلاد وكان

المخطب جليلا . ويوم الأحد قدموا دايا آخر وهو الخراج مائى جمل وبعضوا
أكابر العسكر الى الباي يعذرون اليه فقبل منهم وأمرهم باخراج الفسدين
من بينهم فبعثوا الى الجماعة المتحصنين بالتصبة فتخادعهم الى ان اخبرهم
ومشوا الى زاوية الشيخ سيدي محرز فلم يعن عنهم فاخرجوها منها وقتلوا . وتبع
الباي كل من ركن اليهم ولافعالهم وقتل اكثرهم وما نجا الا اقلهم واسترجع
ما نهب من امواله الا ما قل . وهذه الطائفة فعلت الاوابد وافسدت
وخربت ولم يكن فيها صاحب ثقل وكادت ان تحرب البلاد لولا ان لنداركنها
الله بهذا السور . وكانت هذه الواقعة صرة لاهل العصر . ونداركن الباي
المذكور احوال البلاد فصرى عنها العرب الذين اتوا معه فردهم الى اوطانهم
وامن الناس على ما بايدىهم وكفى الله المؤمنين القتال واقام ببنارم في
باردو واخذ يتبع اهل الجنديات الى ان افنى بعضهم واجلا بعضهم وكتب
اوامر وبعضها مع جماعة من كبار العسكر الى الباب العالي وجاءه الجواب
على منتهى مرادة . ومن هنا رأت صولته وعلت همته وسافر في سنه الى
افريثية كعادته والامور الاحكامية تنفذ في المحصرة باؤمره ومشورته وؤادت
همته على من تقدمه من ابيه وجده . وقال : لم ينله احد في اقليم المغرب
بحزمه وجده . وفي هذه السنة اخذ اهل وسائل في الشن . واعلنوا
بالعاق . وكان قد لما اليهم ابو القاسم السوك لانه خاف من سطوة مراد
باي لانه تحقق عنده انه كال من وانس اليه . وساعد بعض اهل اقليم
سرا وكاتبه وميل اليه . فخاف على حسنة نفسه . واهتم بالجل مع ابيه
جنسه . لان هذه الواقعة المذكورة كسفت احوال كثير من المستدين .
واظهرت خبيائهم الباطنة فنعل بهم ما فعل بقم . اخرين . وكانت لها سبعة
بين اهل البلاد الغربية . واتصل ذكرها بالبلاد الشرقية . وكنت مدحمة
على ذلك بقصيدة دالية فجاءت بسعادته على وفق المراد . وتوالت بحضرة
على السامع الشريفة وحليتها باسم مراد . وهي اريد من مائة بيت استوفيت
فيها الواقعة من اولها الى آخرها . واشهرت اسمه واسم اخيه وولديه وجعلتها

واسطي جوارحه * واول القصيدة من محسن ما يذكر بين الناس ، وهذا
 اذ ذكر شيئا منها كما اذكر اسم الممدوح ولا بأس ، اولها -
 زمان الصبا هل له ان يعاد وان كان ماضيهم لا يستعاد
 وهل للشبيبة من رجعة ثقباني بعد ذلك البعد
 وما رلت مستمرا في فخرها ، وشكاية الدهر وما فعلت الايام بمثلها ،
 وتخلصت الى الممدوح بقولي -

ولله من عصبة رفعتني بعدم ركاب وعلم المراد
 يسألني بعضهم في المسير الى اين قلت لئسم يمراد
 ونظمتهم بعض ما في الضمير وشاورت كلا على الانفراد
 فقلوا قوم لبعض الملوك فقلت اصبت فهذا مراد
 بتونس انساها قسدره فصار كما قيل ذات العمد
 امير جيوش محال الهنكا ورب الثنا لجميع البسلا
 له همة بلغت للسلا وصورته عن ظهور الجياد
 اذا ما علا اظهر الصافات يزحزح في الارض صم الجماد

ومنه -

ايا ملكا فاز بين الملوك وللمند والمال جعا اباد
 فلومش كسرى لهذا الزمان اطع والقي اليك القياد
 ومنها في ذكر ولديه النجيبين

ولفرقدين به نسبة فلانس ذكر الكرام الجيد
 محمد نحمد او قائلهم علي اخوه علي النجيد
 هم كاليديين وكالمقتبيين وكالبيريين لنفع العباد

ولو لا خوف الاطالة لاتييت بها عن آخرها * ومحدث بقصيدة لامية
 لامير الاسعد ابا عبد الله محمد الحفصي واتيت بما يليق بكل واحد منهم
 حصلت الجائزة من الاخوين ، جازاه الله بنواب الدارين ، ولكل واحد
 دأقر وحسانات ثلتي ، وكلهم مستحق المدح والمدح لهم اولى ، والله تعالى

هو المسئول أن يذهب عن جميعهم الخير ويقيم كآفث . ويلهمهم الرشدي
 الماضي والحال وما هو آت . ولترجع الى بقية اخبار المرحوم مراد بي
 فليتحقق عدة نفاق الجبل . اخذ في استعمل المكر به والحيل . وكاتب
 الشوك يخوفه ويحذره وهو عنده على نفاقه الى ستة خمس وثمانين والـ
 خرج اليه بمحلتين عظيمتين واستشر جعا عظيما من اهل البلاد وخرج اخوة
 معه بمحلت من صبيحته ونازل الجبل واداروا به من كل فج وبعثوا الى اهل
 جمعة من الفقهاء والمشائخ فلم يتفق لهم طاعة فعند ذلك امر بقطع اشجارهم
 وصايق بهم الحصار الى ان دهمهم وحل بدارهم ودخل الجبل عنوة . وقطع منهم
 النخلة . وفر الشوك امامه بعد قتال شديد . وقتل نفسه بيده وجي براسه
 ومربك بظلام للعبيد . وكان هذا الفتح في شهر صفر من السنة المذكورة .
 ورجع بعساكره ومحلة المنصورة . ويوم دخوله الى الحصنة عد من حسنت
 الايام . وعام سعيد على اهل تونس بفخروهم به على الايام . ودخلت المحل
 على كرتين . وقسمها بين ابيهم كائنس . دخل ولده الاكبر امولى محمد بي
 بالمحلة في اول يوم ومن غد دخل اخوة المولى علي بي . وهي اول محلة
 دخل بها . وظهرت عليه ذلك اليوم سحائل الامارة والبي . ووقع للنس الحرجة
 في يومين . وعوذت النس الاميريين الانبي بناني انبي . ونشرت على
 رؤسها لاعظم الخاقانية . وصربت الطبول العنانية . وكانت هذه الايام من
 تمام السعادة . وبه حتمت حياته الى ان ختم الله له بالسعادة . وهذه اخر
 سفرانه . واما اخر ايام حياته . ولم تطل له الايام من بعد . وتحدثت من بين
 اقاربه ولايم مولعة بالشد . وتوفي بمنزله السعيد بداره في العشر الاواخر
 من جادى الاولى سنة ست وثمانين والـ . وحمل على الاندق ودخل
 الحصنة ودفن في تربته ابيه وجده بجامعهم المشهور . وانثر بعقله بعد ما
 كانت عامرة به المنازل والقصور . وكانت جدرته حافلة وغلفت الاسواق
 وبكت عليه الناس . وبمروته الفتح الخرق وجار على اهل البلد الشر والباس .
 تسمى الله ان يرد كل خائف الى مأمته . ويلهم ولدته امتولي منها اصله

وطنه انه محبوب الدعاء به ومن سجدته رحمه الله تعالى استجابة مسجدا
ببلد بنجة من احسن المسجدين وجعل امامه من الطائفة الحنفية واقف
عليه ما يحتاج اليه ، وكذلك مدرسته بديعة الشكل عند باب الربع بمدينة
تونس واشتهرت باسمه يقال لها المواديت وبعضهم يقول لها مدرسة الثوبة
لأنها كانت مسكنا للأجداد قبل بنائها ويقع فيها الشجر فغير رسمها لأول
وجعلها لخدمة كسب الله والعام وبها امام ومدرس وعدة بيوت للقاطنين بها
ولهم منسبت وأوقف عليها عدة حوانيت باراتها ، وأوقافا آخر بحيث تكمل
جارية أهلها ، وسئلت من تاريخها عجايب الجمل ، مدرسة علم انابه الله على
ما فعل به ومن فحامة قدوة ، عا ساد بين الخافقين بذكره ، الوليدة العظمى
التي صرع لواءه الاسجد ، مولى المنصور الجلي والتقدير العلي ، ابي الحسن المولى
علي ، ولأخيه حسن بني أبي أخي مراد باي كانت من عجائب الدهر .
وتذكرة لأهل العصر ، صاغي بها الولائم السابقة لأبيه ، وأرمى في التجل
كعادة أسلافه وراد فيه ، وكانت سنة ثمانين والثب وانفق الساس انهم لم
يروا مثلها إلا فيما سبق لأبيه وتايه الأجاج حصل ، وعليها أن هذا الفرع من
ذلك الأصل ، حتم الله له ولهم بالسعادة ، وأراهم المحسن على صنيعهم الجميل
وريادة ، انه ولي ذلك والعاذر عليه ، ومن البيات الذين حصلت لهم
الرئاسة وحصل الأجاج على تقديمهم إلى أن دخلهم منافسة ففاسى كل واحد
منهما ما فاسى وهما الاميران الأجلان لأخوان الشفيضان اللذان رصعالبس السيادة
من ثني واحد ، ولم يكن لذي مثل أن بفضل واحدا على واحد ، إلا أن لله
في خلقه أسرار ، ويعلم ما جرحتم بالليل والنهار ، ولولا قدر الله الذي سبق
في علمه ، لم يكن واحد منهما أن يتزحزح عن رتبته ورسمه . ولدت بنته
صا وقع بينهما إلى أن من الله تعالى على أهل الحاضرة بمس صلح بينهما وذلك
يوم وفاة المرحوم مراد باي كان واده الأجداد أبو عبد الله محمد وهو أكبر ولده
في العائلة كعدنه لأن والده كان بنوهم في حياته وشقيقه أبو الحسن علي
- حضر وفاة والده - سر إلى رحمة الله انفق أهل أهل والعهد على توليته

الانبياء الاتيها كالتيرين ولا فرق بينهما ولا فصل لاحدهما في السيادة والتدبير ، الا كما يقال في المثل فصل الكبير على الصغير ، فسيروا له صحة اخبر جماعة من افواج العسكر وعصبتهم خلع سلطانته واوامر شريفة بولايتهم جميعا ورثت باحثة على العسكر ولسا السديف وصربت الطبول ونشرت على رعوتهما الالام المؤكدة وتباشرت الناس بهذه الولاية المسجدة ققام المكرم محمد باي بلامر احسن قيس ، واستوفى خلاص وعيته على التمام ، ونفذت الاوامر على وفق مراد الاخيرين ، واستوفيا ، كان على الرعية من الدين ، ورجعت الى حضرتهم في شهر رجب من السنة ، فله قرن من المدينة خرج اليه الناس على العادة للتسليم عليهما واجتمع بهما من لا يخشى الله والقي لهما كلاما باطلا افعلوا منه وكادت ان تكون لنته لولا طلب الله ومن غدا دخلا في مركبهما على العادة ولم جلا بدار عزهما دخل الكرمون بينهما بالنعيمه واظهروا لكل واحد منهما الصيحة واغروا بعضهم على بعض وكان بيان الفهم على اساس فرادوا ان يتقص ففتح بينهما باب العن وجرت بينهما مناصحت في السر والعلاني وكل منهما يدعي انه المبغى عليه ، واراد كل واحد منهما ان يعلم له وما عليه ، وطلب المكرم محمد باي ان يثرد بلامر على ما كان في زمن ابيه عليه ، وضاب احوه المكرم علي باي ان يكون مساركا له فيم لديره ، واي كل منهما ان يسام كلاما لغيره فجرت بينهما مناجرة وصم ، وعال امورها الى الحكم ، وحضرا بلديوان المصور ونذات بين نذات الكبر العسكر وصناديد بعضهم بعض ، وانتقد ان يسا كلاما الى عبيد الكبر فرصيت جملة اهل الديوان بذلك وقدموا عليهم ، وجعلوا بيده التصرف في المخترة والله ان فخلعت عليه خلع الولاية وركب بسعار السلطنة ونادى المندى في البلدواهم الناس بولايتهم فجاس به اس حكمه ، وخرجت الاوامر بسمر ، وهو الامجد الانجي المولى ابو عبد الله محمد الخنصي ابن المرحوم المولى ابي عبد الله محمد بسا بن المولى المرحوم مرجة المالك المولى مولانا امي الطاهر مراد بسا تار الله الجميع .

ولما لم يأتهم في إصلاح شأنهم وانعم بلهيات والصلوات على جميع من
يستحق احسانه فأنشئت نفس المكرم محمد باي من تقديم عمه وحكمهم سره
ولم يظهر لاحد خبره فعزم على الفرار من المحاصرة ووافقه ابن عمه وبعض
جاشيه وطلبه وخرج الى طاهر البلاد كعادته واخذ متوجها الى بلد الكاف
اواخر شعبان سنة ست وثمانين فجد في سيرة الى ان بلغ الكاف . فكموت
في المدينة الارجاف . وانقسم الناس واختلفت آرائهم واهواهم وتزايدت
الافويل . واختلف القائل والقال . ولما حل بالكاف اجتمع اليه خلق كثير
من كل الجهات فانعم عليهم واحسن اليهم واستخرج من ذخائر والده وانعم
على وقده ونجى لمحربة عمه . وكان من قدر الله انه قبل خروجه من المحصرة
اقبل الركب الحجاري وشيخ الركب محرز بن هندة وكان من رحل الدولة
في زمن الالفة فلما حدثت هذه الحوادث خاف المولى الحفصي ان يتفاجم
الامر محسن المادة بان خلع نفسه ورد الامر الى حفيدة وبعث الشيخ المذكور
الى بلد الكاف لاصلاح ذات بين فلما وصل الكاف حكم العداوة اكثر مما
كانت عليه وفي غيبته كثرت الاراجيف . وبقيت اهل الاهوا في كروفر
وعظم على الناس الغش وتسامعت اهل المحصرة ابن الباي غزا من الكاف
على بجة واخذ منها ما يستعد به ثم غزا الى ناحية القيروان واخذ شيخ
الزمله احمد الرقيعي وقتك به وانه معول على المجيء الى تونس لمحاربة
اخييه وعمه . فلما سمع عمه بذلك خرج من المدينة وخرج معه ابن اخيه
المولى علي باي ليجبعا امرهم ووقعت هرجة في البلاد وفي اثناء ذلك رجع
محرز بن هندة من الكاف فالتقى بهم ومون الامر عليهم وذلك بخلاف ما
في ضميرة فرجع الى البلاد وحلف لهما العسكران لا يفضلوا احدا على احد
ولكن من مواساة من اكابرهم . ورجع محرز المذكور برسالة غير الاولى فراد
بمكيدته في تأكيد الشر ونزادفت الاخبار وتواتر ان الباي انقسم لا يدخل
البلاد وعنه فيها او يقتل به وذلك في شهر رمضان المعظم من السنة فلما
صح الخبر عند عمه كره اقامة الدماء بين الفريقين فعزم على الخروج من البلاد

وهيا مركبة حمل فيه ما يحتاج اليه وسلم ملكه ومناحه وخرج بمن يليه وركب البحر من ناحية رانس ويوم خروجه تفتت لاكياد ، وتطعت قلوب احابيه من اهل البلاد ، وكان الهول عظيما ، ولا امر جسيما ، ولا حول ولا قوة الا بالله كيف تفرق الشمل بعد التمام ، والعقد بعد نظامه ، وهذا هو السبب في رحلته الى الديار الرومية ، والتقدر يحصله الى ان بلغ الى الرتبة الملوكية ، ورجع بشعار الباشوية الى الديار التونسية ، وقد مر له خبر قبل هذا في غير هذا المحل ولما سمع حفيده بخروجه من الحصرة اقبل الى البلاد ، بمن صحبه من روساء وقواد ، فخرج عالى الساس الى لقائه ، وخرج اخوه مع من خرج فغس منه واظهر له الشكر والمقد في باطنه اشكر وحل في منزله بباردو وجاءه الناس وهنوز ، ثم وقع بينه وبين اخيه اتفاق على ما رغبوه ، ولم يتم ذلك والزمه لاقامته ببعض قصورهم خارج البلد وان لا يدخل الحصرة في غيبته وتبين الى المحلة في شول سنة ست وثمانين وخرج تحت الصنديق وسافر الى بلد الجريد على العدة ، وفي غيبته تقوى الطاعون بتونس ومات من اهل بيته جلته من اقاربه واخوه ثم يحضر جنازة احد منهم وماتت زوجته ولم يحضر جنازتها ، والاخبار واردة بما نعيموت منه النفوس وفي اثناء ذلك مات عمهما حسن باي ابن المرحوم محمد باشا فحضر المكرم علي باي في ذلك اليوم جنازته ، وبعد ايام ظهر الخبر وذاع بين الناس ان المولى علي باي توجه الى ناحية المغرب لسبب تحقق عنده وخافه والله اعلم وسياتي بعد ، واما المكرم محمد باي فاستخلص تادته من الجريد ورجع من هناك الى افريقية ورجعت المحلة الى تونس وزادت الارجاف من اهل البلد واضطربت نار الشمس ، وخرجت المحلة الصينية من سنة سبع وثمانين لاستخلاص الوطن لا فريقي ، وفي تلك الايام وودت اخبار من الديار الرومية بان عمهما وصل اليها وودت اخبار اخر اضربا عنها فرجع المكرم محمد باي الى الحصرة والتفق مع اكابر الدولة بينهم لا يقبلون احدا من عمر واحيه ، رسل العسكر الى قوله وعلموا محضرا بجماع ارضونه وانفقوا على

كلمة واحدة ، وفي أثناء ذلك جاء الخبر بان المحلة التي للصايحية وكانت
قريبة من عمود اخذها تبع المكرم علي باي . وهو القائد مصطفى
سنيول في عدد من الاعراب فخرج محمد باي من فورة من المسجد . وجد
في سيرة ومن عند بعث برعوس اعراب لتتمكن للاحوال ولكن الاراحيف كل
يوم تزداد . ولما فرغ من امور افرقيته توجه من هناك الى ناحية القيروان
لانه بلغه فداق وسلاط فصار اليه بخيله ورجله وحاصره من كل جهاته .
وبعث الى اهل الجبل جماعة من المرابطين فوضوا بالطعنة واداء المثل فلم
يقبل منهم الا ان ينزلوا عن حكمه فخرجوا من ذلك ورضوا بالموت في منازلهم
ثم بعث الى المحصرة فادوية بعسكرين وذلك في شوال من سنة سبع وثمانين
ورجع هو في أثناء ذلك الى المحصرة واستحكم من العسكر بها اراد . وغلب
العسكر ممثل لأمرة ونعيم منقاد اليه احسن قيس . ما منهم الا ان يفديه
بنفسه . ورجع من فورة الى محله وتباحثت رسله الى اهل الجبل ولم يتم له
ما اراد فعزم ان يستصله من اوله الى آخره فهما له جهود بعد ما ترادفت
عليه من كل الجهات . ودخل الى الجبل من طريق شقي ودهم اهله بما لا قبل
لهم به ولولا ما سبق في علم الله لجعله دكا فله توسط جل العسكر في الجبل
ووقع الحرب بعين الشريطين وكادت ان تكون الدائرة على اهل الجبل
فكان من قضاء الله ان المكرم علي بي كان في الجبل بطائفة من حاشته .
وكان قائده القائد مصطفى بكيم خارج الجبل فلما علم توسط العسكر في
الجبل بادر هو الى المحلة وكان بقي بها جماعة ليحرسوا الامتعة التي فيها
والدواب فاءر عليها من خارج الجبل واخذ عدة من الخيل والجمال . وكاد ان
مائي على اخرها فحارب به من بها من العسكر ورموا عليه بالمداقع وطهرت
له في ذلك اليوم شجاعة واقدام لم يولاحد مثله حدث به من شهداء .
فما سمع من في الجبل من العسكر حس امدافع علوا بواقعة حدثت بعدهم
فخرجت قلوبهم ودخلهم الرعب فلو من هزمين لا ياوي صديق على صديقه .
لا ينظر شقيق الى شقيقه فركب اهل الجبل اذراهم واولوا عنهم مقتلاتهم

يسمع بمثلها ولم ينبج منهم إلا من وثق بأجله ومات ضالبا الروساء من
 عثماني العسكر وخليفة الباي القائد محمد بن علي وجماعة من فصلائها
 وكاد الباي أن يقع في المكره لولا لطف الله به ونجى بنفسه وخلص المداقع
 التي دخل بها لاجل في مواضعها ورجع إلى الأحيية بمن معه ومن
 قد رجع إلى المداقع واتى بها ورجع راحلا إلى الفيروان . وكادت هذه الواقعة
 تعد من الوقائع . وفيها اتسع الخرق على الراقع . وكانت في ذي القعدة من
 سنة سبع وثمانين وألف ووردت الأخبار إلى الحاضرة ولكن لم تشتهر الناس
 بين مصدق ومكذب . ثم بعث إلى العسكر يستنجدهم فأمدهم بعسكر ثالث
 ولكن لم يخرج إلا والنشل دب في أكثرهم وخامرهم الرعب ولم تطمع نفوسهم
 بالرجاء إلى الفيروان فله وصلوا إلى من بقي من أخوانهم من العسكر انتخب
 منهم جماعة مسيصة وبعث إلى الجوید بحلة مسحوقة وسراريها مجدد
 رايه صرف طريف وقد مر ذكره عند ذكر الدايات كما سبق وقدمه
 القائد مراد وبقي هو بمحلته وجاءه الخبر بأن أخاه رحل عن الجبل وأنه في
 جمع قليل فطمعت نفسه بلقائه فكتبه وطش أن م أصابه إنما كان بدل
 الجبل مجد السير في طلبه إلى أن لحقه بمكان يعرف بسبيسة وكان يوم
 جيد لأصعب والمكرم علي باي مقيم فلم يشعر إلا وأحبلت وأقبلت وخبرته
 بأحييه قدم عليه فاستدركت امردها وحببهم ودهمهم أخيرة بمن معه . وكان
 غالب من معه أدركهم التعب لعنف سيرة والتحقوا إلى كثيرة فآخذوا منها
 وبدأ النهب من العرب كعادتهم . فلما امتلأوا في النهب دههم علي باي بمن
 معه وجلا جلة منكرة ومن كان في نجدته ذلك اليوم صبرة وضهيرة شيخ
 العرب الشيخ سلطان بن منصر بن خالد وجماعة من الصباحيية فقبضواهم
 بنفوس أحيية والله يوید بنصرة من يشاء فام تكس إلا ساعة من نهار حتى
 هزمهم . وسكن عسكر المحلة أدركهم التعب فما وصلوا وبهم قوة فلبوا
 المهزيم نصبا أحييتهم وتحصنوا بها وبعث إليهم علي بي يدرهم أن
 يدافعوا عن أنفسهم خيشت منهم إليهم ولعل من الشرهين وفرائسهم بمن قدر

عمر . ورجع الى الكنف وضم اصحاب الابطاح علي باي ما خلفه اخوه
 ومجزع من جهله وكان شيئا مستكبرا لانه رفع في وجهته هذه من الذخائر ما
 لا يصنف فملئت ايدي العرب من المال ولا متعة . ولم انفصل الحرب
 بعث الى اكابر المحلة واعينهم وسكن قلوبهم ثم بعث جماعة من اصحابه
 ممن يثق بهم الى المحلة المتوجبة لتجريد فاستوفتوا بها وجيبت المجاني
 باسمه . ولما تيسر له هذا التسخ بعث بالخبر الى تونس فكان وصول الخبر
 اليها يوم ثالث العيد فزاد الهول على اهل الدولة واختلعت اراؤهم ولم يفتح
 لهم باب الى ان هبوا جماعة من اكابر الحسكر وبعثوهم الى المحلة وبعثوا
 جماعة من العلماء والمثنيين فكان من امرهم ما سبق ذكره من خلع الداي
 الحاج مامي جل وتولية الحاج محمد يشار . واحتوى المكرم علي باي على
 منصبه وتصرفت الامور من اذنه وهذه اخر محلة خرجت في تصرف الاسير
 محمد واول محلة دخلت في طاعة الامير علي ولم يزل المكرم محمد باي بعد
 هذه الواقعة مخبطا في الغمرات . طالبا اخذ الثارات . واحوا مقابل له
 في ذلك . متعرض له حيث توجه من المسالك . وكل منها له وقائع تذكر .
 وصولات وسطوات لا تنكر وتشكر . الى ان اصاب الله ذات اليل . وجمع كلمة
 الاخوس . بعد ما كان بينهما حرب ولا حرب الاخيرين . عسى الله ان يقيهما
 الحوادث . ولا يدخل بينهما ثالث . ان شاء الله تعالى . ومن البيات
 الذين شاد ذكرهم في الامصار . وانتشرت اعلامهم في هذه الديار . الامير الشهير
 الاسد الصوام . والبطل الهمام . صاحب القدر العلي . ابو الحسن المولى علي .
 باي البلاد التونسية . المتصرف في المملكة الافريقية . احسن الله اليه . واجرى
 الصالحات على يديه . وهو الذي سر ذكره في الافق . وترنم الحداة باسمه
 وحلا ذكره بسبب الرفق . وحل في رتبة المعالي في سماء العز واشرق شانه
 شروق النيرين . وارفع محله الى ان صار قطب المملكة التونسية وعلا على
 حل السهي والفرقدين . وبلغ من السعادة ما لم يبلغه ابوه وجده . وبذل
 جهته في طلب العلاء وركب الاهوال وسعدة جده . وخاطر بنفسه في

ركوب الاخطار . ولم يكل عزمه في طلب السرى وجد السير . وركب الليل
وامتلى النهار . وكافح الابطال . وباشر النزال . ودخل وسط الحرب . وقابل
انطعن والضرب . وهان طيم ركوب الاهوال . وانفق الطارف والتليد
والاموال . ولم يشع بروحه وان كان شيرة بها لم يسمح . وسلس الامور الى
ان دان له تنجح وتن لم يحصح . ولم يرل متطيا ظهور الصافيات في طلب
المسرات الى ان بلغ المراد . وجاءته السعادة متفاداة لما يامرها به وامتنلت
لابس مراد . وتصرف في المملكة تصرف الملوك . وخصعت لدولته الايام
قائلته لله ابرك . تقف الامراء اجالا لمهاشم . وتخضع له الاسود خوفا من
سلطوته وشهامته . كم اثار من حروب وباشرها الى ان خصعت له الرقاب .
وقارع الابطال وقرع بابا لم يفتح لغيره وفتح له الباب . سرى في طلب العز
كالهلال فعاد كدر الثمام . واحتجب في سماء الهيجاء بين نجوم الاسنة
وبروق البارق وظهر من تحت سحاب القتام . ونازعه نفسه في الرئاسة
الملوكية فقال انا له . واقنكم عظام الاحور الى ان بلغها ونالها . فكم له من
واقعات ضربت بها الامثال . وكم له من فتكات في اعدائه عجزت عن مثلها
الابطال . كيف لا يحق له ان يدل مرامه وهو جالس في مكانه . وكيف
يحق لمن لا يخاطر بروحه مخاطرته ان يعد من اقاربه . ورث السيادة من
ابائه وشينها على ما كانت عليه . وان جمعت من فيرة فقد جاءته منقاداة
بين يديه . وفي المثل - بالسعيد لا بالجدود - وهذا جمع بين الاثنين . وساعدة
الزمان مساعدة العبيد مواليتها واقتضى ما كان له على الايام من الدين .
وفضله وقدره اكثروا من ان يذكر . ونحاسن ايامه معلومة بين الناس فلا
يحق لها ان تنكر . وانما مد القلم لسانه لانه وجد في هذا الميدان مجالا .
وان كان بعد من الخرساء فقد اشتق وتمثل فقال -

وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لسانا قائلا فمسل
وهذا الامير مالك عنانه . وحاكم اوطانه . ومصرف في زمانه . جل
الله بمجدهم الايام . وجعل عليه كل نار حرب اضرها اعداؤه بردا وسلاما .

وفاتني بشي من اخباره ونذكر شيئا من آثاره . كان الله له وهو من الذين
وضعوا لبان السيادة . وكان أبوه لا يفارقه حيث سار وهكذا جرت العادة .
فكان يتخلل بلحلاق أبيه . الى ان أخذ الدم من مجريه . وفيه سكبته
ووقر . وتجنب من العار . وبطش وسدة وليس وحدة ودغل رصيص . وجانب
معي . وثبات جناح . وكثرة احسن . وكان والده ينفوس فيه الرئاسة وكذا
كان . ولم قدر الله على والده الموت المحتوم كان حصرا عنده وبلغني انه
دعا له بالخير ومات وهو راض عنه فقبل الله دعاءه فلم يزل في حفظ الله الى
ان بلغ مرامه . وكان من قدر الله على ما سبق في علمه ان يتول الامر اليه .
وارادوا خروجه عنه فجاءه الامر الى يديه . وباحسن قول ابي دلامته .
لما مدح الهدي واحذ الكرامة -

انتم الولاية مشادة اليه تنجرو اذيا ليهسا

فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها

ولو رامها احد فيسره لزلزلت الارض زلزالها

ولما قدر الله بانارة الفتن كما سبق الخبر منها في اول الفصل وخروج الامر
من يده والرامه لاقامة في منزله بمنزل صروكان الطاعون في تلك الايام
ومات من اهل بيته جماعة وهو كالحجور عليه وتوارثت عليه الاخبار بما تشتمز
منه الفارس وكان بجنب بعض اصداقائه وكان به شدة سره وعزم على الخروج
من العسالة والتقصاء يقول له انا رادوك ان شاء الله على اكمل حاله .
وسافر في حدد يسمير . ووافقه من ختم الله له بالخير على هذا الامر العسير .
المرحوم بركة الملك الاوحد . الشلي ابن يوسف داي ابو العباس احمد .
سقى الله ثراه عن صوب الرحمة وساروا على غير الجمادة ووقعت لهم في طريقهم
امور اضربا عنها لان الخبر المنور عنهم فيه اصحح والسقيم . ولما خلاصهم
الله من العدو الذي تعرض لهم ركبوا في البحر من مكان يعرف بموسى الحرز
ومن العجب ان كيف حل البحر الملح هذا العذب الفرات . وكيف ملا
موقعه الدر الفاخر ان هذه لاحدى العربات . وسارت بهم المركب وتلا

القافل باسم الله يجرأها ، الى أن بلغوا ما منهم من بلد الغناب فكان ذلك
مرسأها . فتسارع به أهل البلد وحشر الناس ضحى الى رويته وكان ذلك
اليوم من اعجوبة الدهر عندهم ولقيهم أهل البلد واكرموا مشوا وقابلوه بما
يستحقه . ومن هناك اخذ في تهديد امرة وبعث خاله الى مدينة الجزائر
لقصد نصرته فكانت نريته وقبرة والتحق به سن كان يشتب اليه من
رجال والده وائمة جماعة من اولاد سعيد وجم غفير من دريد وتلاحقت به
الناس وتجمعت عليه الجموع وقرق الاموال في جميع الاجناس ووافته باي
الجزائر ووعده ان ينصرة ولم يوف له . وما النصر الا من عند الله ينصر من
يشاء . ان ينصركم الله فلا غالب لكم . وجاءت حملة الجزائر الى قريب من
العمالة ورجعت واكثر المرجفون في المدينة بالاخبار التي ليس تحتها طائل .
محيث يقربونه مرة ويبعدونه اخرى وقد بعدت عنهم المراحل ، وعدده
في جيشه هذه لما اراد الله به مصاهرته لا كبر مشايخ العرب الشيخ سلطان
ابن منصرف تشرف الشيخ بمصاهرته هذا البطل . وسعد حيث دخل في سلك
دولته الى ان صرحت بسعادته المثل . والتحق به قائدة القائد مصطفى
سبيول وهو من رجال دولته . وفي ايام ابيه كان مقدما على جماعة
الصباحية وتخرج بتربيته . وكذلك انضم اليه الشيخ محمد ابن القائد حسن
واولاده وهو من رجال العرب ودهاتهم وان كان اصل ابيه من العجم الا انه
ولد بين الابل والخيول وتعلم نزال الفرسان ومدرسة الابطال والغزو بطليار
والسرى بالليل وغير هؤلاء بشر كثير . فلول واقعة سمعنا بها في تونس اخذته
لمحلة الصباحية الى يد قائدة القائد مصطفى سبيول وقد سبق خروجه ثم غزا
غزوة نائية الى ناحية الكف وساق احدى الرمايل وسار بها كل ذلك والناس
يستصغرون امرة وفارح به احرقوا الاقليم وهم يكذبون خيرة وبعث عدة
اوراق الى العسكر يعتذر ويحذر وينذر فلم يسمع له وكل سن وجد ورقته من
تلك الاوراق كتبه وذلك لما يريد الله به من نفذ حكمه . وبعث الى
جبل وسلاط فانتقدوا اليه واطهروا فدفعهم تحته فيه ولا زال امرة في صعود

وكل يوم في اقبال الى ان كانت الواقعة المذكورة قبل هذا عند كسوة المحلة
في الجبل المذكور فلك ذلك كثيرا من الترك وفداهم بمثل وعفا عنهم ولم يرد
تعرضا للعسكر بمكرهه ، ثم الطامة العظمى كسرت المحلة الثانية قريبا من
سيطلة بمنزلة المرقب يوم عيد الاضحية سنة سبع وثمانين والقب واخذ
المحلة وعفا عن اهلها وامرهم ، وانه اكابر العسكر وبايعوه واظهروا له الطامة
وهذه اول محلة نفذ امره فيها وجاءت الاحبار الى تونس قالت العيد فطارت
عقول احدائهم ، وصار كل واحد منهم لا يعرف ارضه من سمائه ، وخامر جل
العسكر الفشل ، واستولى على قلوبهم الخوف والوجل ، واشتعل كل من العوام
بما لا يعنيه ، ولكل امرء من شأن يعنيه ، وانت المكاييب من المحلة
واحبوت بما وقع وكانت في المحصرة هرجة عظيمة وانفق اهل الحل والعقد
ان بعثوا جماعة من اكابره وجمعتهم من اكابر البلد ومفتييهما شيخ الاسلام
الشيخ اب عبد الله محمد عرف فتاوته شيخ مشايخ المالكية والشيخ ابا المحاسن
يوسف درغوث مفتي مذهب السادات الحنفية ، فلما وصلوا الى الباي حفظه
الله عرف مقامهم وقبلهم بطلاقة وجه واحسن قولهم وتكن معهم واجرى لهم
مؤونة وقام بواجب حقهم ثم جمعهم واكابر عسكرهم وعد عليهم ولائهم وحاجتهم
وقطع حجتهم وشهدوا له ذلك اليوم برجحية العقل لانه كان في سبق الامر
لا يتعاطى شئ من المنصب لانه تحت حجر والده ولم يظهر منه تصرف
به يستحسن الا ما كان يستحسن من خلقته وحلقته وعقله راده الله فاما
على الذي هو احسن ، ورفع قدرة بين الروساء الى ان ينال مراده ويتمكن ،
ولما اجتمع بفناء المحصرة اتفق منهم على خلع الحاج مامي جمل وبايعته
الحاج محمد بيسارة وبايعوه بالمحلة المذكورة في مكان يقال له باطن القرن
قريب من القيروان فرجعوا به الى المحصرة وخلعوا الحاج مامي وجلس بيسارة
في دار القصبته الى ان كان من امرة ما تقدم ، ثم ان الاحبس ابا الحسن علي
بابي رحل من هناك بعد ان كانت له واقعة مع الثرويين اضربنا عنها
وكانت سببا لشفقهم لما اراد الله لهم ورجع الى ان نزل بالفحص واقام به

أياماً حتى تلاحق العسكر وجمع رأيهم إلى التوجه إلى الكافي فنزل قريباً منه
وبعث إلى تونس بطلب المدافع فسيروا له ما أراد وهناك جمع جموعه
وعساكره وقصد محاربة البلد فنزل قريباً منه وركب المدافع عليه ورعى به
وجعل العسكر نوباً في المتاريس ووقع الحرب بينهما وأصابت المدافع أماكن
من الحصار وكاد أن يتزعزع ونصدمت منه أماكن إلا أن الله تعالى جعل
لكل شيء حداً . ومن قدر الله كان في العسكر جماعة لهم ميل إلى أخيه فبعثوا
إليه يستجدونه وهونوا الأمر عليه وكان في ناحية الغرب فجهد في السير
راجعاً ودخل إلى بلد الكافي ليلاً ومشت بينه وبين العسكر عدة إرسال
وانتقوا معه ومكنوه من المحلة وكان أبو الحسن استشعر بعض شيء من ذلك
وكانت أقامته بمحلتهم الأخرى فلم يشعر إلا والمدافع مالت إليه . والعسكر
الذي كان معه صار عليه . ودل العسكر إلى أخيه . ووقع التهرب في خيمه
ومن يليه . فطاح ما بيده ورحل من ساعته بجموعه وجنده وكر راجعاً إلى
الجرميد وكعد في ميرة خيفة أن تصل الأحبار إلى من هنالك . ولما وصل
لمدينة قفصة لم يظهر لأهل المحلة التي بها ما يرتابون منه وأمر برحايها
فرحلت وليس لأهلها علم بما وقع ورجع كعدته على الطريق المجادة وفش
الخبر بالمحلة وحرب منها أناس فلم يتم لهم مرادهم وأقبل إليه في وجهته
جل مشايخ العربان مثل الشيخ أحمد بن نويرة وجماعة من الحمديد والجمع
الاعظم من نواجع دريد وشياطين العرب أولاد سعيد وسليمان العرب بمحيطه
ورجله وجاءته لأصحاب من كل فتح عيق وأقبل بجمع لا يعلم إلا الله .
ولما قرب من القيروان أظهروا له الشرف فلم يعص بهم ووقع بعض مناوشة
بينهم وبين جماعة من الصبايحية ورحل عنهم إلى أن نزل بالفحص والخمير
فترادف إليه من كل مكان ونرجع إلى خبر أخيه وقد تقدم أنه لما احتوى
على المحلة وجدده عهداً مع أكابرها بعث الخبر إلى تونس فحين بلغ الخبر
بمجرده قام العسكر على ساق وبعثوا إلى الحاج تامي جل وكان مستتر في
الراوية فأخرجوه وطلعوا به إلى القصبه وأعادوه إلى منصبه وخلع ببشارة

وبعد أيام امر بقتله وقد تقدم ذكره فيما سبق ، ومن هنا بدأ التخاذل
وعظم الارجاف وكثر الخلاف وتفرق الناس ، ولم يبق للعقل قياس ، وتبددت
الآراء والعقول ، وكل انسان بما يختلج في صدره يقول ، إلا ان غالب الناس
على جهة واحدة ويتكلمون بكلام لا يحسن السكوت عليه ولا يصح به
الفاخرة وكل يوم ثاني اخبر ليس لها صحبة في الخارج وتراذفت وتزاحمت
الاراجيف بما لا يعقل عند الداخل والخارج وبعث الداي جماعة من اصحابه
ليأثروا بالخبر ، فمنهم من قصا نحبه ومنهم من ينتظر ، ورفعت الاسعار وقطعت
الاسفار ، ووقع العسس بالليل والنهار ، ولما زاد الوجع باهل تونس اجتمع
رايهم على ارسال جماعة من العلماء واكابر المملكة من اهل البلد لاصلاح ذات
البين ، والجمع بين الاخوين ، فغابوا مدة في ترددهم بين الاثنين ، فرجعوا
بخفي حنين ، ولم يتم لهم الامر الذي طلبوه ، وكل من الاخوين طلب شيئا
لم يساعد عليه اخوه ، فلما وجعوا خاتمين خلف الناس من نار الحرب التي
وقودها الناس ، وشياطين الانس مشيدة لقصور النفس وليس لبشائهم اساس ،
وقام سرق الخوف من بعد الامن ، وانتشر النفاق في شلب الوطن ،
وقطعت الطرقات ، وغلت الاقوات ، وكل احد من الفريقين يرجع من
صاحبه بالكلام ، ولم يبق لاهل تونس من العقل إلا قال قل والسلام ، وهذا
من اكبر اصابيب الزمان التي لم يقع مثلها والاخبار كل يوم متواترة بما ليس
فمهمة طائل ، والعسس في الابواب كل يوم على الخارج والداخل ، وجاءت
الاخبار ان ابا الحسن علي بابي قارب الفحص في جوعه والمحلة التي اتى
مها من الجريد معه وبعث بهذا الخبر الى تونس فلم يقبله احد وبعثوا الى
من بالمحلة يامورهم بالهروب فهرب منهم جماعة ، ولما سمع به اخوه تماقل
من الحجي ثم تاب اليه رايه وجمع جيعا عظيما واستوثق من اهل محله وجاء
في نجدته الشيخ الحاج بن نصر وجماعته واقبل في عدد لا يحله إلا الله
نعالي وجاءته الاخبار من العرب وهونوا عليه امر اخيه فجدد في السير الى
ابن النخيا بالفحص يقول من شاهد ذلك اليوم رايت من الفريقين ما يذهل

العقل لما شاهدته من الفرسان ووثقت بلزاه شيخ يحرض السلس فعلت
 انه سلطان ورايت من افسدام الباي ابي الحسن علي وهو ثابت الجنان ،
 ويجول بين الفرسان ، وفدعت العرب هواجها كعادتها والتقى الجمعان
 وجلوا جلت رجل واحد فلم يثقف احد منهم ساعة واحدة إلا وقد رزق الله
 النصر الى جماعة المعظم ابي الحسن علي باي قغنموا مغنما عظيما من الخيل
 والسلاح وحرب الحاج وجماهم وخلف امرانه قال تن شاهدت وهي راكبة
 على بغل حين اني بها عفا عنها وردتها الى صاحبها فلم يكن له ذكر بعد
 هذه الواقعة ، ولما فتح الله هذا الفتح الغريب في الرمن القريب وكان الحروب
 من الفريقين بين النجيلة ولم يكن للمسكر مدخل لان المحلة التي جاءت
 من الجريد بعثها الباي علي الى زغوان وقال لهم اقيموا هنالك فان كنتم لي
 رجعت معي وإلا رجعت الى صاحبكم فحلفوا له فلم يقبل وكان سردار عسكرها
 محمد راييس عرف طاباقي وقد تقدم ذكره والمحلة التي جاءت من الكاف
 كففت ان منعت نفسها ونزلت بمكان عال وخذق عليها اهلها ومنع الباي
 علي من التعرض اليها ، ولما ارتفع الحرب بعث الى اكابر المحلة فعدد ذنوبهم
 عليهم وكان ذلك في آخر العهد بهم ، ثم بعث الى محلة زغوان فجاءته وبعث
 قائده مصطفى سنيول الى تونس وبلوك باشية ليخبروا بالواقع وهذه الواقعة
 كانت في آخر ربيع الاول سنة ثمان وثمانين والف ، ولما جاءت الاخبار
 الى تونس عظم البلاء وارتجفت قلوب الناس وكان الخطب جليلا وبعث
 قائده مصطفى فحاصر المدينة وصايق بها الى ان اذعنوا له بالطاعة وبعث
 اليها سردار العسكر الباي محمد طاباقي بعدما بايعه بالمحلة وقصد مرخبرة
 قيم منى وطلع الى افريقية كعادته لاستخلاص وطنها وتمييده وكانت له
 واقعة اخرى مع جوع اخيه كابن الحاج شيخ الحنانشة واولاده ابي زيان
 وجماهم من دريد ومعهم جوع من عرب افريقية وغيرهم فكانت الطامة الكبرى
 ومات فيها الشيخ سلطان الحناشي لانهم دجسوا عليه على فتلته عشية نهار
 وبشر القتال بهسه وكثرت عليه الجوع فطعن ومات ووقعت في عسكر ابي

الحسن رجة لولا لطف الله به وثبات جناحه فبات على احتراس ومن الغد اشتد الحرب واشتبك وزاد الخطب وجبر الفريقان صبرا لم يكن قبل ذلك اليوم ومات خلق كثير ووقعت الهزيمة على اولاد الشايي وتن معهم وقسم من اموالهم شيئا كثير وملئت ايدي الاعراب وتن سواهم من الابل والمتاع وكانت هناك يقال له وادي تاسر وعدة من الرخائع التي يضرب بها المثل ورجع منصورا الى وطنه واستكمل جباه واحسن الى الشيخ احمد بن نويز ورده الى بلاده فبات قبل ان يصل الى وطنه قريبا من الخدمة في معركة مع جنود محمد باي واخذ غالب نجحه هناك . وفي هذه المدة كثرت الاراجيف بتونس وقبل ان الباي مات واطلقت الاخبار الكذبة واختبلت عقول الناس حتى انهم كذبوا بالضروريات وصدقوا بالحالات وبعد ذلك رده الله سائدا الى حضرته وصام بعض شهر رمضان فيها وخرج بمحله الشثائية في اخر الشهر المذكور من هذه السنة وهي سنة ثمان وثمانين وكان خروجه تحت الصناجق كعادة ابائه وصربت البشائر وكان له زي عظيم وظهرت عليه مهابة الملك ولم يكن خرج قبل ذلك اليوم على هذه الصورة فتبارك الله احسن الخالقين على حسن خلقه وخلقه ولقد زانها حتى قلت فيه ذلك اليوم قصيدة مطلعها -

بدر السما ام نور وجهك يزهر لما خطر ببحلية تبخش
من سندس خلعت قلوب حواسد لكن بها احبابكم يستبش
ما عاين الرائون حسنك مشرقا الا وحقت هالوا او كبسروا

وهي طويلة اضربت عنها ولم تساعد الاقدار ان يسمعها وسار في وجهه هذه ونزل على القيروان في اخر رمضان محاصرها ورمى عليها بالمدافع ولولا ان العسكر كان فيه اختلاف لكان استاصلها لانهم كانوا يقايلون قتال تكلف بلا نية وعيد عليها عيد الفطر ورحل منها وذلك انه جاءته الاخبار ان اخاه خالفه الى بلاد الجريد فتصد الهم وارتحل عن القيروان ومن العجب انه نازل القيروان واقام عليها مدة ايام واهلها يحلفون انه مات وان الذي بالجملة

غيره وهذا من اكبر الهذيان وشهدنا وسمعنا بتونس ما هو اعرب من هذا
 نسأل الله تعالى ان يحفظ عقولنا ويثبتهما رشدا . ثم توجه الى بلاد الجريد
 فوجد اخاه قد احتوى على كثير منها وحسن حصار قفصة وشحنه فلما علم
 بقدومه فراممه الى الواب ودخل عدة مراحل في طلبه فعثته فرجع من
 خلفه وحاصر من بالحصار المذكور وعمل له لعماء فطلب من به الامان
 فانهم واحتوى على الحصار وجعل فيه نوبة من قبله ، ولما اتم تشيجه
 واستكمل بجاءه من بلاد الجريد كمر راجعا الى الحصرة وكان اتصل به الخبر
 من الاغراب بان اخاه قاصدا الى تونس فبعث قائده مصطفى سبيول في
 مسكر من الصبايحية لحراسته المدينة فلم يغن شيئا وكانت الطامة الكبرى
 التي لم يسمع بمثليها في بلاد المغرب وهي التي حرقت فيها الابواب ونهبته
 الاسواق وقدمت الحرب على ساق ولقي اهل تونس فيها بلاء عظيما وحاصر
 من بالقصبة وكانت القفصة الكبرى وخرج جميع عسكر الحصرة الى قتل
 ابي الحسن علي باي وخرج في ذلك العسكر الداي الجديد ساقسلي وخرجوا
 باموالهم واولادهم ولم يبق منهم الا القليل وقد ذكرت هذه الواقعة في ترجمة
 الداي طه باق واتصل الخبر بابي الحسن علي باي لطف الله به في اثناء
 الطريق فجد في سيرة وكان معه جمع عظيم وبعث الى اكابر المحلة واخبرهم
 بالصفة فحلفوا له على الموت فروعدهم بريادة خمسة نواصر ترقيا لكل واحد
 ورحل الى ان قرب من الفحص فالتقى هنالك بالمحلة الخرجة من تونس
 ومعها محلة من القيروان وغيرها من النوف ومثلها من صفاقس وعربان اجتمعت
 معهم من الاقليم لا يعلم قلوبهم الا الله فالتقى في اول المحرم من سنة تسع
 وثمانين والفت والحرب ورمى بعضهم على بعض بالمدافع والمكاهل
 وصادق بعضهم بعضا في القتل والتفت الخيل بالخيول واشتد البس ، وكثر
 المراس ، وتقارب الصفان ، واختلط الجمعان ، وصارت كل محلة يقول اهلهما نحن
 اخذناكم يعني اهل المحلة الاخرى ، ولما اجتمع العسكران قالوا بكلمة واحدة
 ونكثوا ايمانهم وكان ابو الحسن علي باي بعيدا من الفريقين لموت احد رجاله

وخليلهم في المعسكر القائد مراد فارادوا قتله فنجاه الله ومنع من بين أيديهم .
 فلما تحقق أبو الحسن خديعتهم رجع على عقبه بمن معه من صبيحته
 وزموله واجتمع العسكران وبعثوا إلى أخيه محمد باي وملكه أمرهم فوكل بهم
 في أثر أخيه وقد اتسحب أمرهم إلى مكان يعرف بالمنزل فلما توسطوا به
 صكر أبو الحسن بمن معه وتشجعت أصحابه وصادقوا في حالتهم فبددوا
 مثلهم ومات من مات من بينة وكان قدر الله أمرا محتوما ومات علم عظم
 ويوقع القتال من عشية النهار إلى الليل ولم ينج إلا من طل أجله ومن
 عاش أخذته العرب وغنموا منهم معنما لم يكن مثله في السابق من ذهب
 وفضة وأثاث ما يجعل من الرصف وكانت هذه الواقعة من أعظم وقائع أهل
 المغرب ، ولما تم ما تم أمر بقطع رؤوس القتلى وبغها محموله على الجمال
 وكان يوم وصولها إلى تونس يوم مهولا ، وأغرب من هذا أن الرؤوس قبلت
 باب القصبة يشاهدونها والمرجفون يقولون ليس لذلك علم ولا أثر ومات
 ساقلي أكبرهم ولم ينج إلا القليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
 ولولا نفاذ ما سبق في علم الله لم تكن هذه الواقعة التي شاد خبرها في
 الثقلين ، واضومت ندر حربها بين العسكرين ، واقتتلوا في حجة الآخرين ،
 ولكن لكل أجل كتب ، يحكو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . ثم
 جاءته رسل أهل القيروان يطلبون العفو فعفا عنهم ورحل ونزل قريبا منهم
 وأمنهم ولم يواخذهم بما فعلوا ما عدا ابن الشاطر الذي دعم أساس النفاق ،
 وأجرى أهل القيروان على البغي والشقاق . فإنه لم يعف عنه ومات في
 سجنه وكو راجعا إلى تونس وأخذة في طريقه مريض خيف عليه منه فتداركه
 الله بلطفه ووصل إلى منزله بيزدو وهو في أثناء مرضه واستبشر بقدمه أحبابه
 وفشا الخبر في البلد أنه مات . ولقد أنفق لي أبي كنت حاضرا يوم وصوله
 وعانيتهم بعين رأسي وسمعت ذلك اليوم رجلا يقول لآخر أنه مات ودفن
 فأخبرتهما بأنني رأيتهم فحلفاني فحلفت لهما ولم أدر اصدقاني أم لا ، وأنفق
 في تلك الأيام أن جاءت رسل من عند أخيه لتعقد الصلح ولم يتم ذلك

وبعد أيام يسيرة دخل الى المدينة وعليه ابر الصنف ودخل الى القصبنة وحشر
الناس الى رويحه واطلقت البشائر وكان يوما مشهودا عينته فيه المحب
الغال ، والعدو القتل ، وعافاه الله من ذلك المرض ولله المنة ، ثم استراح
وخرج بمحلتهم الصيفية من السنة المذكورة لتحرك الاعراب ، افريقية
فعاجلهم قبل التمام وخلص بحبابة كعادته ورجع الى تونس قبل ابر
لبناني مع عمه لما في من الدير الرومية ، مستوليا على منصب الباشوية ،
فجمع الله شملهما بعد العربة ، وتجدد فرجهما في هذه النوبة ، وصاعا بالحصرة
شهر رمضان ، وعيدا عيد التطر في حناء وامان ، وحضر للزينة التي وقعت
في اول شوال من السنة المذكورة وقد سبق ذكرها وخرج قبل تناسها بيوم
وتوجه الى المنستير وقد استنفر اليه جمعا من كل مكان وكانت محلتهم قد
سبقتهم بايام فزل قريبا منها وحاصرها وقطع ما قدر عليه من زيتونها واشجارها
وفعل بها العاقرة ، وكادت ان يكون له عليها الدائرة ، ثم وردت عليه الاخبار
بن اخيه في جمع عظيم بازاء جريته فاستدركه قبل ان يعيث في بلد الجريد
فرحل من المنستير وتوجه الى اخيه ففر امامه ودخل الرمل فتبعه عدة مراحل
فماتته وام باق قيدا ورجع الى الجريد فخلص محبته على العادة ورحل عنها
مويدا منصورا واحدا في رجعتهم على طريق صفافس ففسد رائدتها وبعث
الرجع الى اهله واخذ جماعة من اهل البلد من خرج منها الى بساطينهم
على حين غفلة فعنا عنهم ولم يهرق دماءهم وكر راجعا الى وطنه ودخلت
محلتهم الى تونس في اخر صفر سنة تسعين ولم يدخل معب وسار بمن مع
من الاعراب والصبايحية الى ناحية العرب لانه سمع باخيه رجع الى
تلك البلاد وخرجت طائفة السنة المذكورة كعادتها وامتدت في البلاد
لخلاص مجاهدات وهو مقيم بعسكرة من ناحية الحدادة لكيلا ياتيهم من قبل اخيه
شيء واتصلت به الاخبار ان اهل نوزر اختلفوا عليه واخوة بني بها حصارا
منيعا وشحنه بها يحتاج اليه فبعث اليهم ممددا مع جماعة من الصبايحية
فتلقاهم خيل اخيه هناك ومات ابن الجنان في تلك البعثة ثم وجه لهم

محلته الشدة مع خليفته القائد مراد والنقي بجموع لآخيه هنالك ايضا وكانت
 بينهما واقعات وحروب انتصر القائد مراد فيها ونزل العسكر على البرج المذكور
 وحاصره اياما وجعلوا متاريس وصادقوهم القتال وحفروا تحتهم لغما فهدم منه
 ج. نبا ودخله العسكر بالسيف وجاءت الاخبار بخذه الى تونس واطلعت
 البشائر والمكابرون ينكرون ذلك كله ووصل الخبر الى الامجد ابي الحسن
 فرحل الى الجريد واطلع على البلاد وهدنها وحكمها بجبة ورجع الى ناحية
 المغرب وتن معه من العساكر اول سنة احدى وتسعين واثم قبالته اخيه
 لقلا يحدث حدثا في البلاد ونما اليه الخبر بان جماعة من الاغراب من اهل
 افريقية بعثوا الى اخيه فعاقب من قدر عليه منهم وسلمهم خيلهم واقام بهن
 معه من العرب ومحلته الترك في ناحية الزواوين وبعث الى محلته الصيف
 خرجت له قبل اوانه والتفت المحلنان هنالك واشتكى اليه العسكر من فلة
 ما بايدهم فبعث الى المحصرة يطلب الكتبة الموكلين باعطاء المرتبات فساروا
 اليه ودفع لهم مرتباتهم في المحلة ونصبت الاسواق في المحلة وجعلت
 التجار والباعة من كل مكان وصحارت عندهم ايام نزهة . وعزم في وجهته هذه
 ان ينزل بلاد الكاف فبعث بالخبر الى تونس بان يرسلوا له المدافع وقرب
 من الكاف بجموع . ووقعت بينهم مناوشة في الحرب في ايام وذلك اول ربيع
 الثاني سنة احدى وتسعين والف وبعد ما خرجت محلته الصيف استنفر
 الحاكم الذي هو داي العسكر بالامر الشديد وارسلهم الى الكاف نصرة وجاء
 الخبر الى تونس ان الحرب وقع بين اهل الكاف واصحاب المعظم ابي
 الحسن يوم الجمعة السادس والعشرين من ربيع الثاني وبلغ الخبر الى تونس
 ان المعظم ابا الحسن علي باي غزا يوم الاحد سادس ربيع الثاني اخلاء
 وكان قريبا منه فاحتوى على من كان معه ولم يفلت الا القليل واخذ شبيه
 النجع الذي معه وطاعه واطلقت البشائر بتونس في السابع عشر منه
 وقعت الحرب بين اهل الكاف والعسكر وولت الهزيمة على العسكر وجاء
 الخبر الى تونس وفي الحادي والعشرين منه نادى المنادي في المحصرة من

اراد مرتبه يمشي الى الكافي نجدة لمن هناك من العسكر وثوق المرتب
ومنعوا منه وحدد لهم الداي المذكور ان لا رجوع الا لمن بيده تذكرة
بطابع الباي علي فخرجت الناس ارسالا وكان القتال بين اهل الكافي
والعسكر مدة ايام ورحلوا منه ناسع جمادى الاولى من السنة بعد القتال
والحصار الشديد . وفي الثاني والعشرين من الشهر المذكور جاءت الرسل
الى تونس من قبل اهل الجزائر لتقصد الصلح بعد ما التوا مع الباي فارسلهم
الى تونس فلم يتبع بينهم اتفاق وقاتلهم الداي بكلام حسن . وفي هذه الايام
صدر اهل المرتبات الذين تربصوا عن المسير الى الكافي فمنعوا من مرتباتهم
لثلاثة اشهر . وفي اول رجب من السنة المذكورة خرج الباشا مغاضبا
للعسكر ومكث اياما في منارة مرناق . ثم توجه الى الساحل وتعاطى خراجها
ثم سر الى القيروان واجتمعت اليه اولاد سعيد وغيرهم فكان في جمع عظيم
ودلك ان اولاد سعيد اهل تفاق وشقاق جبلوا على خبث الطبيعة صاعرا
عن كابر وكانوا في رستن المرحوم برجة الله محمد باشا في الحطيط الاوحد حتى
ان الرجل منهم يتسبب للبه ودية . ولا يتسبب الى السعيدية . ولم تنقم لهم
قائمة مدة حياتهم . وكذلك في ايام ولده من بعده الى ان قدر الله تعالى بما
سبق في علمه من انوار النور كبروت شوكتهم ومالوا الى باي الوقت
فجاءهم ورفع منارهم فاحلهم البلاد . واطلق ايديهم فاكثروا فيها الفساد . وعاثوا
كيف شأخوا وقطعوا الطريق ومنعوا الرفيق حتى صاروا لا يسلك احد في طريق
إلا ومعهم منهم خبير وقسموا اهل البلاد في ثلاثهم واخذوا ما قدروا عليهم ولم
يقدر احد ان ية ابلهم بشيء وتحكموا في غالب الاقليم وفعلوا ما لم تفعله الكفرة
بالسليين والباي مع ذلك معرض عنهم ويلطفهم وبعض احيان يعنفهم ومع
ذلك يزيد شرهم في كل يوم . فلما ثبت عنده خبث طويتهم تربص بهم
الدوائر والعاهم وصار لا يلتفت اليهم . فظنوا انه لا قدرة له عليهم . وان
ذلك عجز منه عنهم فاضدوا وتمردوا وصاروا لا يلتفتون به إلا ارسالا خيفة
منه الى ان قدر الله تعالى ببلادهم . فلما توجه الى الكافي كما قدمنا بعث

اليهم يستأجدهم فتتأقلا منهم ولم يعبوا به وتفرقوا في الوطن فمنهم من ذهب الى الساحل وعمالت فيه ومنهم من اقام بوطن الحريرة باراء بلسد سليمان فوقع بينهم وبين اهل البلد مناوأة فاقتلوا ورت ابن الكوازي هنالك لا رحمه الله فاشتدت حياستهم وهديقوا بالبلد وقتلوا من اهلها واشرفوا على اخذها وحدثتهم امانيهم العاسدة بان يعثوا للداي ان يبعث لهم نجدة من عسكر زاوية للاتانة على سليمان ومشت رسلهم لئباي فمناهم بمراذهم وخادعهم ووهدهم باخذ الدية فزاد طمعهم لعنهم الله فهديقوا على اهل سليمان فاخرج الداي نجدة من العسكر لاهل سليمان في السابع عشر من ربيع الثاني وخرج مع العسكر خلق كثير لقصد جهادهم لان ضرورهم اشد من ضرر النصاري فلما وصلهم الخبر بذلك رحلوا عن سليمان وجاءتهم الاخبار ان البي عازم عليهم فانكسرت شوكتهم وتوجهوا الى الساحل وثبت عندهم انهم ان وثعوا في يده لا يترك منهم احدا فلما علموا بمغاصبتهم انما شامالوا اليه وطعوا فيما لديهم فارضاهم وساروا معه الى القيروان واجتمع اليهم من يقول بقولهم الى ان كان منهم ما سذكرك ان شاء الله تعالى * ولم يوصل الخبر الى الباي لطف الله به بان العرب مجتمعون على عدم واخيه وان الحرب اصيرت فاره وثقوى شرارها بعث الى الحاضرة فعينوا له عسكرا وارحل بزموليه ومن معه الى القيروان فالتقى بهم ووقع الحرب بينهم ساءة من نهر فانهزم ذلك الجمع وهرب اولاد سعيد الى ناحية المنستير ودخل النسا الى القيروان وقيل ان ذلك الجمع كان يقرب من عشرة آلاف فارس واما الرجالة فلا تعد ولا تحصى ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وصرفوا فيهم اموال جزيلة وكانت هذه الواقعة في العشر الاخيرة من شعبان سنة احدى وتسعين والفر * والله يويد بنصرة من يشاء * ورحل ابو الحسن علي باي من القيروان ونزل قريبا من المنستير وقد تحصن بها اخوة واولاد سعيد وصايقتهم به الى ان قنيت غالب اهلهم ولم يجدوا الى اين يكون ذهابهم ولما طال بهم الحصار وصاق خفافهم من بلدة المحاصرة رجعوا الى خداعهم وبعثوا جماعة يظلمون من الباي ان

يرحل عنهم يسيرا لكي يخرجوا له وينزلوا على حكمهم ان شاء خدمهم
 واستراعهم وزعموا انهم مغلوبون من اخيه وان اظهروا الخروج على رضى منهم
 يعاقبهم ولم يخف منهم مكرهم فرحل عنهم ونزل قريبا من سوسة واصل زحيلة
 مما ضاقت البلاد على الجموع التي معه لانه كان في امم لا تحصى . فاقدم
 هنالك بقية رمضان وارسل الى تونس لجماعة من فضلائها وذكر اسماءهم
 ان يتوجهوا اليه لقصد ان يرسلهم الى عمه للصلح بينهما فساروا اليه وحدثهم
 بمراده وسمعت بعضهم يقول لله درة يعني الباي المذكور ما اجود فحسه وما
 اقوى فراسته وماذا عنده من حسن السياسة وانه ليقول قولوا كذا واذا قال
 كذا اجيبوا بكذا حتى كأنه مطلع على ما يخلج في الصمائر وهذا من اصابته
 في التدبير . ثم بعث بناس دون الناس شخ بهم واظهر انه يخاف عليهم من
 ان يعترضهم احد في طريقهم بكرة ولم يتم له ذلك . وفي اقامته هنالك
 بعث اهل صفاقس له وطلبوا الامان منه وان يسلموا له مقاتليهم فاجابهم
 الى ما طلبوه وبعث معهم جماعة من اصحابه فسلموا البلد وهرب من كان
 بها من قبل اخيه وكفاه الله شرهم وعافاه من اهراق دمه . وجاءت الاخبار
 الى تونس وامتنع الداي ان يطلق المدافع كما جرت به العادة لانه لم يات
 كتاب من عند الباي واكثر المرحفون كعادتهم بالكابرة ثم بعد ايام جاءت
 اوامره وصبح الخبر فطلعت البشارة عند ذلك ورحل بعد العيد متوجها الى
 القيروان فغلوا الابواب ولم يخرج اليه احد فلم يتعرض لهم ونزل تحت جبل
 وسلات . وفي خامس شوال جاءت رسل الجراثيين الى تونس مرة ثانية
 واظهروا انهم لم يكن لهم اوب الا الصلح بين الاخوين وذاع في البلد ان
 قصدهم فيما قالوه وكثرت بين الناس الاقوال وذلك انهم نزلوا أولا عند
 الحدادة العلومة ثم جاء الخبر انهم دخلوا في الوطن وتسامعت اهل المحصورة
 فكبروا ذلك وبعض المفسدين اجبوه وبعث الداي الى اشياخ البلد
 واستخبرهم على ما في ضمائرهم فقالوا له نحن ندافع عن انفسنا واولادنا ولم
 نرض بغير عسكرنا فذكرهم على قولهم وطلب من اهل باب السويقة ان يعطوه

أناس يكونون عنده رغب فاجابوه ولكن سلم الله ولو كانوا فعلوا ذلك لم يغش شيئا . وجاءت الاخبار ان الباشا خرج من القبروان ولحق باهل الجرائر ودخل بهم الوطن واباحهم ان يأخذوا ما يحتاجون اليه من الثروابط . وجاءت الاخبار انهم بعثوا جماعة منهم الى الكاف لآخذ الموثنة وانهم ارادوا الدخول الى الحصار وان يشتكروا بمن فيه فمنعهم كافل الحصار وقتكوا باهل البلد واظهروا فيها الفساد . وقد تقوى طمعهم في اخذ الكاف ومشت رسلهم الى الباى وهرفي منزله السابق فاجابهم بما رخصت به نفوسهم وقل لهم اذ قاصد اليكم ورحل واخذهم معه كل ذلك والاخبار متواترة في الحشرة بكل ارجاف فمن مكثر ونقل ولكل امرء ما نوى . ولولا ما سبق في علمه تعالى من جيل اللطف بعباده لدهمت اهل هذه البلد امور مدهشة ويقاسون من الالم حتى يقول المار بها للقاطن تغير اسم بلدك عن المونسة بل انما هي الموحشة . زاد الكرب بالناس . تداركهم الله بالفرج ولكن على غير قياس . لان الاخبار التي تصل اليانا عن حصانة الكاف شيء يحير العقل في توجيهه وانه جاء غصته في حلق البلاد . وكاد ان يكون صالة مستقلة ولا اقول كاد . ومن الناس من يقول معجز عنه جميع العسكريين . وهو كالحاجز بين الوطنيين . فكانوا يرون انه اذا طال امره تكثر الفس . ويخرب الوطن . والله تعالى لطيف بعباده . والامور جارية بحسب مرادة . وفي الحادي والعشرين من شوال من سنة احدى وتسعين جاءت الاخبار من الكاف ومكاتب للداي من عند المحاكم فيه يطلب العفو وبذل الطعة فاطلقت المدافع تلك الساعة وكان يوما مشهودا يعد من الايام العظام وفشا في الناس الفرح وامنوا ذلك اليوم على دنائهم واموالهم واولادهم . وفي الثالث والعشرين منه جاءت الاوامر من عند الباى بذلت فصدق غالب الناس الا قليلا منهم . وجاءت الاخبار بعد ذلك ان اهل الجرائر قهقروا الى خلفهم لم سمعوا بخبر وكان زعمهم انهم يتحكمون عليه واذا حصل في ايديهم صار لهم الوطن كله ووردت الاخبار ان الهمام ابا الحسن علي باي توجه الى الزواريس وبعث علمه وجماعته

معه إلى الكاف ولم يصل هو إليه وهذا من الغرائب . ورزاقته العتل وثبات
 المجلس والراي الصائب . فكانه لم يكن له به اهتمام ولا قصده ونازله
 هذا العام وذلك العام والله انه لمن الدعاة . وست له الاصابة في الراي
 والثبات . فالحمد لله الذي يسر له هذا الشرح الغريب . في الرزق القريب .
 ولولا قارة الله حفت به في جميع المواطن لما جاءه النصر . والعاية الربانية
 تعينه في مواطن كلها ولو دهمه اهل العصر . ولم تزل الاخبار في كل يوم
 تنواتر الى سابع ذي القعدة جاء الخبر ان الباشا والبي اصطاحا ولم تزل
 المكاتيب من عند احد . وبعد خمسة ايام جاءت الاوامر مخبرة بما وقع
 وقررت في الديوان وسرت الناس . ومن العجائب بلوكباشية بالخبر
 ايضا واطلقت المدافع واخبروا بان الصلح وقع بينهم على التمام بما رضيت
 به نفوسهم بوفاء وامان . وقيل لمن اراد الدخول بينهم بالفتن . قصي الامر
 الذي فيه تستغيثان . وكس لم يحط احد بما وقع بينهم . وانما هم اهل بيت
 جمعوا امرهم بينهم وزعم عنهم ان شاء الله ترحمهم وبينهم . وكانت اولاد
 سعيد التحققت باهل الجزائر . وساعدهم مدد من المفسدين من القبائل
 والعشائر . وكادت ان تقوم الحرب بين الفريقين . وان تكون لها رجة تهز
 الثقلين . ومن الناس من يقول انما جاءوا للصلح بين الاخوين . ومن قائل
 يقول انما ارادوا حسم المادة من شر الاصراب . وانهم ان لم يتداركوا هذا الامر
 يوشك ان يدخل عليهم النش من غير الباب . ومن الناس من يقول ادركهم
 حية عن ابناء جنسهم وانفة . وبعضهم يقول لامر ما جذع قصيرا نفه . والله
 اعلم بحقائق الامور . وما تخفيه الصدور . وعلى كل حال فالله جعل لكل شيء
 سببا والسر الخفي الذي جعل الصلح على يد سردار الجزائر واسمه حسن
 فكان هذا الاسم وزق السعادة من برحمة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
 لما قال لولده الحسن عسى الله ان يجمع بولدي هذا بين فتين عظيمتين
 ظهرت الاجابة في ولده في الزمن السابق وبقيت البركة في هذا الاسم
 فكان هو السبب في التمام الكريمة حتى صلح الله حال هذه الامة وتداركت

بطلانه احوال العباد . وقام سوق الامن بعد الخوف في جميع البلاد . وحدث
 نار الحرب بعد اضرامها . وبلغت كل نفس منيتها وفازت بصرامتها . ولكن بعد
 ما بلغت النفوس الشوق . وانفصلت الحرب بشرب خمسة اعوام متتابعة
 حتى قيل هي من راق . وكثرت العداوة بين البادين والحاضرو وطن كل احد
 اقر الفراق . وكم سبقت من نفوس الى حتفها في عدة ايام والى ربك يومئذ
 المسقى . وما قصر كل من الاخوين في طلبه لثارة . وقام كل واحد منهما
 صاحبه في المحاربة ورمى بنفسه في الحرب واصطلى بناره . فكم تلفت
 من نفوس . وفطعت من رموس . وكم انفقوا من الاموال . وكم انلفت من
 رجال واي رجال . وسحبت بين لائيس اقوام بالنفوس والاموال النفائس .
 وسمعت من حروبهما اهل المشرق والمغرب ما لم يسمع عن حروب الغبراء
 والدااحس . ومما منهما انك من خطر بنفسه في مقدسة الابطال ومنزلة
 الفروسان . وادار ربح الحرب وعيشت في وجهه الاسود عند اللقاء حتى قيل
 هذه حروب عيس وضييان . ولم ينفك احد منهما من حرب الى حرب . وكم
 وقع في صدور الفروسان بالرمح والسيف من طعن ومن ضرب . واطلعت
 الافاق وقت النزال وارتفع القتلى . وطلعت اسنة الرماح في سماء الهيجاء
 مطلوع النجوم ولاح برق الصوارم فارقق الظلام . فالحمد لله على ذهاب هذه
 الغمة . وتجديد الالفه بعد انسطيعه باللفظ من الله والرجة . ولما شاع
 بين الناس ما وقع من الاتفاق واتصل الخبر بلدائي والثاصي وتمشت
 الاخبار في الافاق استبشر الناس وكثرت الخيرات ورخصت الاسعار ورفع
 الله الفتن . فتنعموا نعيم اهل الجنة وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن .
 واتصل الخبر اليها النيا ساعة من نهار . وسلم كل واحد لصاحبه ما طلبه
 الاخر بالرحمة والاحتسار . ومن هالك نوحه ابو عبد الله محمد باي الى مدينة
 القبروان وبقي ابو الحسن علي باي حتى اخذ بخواطر اهل الجرائر ورجعوا الى
 اوطانهم واخذ يستجلب خواطر اولاد سعيد وبماكرهم . ورحل بهم انباا له
 ليصلوا الى وطنهم وفي عماقره نار تطلعي من فعلهم الخبيثة . واراد ان يجعل

لهم سمعة فتغني عن اخبارهم القديمة والحديثة . ونزل بهم في النجس على طمأنينة واراد ان يستاصلهم على بكرة أبيهم فغزاهم بليل بمن معه من خيل ورجل فسبق الخبر اليهم وانذروهم بعض اخوانهم من المشركين . واحاط بهم عد الصباح ونزل بساحتهم فساء صباح المنذرين . فامر الله الرعب في قلوبهم واخذوا اخذة رابية . وتبدد شملهم ونهبت اموالهم فهل ترى لهم من باقية . وسبيت نسوهم وبيعت اولادهم وحرق بهم مكروهم . وحل بهم من الهوى في السبي ما لا راحة اباؤهم . ووصل الخبر الى تونس يوم الاحد الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وتسعين والفت فاطنقت البشائر في المحصرة وفرح الناس باخذهم كما يفرحون باخذ الكفرة ولج اكثروهم الى الاماكن التي تمنعهم من مساكن المراتطين . وقضي الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين . ولم ينح من شيائهم الا تس دخل تحت ثوب الغاس . او متن اخذ في رقعة ومنع بالنفس والفرس . عسى الله ان يقطع دابرهم من الارض . ويسلط من بقي منهم بعضهم على بعض . ولما كمل الله لهذا الامير بالناييد والنصر . وصار ذكرا خيرا لرواة اهل العصر . وحل من مكانه وتوجه الى الجريد كعادته ونزل قريبا من القيروان وانقث له امور اضربد عنها وتوجه من هنالك الى قابس . ويمت محلة السلطانية كعادته ونزل قريبا من جزيرة جربة فصالح اهلها واخذ في تمهيد من هنالك من رعيته وصار فيهم برفق وعاملهم بما في نفوسهم ونزل بزاز الجبل لتسكين الفتنة التي وقعت به وهدن نفوس اهلهم ورجع الى بقيته ما له من المجابي في بلاد الجريد . ورجع الى حضرته سالما شام كما يريد . فلج قرب من القيروان خرج اليه اخوه لتقصد السلام فعنق بعضهم بعضا ورقت نفوس الناس عند النظر اليهما وافترقا ورجع كل واحد الى مكانه . وحره مسطانه . وقال لسان حالهما هذه كرامته صرفها الله اليها . وتلا قوله تعالى انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا . ورضي كل واحد منهما على ما اتفقا عليه . وتحكم في صالته واطلق ما شاء من يديه . فالحمد لله على هذه النعمة وذهب النجس عن اهل المحصرة

وانصلاح احوال البلد واتى الله بلرحته وانفرد ابو الحسن علي باي بتدبير
المحصل السلطانية . وتصرفت احكامه في اهل المحصرة والريضة . ونفذت
اوامره في الافليم كما يشاء . قل اللهم مالك اذلك تؤني الملك تن نساء .
ورجع الى مستقرة وامنه واموره جدوية على الطريق المستقيم . ذلك الفصل
من الله والله ذو الفصل العظيم . وكانت غيبته هذه ثلثين شهرا ووصل الى
مستقرة يوم الثلاثاء ثلث ربيع الثاني سنة اثنتين وتسعين والى -

والقت عصه واستقر بها النوى حكما قرينا بالاياب المسافر
وكان قبل وصوله بلغه الخبر بلواقعة التي كانت من قبل العسكر لما طالبوا
الدائي جوارقهم وكانت ان تكون فتنة في المدينة وغلقت الاسواق ومدوا
الستهم وايديهم وقد مر سبب ذلك عند ذكر الدائي المذكور واضرمت نار
الفتنة لولا تداركهم الله بحجته فهدن العسكر ولاطهم وساسهم برأيه واخذ
فأرهم وهذا من بعض لطف الله الخفي ونزل بمستقرة بحدود ولم يدخل
الى المحصرة . وفي اول جمادى الاولى من السنة ابتدا في اصلاح الوليمة
التي ختن فيها اخاه وابن عمه واراد ان يجعلها مختصرة فجاءت على وفق
المراد واظهر فيها هتمة العلية والرتبة الملوكية -

واذا كانت النفوس كسارا تعبت في مرامها الاجسام
واحتفل كعدة ابايهم وهرمت الناس الى السرة والفرج . وفتح الباب لهذه
الوليمة ودخل لها الناس من باب الفرج والفرج . ونصبت آلات السماع
مرسية واعجية وصنائع المشعوذين . ومدت اسطة الطعام للاكلين . والحلاوات
والقواكر بالليل للتمتع . وكانت تعد من الاعمار ولا ينكر هذه الفعال لمن
امده الله بعنايته لانه وعاياة واهل بيت كلهم ذروا شان . وبر واحسان . وهذا
بنيانه في المعالي كنيانهم . وبحر الزاخر في المكرمات اجتمع من خاسجانهم -

وبحرك سن جاعة يا علي لم يشبل الدر إلا كسارا
وحيث اتينا بهذه النبذة واكتفينا منها باليسير فانها نقطة من بحر . وغرفة
من نهر . وربما اعرب اليسير من الكثير . ولو تتبعنا حلة اخباره مفصلة لصاق

بنا الجبال ، وعجز القلم في ميدان الطوس وما جال ، وكيف لحصر اخبار
من رقي الى الرتب العلية بسيفه وجده ، واحتوى على مفاسد واصافها الى
مفاخر ابيه وجده ، كم هزم من صفوف وحكم انفق من الوف ، وكم من
غارات اثارها ، وكم من حرب اخذ نارها ، وكم باشر بنفسه من حروب ،
وكم هجاء باشرته بوجه قطوب ، وصبر في ساعة الحرب والزوال ، والتقى
مروحه الى لقاء الابطال ، وصارت لوقائعهم سيرة افنت عن سيرة البطال ،
وان قالوا صرة الفرسان ، قلنا لهم هذا عشرة هذا الزمان -

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وان قدمت في اول الكتاب اخبار تنسب من الملوك ، فذني جعلته مسك
ختمهم ونظم جواهر فعاله كنظم جواهر السلوك ، لانه حاكم زماننا ،
والمصرف في اوطاننا ، والمناسك لارمة عدنا ، الهمة الله الى طريق الخير
والعداد ، وجعل الرحمة والرافة في قلبه لصالح البلاد ، وحلده عليه الصالح
الى يوم التناد ، ولما طلع هذا البدر في سماء هذا المجموع ، ثبت ان لا بد
للكواكب من الطلوع ، ولا بد للبدر من هالة ، ويراة الراعي على تلك الحالة ،
وهذا الامير هو بدر الدولة اذا حل بهوكبه ، والهالة اصحابه ومواليه الخافون
به ، فمن الرساء القاتمين باصلاح دولته ، والمساعدين له في قوته
وقعدته ، والبدلين نفوسهم مفداة لنفسه ، والصارفين همهم في يومه واسمه ،
فمنهم المتحدى برايه الصائب وعقله الناقب ، المشير والمستشير عنده
مفارعة الكتائب ، اعجمي الاصل وعربي التربية واللسن الفارس النجيب
محمد بن الحسن ، وهو من اقرب احبابه وانصح اصحابه متخلق في لباسه
وفي مواعده باخلاق العرب ، ومحافظ على اصلاح الدولة بحسن الادب ،
تشهد العرب بذكاء عقله ، وبمنازلة الحروب كابيه من قبله ، فهو عمدة
ومدة ، وياجرا لرايه في كل شدة ، وله لطف الله به اولاد يضرب بهم المثل ،
والشبل من الاسد ومن البطل البطل ، ومنهم من يستخلفه في سفره ،
ولا يستغني عنه في حضره ، يقوم مقامه في محنته اذا غاب ، واذا حضر لا يؤم

خديجه وصد الباب ، مولاه وتربيته نعمة . القائد مراد بن عبد الله رزقه
الله تعالى رضاء ، ورضي سيده ومولاه ، وهو من تنجبه الرهبة لرفقه ، وحسن
خلقهم ، وفيه لطافة وثيق ، وجانب مثيق * ومحسن مواليه من يثمد
عليه في المحصرة بلسارة ، والمطلع على مكاتيبه الواردة بأخباره ، الواقف
عند باب الروساء وباب داره . القائد مراد أيضا ابن عبد الله من رجل دولة
استاذة بحافظ على الطاعة ، وملازم للجماعة ، وفيه تدين ومحبة للفقراء
واهل الصلاح . ولم يشاركه في علم القيم يرجي له ببركتهم النجاح . مولاه
أكبر مواليه ، وأقرب من يليه * ومنهم الفارس ، والبطل الممارس ، المعتمد
عليه في لقاء الأعداء ، الملازم لصهوات الخيل ولوطال المدا ، الصابر على
الغمرات إذا لاحت الخروب ، والناهب الجنان إذا وجلت القلوب . القائد
مصطفى سينيل ، وفيه هولا كثير لا يحصرن في ذكرهم * ومن ذوي البراعة
والسراعة والآداب ، جماعة من الكتل ، أكبرهم وأكرمهم نفسا الفقيه الأكمل
التيه . كاتب جده من قبل وكاتب أبيه . المتصرف في حسابات البلاد .
وهو في هذا الفن وإصابة الراي وتد من الأوتاد . صاحب الخط العجيب ،
والراي المصيب . الزاهد في الدنيا وجده عند كعدم . الوزير الأعظم ،
والفقيه الأفخم ، والدستور الأكرم . صاحب العلم والتعلم ، ومنصف المظلم
من ظلم . جمال الاسلام والمسلمين ، وأجل الوزراء في العالمين . ممد الله
تعالى بجماله الملكة وشده أزرها ، ووصل أسباب الدولة وأعلى قدرها ، كيف لا
وهو صاحب تدبيرها ، والقائم بصلاح أمورها ، والكافل أمر صغيرها وكبيرها .
من هو في الأرض ظل الرحمان ، والمأمور بالعدل والاحسان . راجي غفران
ربه الكريم . القاري ابن القاري أحمد سليم . برد الله تعالى ضريحه .
واسكنه من بحبوحة الجنان فسيحه . أمين * ومنهم أي من الكتاب
من شهد له في ذلك بالفصيلة والشرف . الفقيه عبد الرحمان بن أبي
القاسم بن خلف . من ذرية أولياء ترجى له بركة جده ورثه خلف عن
سلف ، وفيه حشمة ووقار ، وتلاوة لكتاب الله ومحافظة للأثار . سدد الله

حاله . وجعل للصالحات مآل . * ومن الكتاب المعتمد عليهم في حسن الخطيب ، والخط المتصرف في فنون الاداب ، الفقيه ابو عبد الله محمد عوف دحلاب . وكان قليل الاعتراف بالدنيا * هولاء من مشايير الكتبة . سلمهم الله من كل نكبة . وغيرهم كثيرون . وما ذكرت هولاء الخدام الا بيانا لشرف المخدم . ولكي لا يظن الناظر في هذه الاوراق ان هذه الدولة سدى . فلماذا اظهرت لهم فلما يكون لمن امر هدى * ومن مشايير الكتبة الفقيه الازوع المودب الكاتب البليغ صاحب الخط البديع الذي يضرب به المثل كابن مثلبه وبقوت المعتصمين وانظارها الفقيه محمد صدام عوف اليمني * ومنهمم الكتاب المتفنن ابو محفوظ محرز بن خلف حفيد الفقيه عبد الوحان السابق الذكر * ومنهمم الكتاب الفقيه محمد فارس ولم في علم اليقت ملكة وفيه نية وبلاهة وكنانة بيني وبينه مطارحة في الشعر المالحون . وغير هولاء كثيرون . وانما تعرف كل دولة برجالها . وتصلح امور الملك باصلاح بطانته اذا اراد الله اصلاح حالها . وهذه الدولة ان شاء الله تعالى حلت بالسعود . واحى بها الشرح في القصور المشيدة من باردو واخذ السعد في الصعود . والايام ترفل في حلل شبابها كما يرفل صاحبها في شبابهم . والبصر والظفر مصاحب له في ثعابه واياهم . ولما طلع نور هذا البدر في سماء تلك القصور ، وتزينت تلك المنازة والقباب واحتفلت لفرح الطهور . وسمعت الناس اصوات المراث والمناهي . وطربت النفوس لما ترنمت الحنين المعاني فكنت ممن شافه الطرب . وساقم الادب . فظلمت قصيدة واشرت فيه الى هذا الهنا . فان اصبحت فبسعادة الممدوح وان لم اصب فمن انا . والله تعالى يديم عزه وجنابه العلي . ويجعله كهفا للمتجملين اليه ولين يستغيث ولن يخيب من لجأ الى حبه وقسل يا علي . وهذه القصيدة الموعود بها -

اتك هناك بالختان مشاب وطابع سعد مقبل وشباب
اقامك فوق النيرين فمن يوم صعودا لموقاة رمة شهاب

فلا تخلص كيدا من عدو فاته
 علوت على دست الرياسة يا علي
 فباشرت الدنيا بيسرك في العلا
 ووجدت بالدار الجديدة موسما
 وبالقبة الحمراء عيشك يانع
 منزل افراح لديك تجددت
 حالت بها كالبدر بين كواكب
 مضخ من جد بجده ومن اب
 وبابك مفتوح لقصد مكان
 تنها بهذا العز والدع طيسع
 لك الله ما ابهى وابهر سوددا
 وان كنت في س الشبهة فالعدا
 واثك بحر المكرمان لمن يرد
 لمن يرتجي صفوا لديك يناله
 اذا ما بدا بدر جالك طالعا
 ترقق فان الرقق منك سحبه
 تروع ابطلا وثائق خائفسا
 قباسك للاسد العرين مروع
 فكم من اعاد عن لثاك تحيروا
 وان غرقوا في بحر باسك فلتكن
 وان جثت الايام منك فانها
 فلا تبتس من كيد ضد فانما
 ولا زلت عن رتب السيادة والعلی
 وعسرك في عز وربك عامر
 وذكرك ما بين الحافل ذائع
 وحقتك من سهم القضاء مصاب
 فطئها كما تنغي خانت مثاب
 فكم كبد للجاسدين تذاب
 سماعن بني حفص حضرت وغابوا
 يروك منها سائح وشرباب
 تشرف منها منزلة وقبساب
 ونورك باد ما طلة صبساب
 ورائته معبد ليس ذاك عجاب
 وقد سد عن نيل المكارم باب
 لديك وهاتيك الحواسد خابوا
 لغورك عندي لا تشد ركاب
 وحقتك من صولات باسك شابوا
 وغيرك فيه بلقع وسمراب
 وللهد يا نجل الكرام صذاب
 تمد الى ذاك الجمال رقاب
 وانك ما تدعو اليه يجساب
 وانك في ذي الخاليتين مهاب
 ولو مد ظفر من سطاء ونساب
 وضائق عليهم بيده ورحاب
 نكال عليهم ما عليك مثاب
 انابت والجانبي لديك مثاب
 عليك من المولى الرعوف حجاب
 ورايك في كل الامور صواب
 وربيع اعاديك البغاة خراب
 يغني به لا زينب ورباب

فخذ من ثنائي ما استطعت فانه بجهد مقل قد جئنا صحاب
 اقلد در المدح جيدك والثناء كم الدر في جيد اللاح سخاب
 فانت محل المدح ان جاء مادح وكل الذي فوق التراب نراب
 ولما ذكرت هذه القصيدة وابتهما في هذا المحل وجب علي ان اثبت
 القصيدة التي مدحتهم به يوم ليس الخلعة السلطانية وخرج تحت السماجق
 الملوكة . وكان يوما من اعجب الايام . وطلع بين الصفيين كالبدر من تحت
 الغمام . فقلت فيه -

بدر السعيا ام نور وجهك يزهر لما خطرت بحلة تنبخر
 هي خلعة خلعت فلوب حواسد لكن بها احبا بكم تستبشر
 فاعجب لها من خلعة ديباجها يسبي العقول ونور وجهك انور
 حلل الجمل مع الجلال وزدتها عن حسنها وجمال حسنك انور
 ما عاين الرائون حسنك بدى الا وحقت هلاوا او كبروا
 تحت الصناجق قد بدا لالاوه نور على علم ووصفك اشهر
 يوم لبست المجد كان ثنساوه بين الخلائق في المحافل يذكو
 م البدر في افق السماء ونوره بادى السناء فنور وجهك ابدر
 قسوت بالشمس المنيرة يا علي بين الكواكب في العلا تنبخر
 له سر في علاك وانسـ يا كامل الاوصاف سر مظهر
 ورابت نعمانا بخدك مشرق لى من بها تلك الشقائق منذر
 وجه الغرلة وانزال والحظـ تحت البيارق غير انك قسور
 ولقد رقيت من المعالي رتبة الوصف بين الناس عنها يقصر
 واستبشرت افاق تونس مذ بدا سعد السعود على المنازل يقمر
 جبر السحاب الذيل عن ارجائها والرعذ زمزم والحياء مشمطر
 ممن كان منلك في الرئاسة معرقا لا عيب فيه اذ يقول ويتنخر
 الناس من ماء وطين اصلهم فاعجب لذلك راصل مجدك عنبر
 من جود الخال الزكي فلم يحجب نسلا ومثلك بالرؤسة اجندر

يا اهل بيت شاد حسن صنيعكم وروى ثنائكم في البلاد المخبر
الدهر منقاد لكم ما تاملوا طوعا لديكم اوردوا او قصصروا
طاب الزمان بكم وزان بفعلكم كرمتم او اخركم وطاب العنصر
من قال نائير الكواكب في الوري فالفعل منكم في النجوم يورث
المجد مجدكم وعبد ركا بكم من حسنا فعلتم قللوا او كثروا
عش يا علي في هذا مستقبل لا تحشني من دهرنا ما يحذر
عطر الشا يروي عليك ولم يكن يوفي بحقك ان فخرت اعطر
الله اولاك البلاد فلم نزل تسبي به توصي النفوس وتدمر

وهذه القصيدة لم تعرض على سبعة الكريم واسمها هذا اضافة الى ملي
فيه وعسى ان نثبت غيرها فيما يستقبل وسقدمت لي قصيدة اخرى
وهي من القصائد التي عرضت على سبعة ومحلىها تقدم ولكن نضمها الى
احبابها وهي هذه :-

وثقت بنصر الله تم لك النصر وعد احبائك العسر جاملك اليسر
علي علوت الناس قدوا ورفعته تسعدك الدنيا ويخدمك الدهر
فجندك منصور وانت مويستد وربك فعال وقد قضى الامر
وان مكر الاعداء بسوء فعالهم فصاحب مكر السوء حل به المكر
وما عذرهم والعفو منك سجيست اكان نهر الكاف في غدرهم عذر
الما يروا في يوم وملاّت ما جرى على صخرة لو كان يستخبر الصخر
وجر سبيب في سبيبة قسدهم الى اسرهم والعفو من به الحس
وقد فرست اوراقهم بعروستة وبعده عروس لا يكون لهم طر
لك الله كم تعوقهم فعالهم علي الله كم تعوقهم فعالهم
علي ابا الهيجاء نكرو لخواصم فلا سيف الا ما هزرت ولا فتى
ويوم التقى الصقان يوم محجل بعثت لهم بالرحب كل كتيبة
طورا تؤم الحرب يقدمهم صقرا

وجيش خيس بالكماة ثمسده
 على صافنات من جيات سوابق
 قوادمها شهب لواحقها شمس
 وان كان جل القوم ليس لهم حجر
 بوارقهم برق اهلها البشسر
 تمر بهم زحف وقد قصر العمر
 مذاقهم هم ومطعمهم مسر
 بخطيها والنقط يقبله السطر
 منقعة في السم فكنتها الخمر
 ولا عجب للرأس مال به السكر
 وعاء اخر ملقى في جوارحه بسر
 الى احد من عظم روثهم قطر
 وظل على الافاق ليس له فجر
 فكنتها رمي وفارقهم السر
 زمان فعنهم نحبنا كم بكى الصخر
 فمك لهم روع ومنهم لك العمر
 اذا كنت ممن شانهم النظم والنثر
 امام مقامنا في علاه سرى البدر
 وبأي بلاد الغرب واتضح الامر
 يلوح على مرجى عكاسه البشر
 تمد بأحوام ويتبعها الدهر
 وفيه وفي علياه ينظم الشعسر
 ولا زال اهلا للمحامد والثناء
 وهي قصيدة طويلة ولكن اقتصرنا على بعضها . ولست قضى الله تعالى ويسر
 بالسعادة عرضت على مسامحة ما امايش من بعض محاسنه ومحاسن ابيه
 وجده ولم يكن لي فتنل فيما جعلته الا اني انقطعت الجواهر من بحرهم .
 ونظمته في سلك الاساجد الذين من قبلهم . وان كان لهم التقدم بالسبقية

فان في الخمر معنى ليس في العنب وان كنت ممن ليس له يد بهذه الصناعة . واتيت الى سوق فصله بهذه المزجاة من الجماعة . فقلها وقابلها بقبول حسن . جعله الله في بركات سميح ابي الحسن . ففهمني بفضل واحسانه . واجزني جزوتين بيده ولسانه . وما عسى ان اقول في سن الهمة الله لتدبير الرعايا . واجرى على يديه الاحكام والعطايا . اصلح الله حاله في دنياه وءآخريته . وءاناء كفاين من رحمة . ولما عزم ركابه الشريف على التوجه بالخط كعادته ابتدا بزيارة الزوايا للبرك كعادة ابيه وجده . فزار الشيخ سيدي حمزة بن خلف والشيخ سيدي اب التسم الجليري والسيدة عائشة المنوبية وطاع لجبل الجلال وصعد مقام الشيخ سيدي ابي الحسن الشاذلي على اقدامه تقبل الله سعيه وزار عدة اماكن اخرى واحسن الى اهله وبعث لعدة مشايخ بالاحسن . ثم رجع الى منزله بباردو واول جمعة من رجب كاصم دخل الى تونس وزار الشيخ سيدي احمد بن عروس وصلى الجمعة بالجامع الاعظم وعند اتصاله خرج الى زيارة والده ونطاولت الاغاني لرويته قدى حق الزيارة ودخل الى دار سكنى ابيه وجده وجاءه حكم الرقعة الى مكانه ففطنى حكمه بالتسليم ثم عاد الى منزله بباردو ويوم الاحد ثالث رجب توجه الى القنطرة واقم بها ثلثا ومن هناك سافر الى عمله اعاده الله سال . وحيث ذكرت القنطرة وجب ان نذكر بعض محاسنها لانها من المتنزهات العربية في الاقليم الافريقي . وهذه القنطرة من بناء جده الامام المرحوم برجته الله تعالى صاحب الخيرات والصدقات ابي المحاسن يوسف داي رحمه الله بناه من مله احتسابا لله ليتفجع المسلمون بها وانفق عليها اموالا جمة وكان بناءها سنة خمس وشرين والى فجاءت من احسن ما يكون وجعل بها ارواح تدور بالماء وبني بها برجا لطيفا . ولما سار الى رحمة ربه تولع بها حادمه نصر الطواشي فراد فيها عدة بساتين ومن بعده تولع بها المرحوم احمد شابي وشيد فيها المندرة الرفيعة واهتم بها غاية الاهتمام حتى جاءت صنع الله . ولما سار الى رحمة ربه ووقعت النفس كاد ان يتلاشى حالها

فقد أركها بعزمه وحزمه الكرم علي باي فرادث محاسنها على ما كانت عليه
وصارت من الأماكن التي يضرب بها المثل . وحدث احسن مما كانت قبل ،
فلو نظرنا بديع مراكش لقلنا له أنت بدعة وجدا هو البديع . وأن شيخ ايوان
كسرى فانه تهدم وعلا هذا البنيان الرقيق . وأن فخر النعمان بن المنذر بيناء
الخوزنق والسدير . قلنا هذه القنطرة ومزارعها والوادي والغدير . كيف لا تتفخر
هذه البقعة وهي ذات المنارة والقباب التي حيطانها ذات العماد . وشيدت
معاليها ونزخرت بالثقوش المذهبة حتى قيل لم يخلق مثله في البلاد . وصنعت
العجائب على حافتي الوادي . وجاء طائعا فتبا لنمود الذين جابوا الصخر
بالوادي . وبكت حامة بدموع نواعرها وزاد حنينها لما صارت اختها بالغرب .
ودارت دوائر نواعرها وفقدت قلبها فهي تدور على القلب . وكان هذا
الدولاب الذي أحدث بالقنطرة على طبع مجردة احسن مما عمل في حاة
واو . وان كانت نواير حمة اسبق بالزمان فالآخرة خير لك من الاولى .
وهذه الابنية التي تمت محاسنها تذهب عن قلب ناظرها الوحشة . فلوراءها
انوشروان لقل لصاحبها انت انا وهذه قصور الدهشة . فمن نظر الى تلك
التمائيل الصورة حكم بذوقه ان ليس لها مثل . ومن يؤد الاكثار في وصفها
فعليه بالقال والقل . وبهاء فردوسها يشرق ناطرة الى فردوس الجنة . وبه من
الفراكم العجيبة ما لا يوصف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وله الفضل
والمنة . ولقد نزهت في تلك المحاسن . ونظرت الى عذب الماء الذي هو غير
ماء . وقد جرت جداوله ودخلت البستان فصر مروجاً . وتطلعت الى
البرج العالي المطل عليه فتلوت تبارك الذي جعل في السماء مروجاً .
ونظرت الى الكشك الذي في صدر الايوان وهو مظل على الخليج . فعابنت
من نقوشه وصنعتهم التي اوتيت من كل حسن بهيج . فجعلت فيه مدة
ايات تحسن ان تكون تاريخاً لمحاسنها . وتفاءلت بالسعد في
مصارع التاريخ وهو طالع السعد لسكانها . فقلت -
فسردوس قنطرة يا طيب الارج تبارك الله من ذي المنظر البهيج

يسقى بماء معين من ينابيعهم فويسر الشرب طيبا لينا لزوج
 ومنية النفس ملء العين رويته تنفي الهدوم على ذي الباطن المسح
 يا ايها الملك اليمون طلعتهم نفدى من التضميم بالارواح والمعج
 تبارك الله عن لفظ يورخها قد جاءك السعد في العالي من البرج
 وهذه المسارة التي هي بالقطرة من اعجب المنزهات . واعجب من ذلك
 السعادة التي حفت بها من باي البايات . وكان الناظر على بنائه . المتصرف
 في اتقانه برايه . البذل همته . الملازم خدمته . الواقف عند الاوامر
 الشريفة . المشيد لتلك البنايات الميمنة . الناصح الوافي . عبد الرحمان
 عرف الوفراي . وهو من رجال الدولة العلوية . وله قتل ثاقب واخلاق
 مرضية . وفيه طلاقة وجه ولين وعقل رزين والخدام يدل على المخدم . ولكل
 مقام مقل معلوم . ولما حل ركابه الشريف به اقام ثلاثة ايام . ورحل منها
 كالهلال وعسى ان يعود كبدر التمام . فتوجه الى الكافي متوكلا على ربه .
 فقال امنيتهم وبلغ ما اراد من اربيه . ولقد سمعنا بيوم وصوله فكان احسن
 وصول . ويوم دخوله قبله اهل البلاد باحسن قبول . وخرج الى لقائه ابن
 خرطان وابن يوسف بكن معهم من جماعة الصبايحية . واديا حق الطاعة
 فرضيت عنهما تلك الاخلاق الرضية . ودخل البلاد بهمة ملوكية . وتفرجت
 اهل البلد في تلك الطلعة البهية . ولم يبق من اهل الكاف صغير ولا كبير
 الا من كان تحت اللحد . وكان يوما مشهودا سر به الشاهد والمشهد .
 واطلقت البنايات في البرج وتكلمت بافواه المدافع . وتماشت اصواتها
 واسمعت من به صمم وفالت هذا هو الفخر الذي ليس له مدافع . وبلغني
 ان عدة المدافع التي اطلقت ذلك اليوم تنيف على السبعين . ولم يحص
 احد عدد الزرايز والخزائن وبقيت من اول النهار الى حين . وتم الفرح بهذا
 الفتح الجسيم . ذلك الفصل من الله والله ذو الفصل العظيم . ولما استقر في
 دار سكناه . وبلغ ما تمناه . اقبل الناس بالسلام عليه . وما منهم الا من
 خصص وقبل يديه . وهنا نسكتة تدل على ما فيه من الطرافة . ونعلم ان

اخلاقه مجبولة على السيادة والرافعة . وهي ان جماعة من المتعصبين
كاتبوا متن بالحصار وحذروهم بطشه . فاراد بسياسته ان يذهب عنهم
الروحشة . فبعث اليهم صاحب سره . الواقف عند نهيه وامره . المتخلق
بالخلق العرب . المسمى الى العجم في النسب . الشيخ محمد بن الحسن .
وكان مشيراً بينهم في اول الامر وفي اخره بالغ فاحسن . وكان اهل الحصار
في ريبة فازالوها . وامانيهم متعلقة بالخوف ففك عقالها . ولما اراد زيادة
الحصار ان يودي حق الطاعة . وان يتظم في سلك الجماعة . هبط من
الحصار على وجل . وتردد خاطره بين الامن والاجل . فقال بعض اصحابه
لمحمد بن الحسن سر معه ليحصل له الامان . فاقسم ان لا يبرح من مكانه
إلا ان يرجع صاحبكم حيث كان . وهذا من ظرفه وهو به امثل . والرسول
صفة المرسل . ولما وصل الاشارة الى حضرة الباي قابله بنحسان . وجدد
له ما كان اطاه قبل ذلك من الامان . وخلع عليه كركا كان احده له من
قبل . ونشرت رايات العز على راسه وضرب الطبل . ورجع الى مكانه سالماً .
وبالقبول والاحسان من الباي غانما . وهبط بعده محمد الملقب كاهية الحصار
المذكور . ومعه الامم باشية فقابلهم بالهبات والسرور . وكان دخوله
الى الكاف في الخامس عشر من رجب المفرد . فنال من بركة هذا الشهر ما
لم ينله احد . وبقيت البشائر ثلثة ايام . وظهر فيها من الطاعة ما ظهر
من السعيان في خمسة ايام . وفي السبع عشر منه تزوج بكريمة من كرام
الاقبال . جعلها الله بالوفاء واللين والاقبال . وطلع في العشرين الى الحصار
وتنزه في مناظرة . واحاط خبره بما فيه من اوله الى اخره . وانعم على متن
به باحسانه ولسانه وبالسبح في الاكرام وتصلوا بالاشتذار وهربوا من نار
العصيان الى جنة الطاعة فصارت عليهم بردا وسلاما وهو متاهب للروح
الى منزله ودياره . ليصوم شهر رمضان المعظم ويتعلا من عآربه واوطاره . والله
يبلغ كل نفس مشتقة الى روية اهلها . ويعيد شمس طاعته الى بروج
سعادتها والشمس تجري مستقر لها . وهما ما انتهى به خبري . وما املته

من ذكرى ، وما التفتت هذه الجواهر إلا من بحيرة ، ولا تعلت النظم إلا من
نخلة . وإن مد الله في الاجل ، وجعل فسحة في العمر والامل ، لاجعل
كتاب مستقلا واشجبه بجميع مآثره ، وارصعه بدور محاسنه من اوله الى
آخره ، ان شاء الله ، والله يبلع كل نفس ما تشاء .

الخاتمة

وفيها اربعة فصول

الفصل الاول

قد تقدم في اول الكتاب التعريف بتونس وما نقلته من اقوال المؤرخين
هل هي قديمة او محدثة والذي صرح عنده انها محدثة مشى على قول
العلامة ابن السمع وكبر لم يشف الغليل فيما نقله عن المؤرخين وهو
من العلماء الراشدين وكان في ايام ملوك بني ابي حنص اواسط دولهم
وكانت تونس في زمانه في غاية الشرف مشحونة بالفصلاء والعلماء ومن
يقتدى بهم وصنف كتابه للخليفة ابي عمرو عثمان والعجب له كيف
رحي بهذا القدر اليسير وقصر في اماكن كثيرة ونهت على بعضها وشجرت
عن البعض لحشمتي منه لاني لست بكفو له . ولما تكلم على اصل تونس
وبدئت لم يستوف الكلام عليها إلا انه قال احدثت بعد الثمانين من
الهجرة الى آخر ما ذكر وقد تقدم في اول الكتاب وعملت بعض امور ما
ذكرها وربما ذيلت عليه وعملت ما قلته غيره ولكن بقيت امور تمس بهذا
المجل ناني به ان شاء الله وفذكر بعض امور حدثت في هذه الدولة
التركية وبعض امور وقوانين احدثت بعد الدولة الحفصية وبعض امور
بقيت على حالها كما كانت عليه الى ان تستوفي ما نقدر على جمعه
ليكون سله من ياتي بعد ان شاء الله تعالى ، وقد تقدم ان الذي صرح
عندي انه قديمة من بناء الاول وانما فتحت في زمن حسان او في زمن
زهير على اختلاف في ذلك بين المؤرخين وانها كانت مسورة ولها خندق

يدور بها ، ثم ذكرت ان المجاري على السنة اعلمها ان السور من بناء الشيخ
سيدي محرز وهذا القول عليه اجماع اهل تونس وكنت اعتذرت في الاول
وعملت قولهم بقولي واعلم جده بعد المحنة التي وقعت على اهل افريقية
من امي يزيد الخارجي وقد تقدم اكثر هذا الخبر والان اقول ان السور
الموجود في زماننا هذا هو غير السور الذي بناء الشيخ سيدي محرز رحمه الله
والذي بناء الشيخ دثر ولم يبق منه شيء والله اعلم واظنه هو الذي كان
دائرا بالارباص الذي منه باب الخضر وباب ابي سعدون وباب الاقواس
وباب الفلاني وباب علاوة وغير ذلك مما هو معلوم عند اهل تونس وبشهادة
لهذا ما ذكره ابن الشماخ ان ابن تافراجين جعل نصف كراء المعاصر او
نلكه وقف على بناء السور البراني وان الاوقاف التي هي الان على السور
من تلك الاوقاف والله تعالى اعلم . وبقيت من هذا السور بقية الى آخر
ايام بني ابي حفص لان احوال البلد تغيرت وتلاشت في آخر الدولة مما
كان يقع بينهم من الاقنان والمحن ونحن في طرف من ذلك نسأل الله
اللطيف بعمه وكرمه وكذلك المكان الذي يقال له الفلة بمقربة من الجبارة
خرج الربيع القويص من مقابر الجلاز وانما سمي بذلك لانه كان ملجأ
في السور المذكور ولما دهم اهل تونس العدو من النصارى وفروا بانفسهم
خرجوا من هناك خيفة ان تؤخذ عنهم الابواب فخرج اكثرهم من هناك
فكان يقول بعضهم لبعض اخرجوا من الفلة او اخرجنا من الفلة وهذا الاسم بقى
الى اليوم . وسمعت ايضا هذا الخبر من رجل حدثني عن ادرك تلك الحادثة
والله اعلم بحقيقة ذلك . وكذلك لم تكن تونس في اول امرها قاعدة من
القواعد لانها ان كانت مما فتح فتكون احوالها تلاشت او لم تكن عامرة
كغيرها وان كانت محدثة فقد تكون صغيرة في اول امرها ثم تزايد امرها بعد
ذلك ولكن الذي نقله ابن الشماخ مخالف لما ذكره لانه قل كان ابو جعفر
المنصور العباسي اذا جاءه رسول من القيروان يقول له ما فعلت احدى
القيروانيين نعظيم لها وهذا يدل على انها كانت في غاية العمارة في ذلك

العصر والله اعلم . وايضا لم اجد سن تصدى لها او دون فيها إلا ما ذكره ابن
السمعان او سن تعرض لها غدا من غير قصد ويمكن ان نكون فيها عدة
دراوين إلا انها نهبت في تلك الفس او ان عمالها كانوا يحرقون اهل هذا
الفن لحقارتهم عندهم ولكن اجن خلدون كان من علماء هذه البلاد وله تاريخ
بعد من النوارينخ العظام حتى انه لما حصل في يد تيمور فما اقباه من شدة
إلا هذا التاريخ لغرابته ولولا خوف البلاله لاستوفيت قصته الى اخرها .
ولنرجع الى تونس فنقول انها كانت احوالها متلاشيتة ولم يكن لها ذكر مع
القيروان وانما ابتدأت في الزيادة والنمو لما سكن بها بنو الاغلب ولما
تغيرت دولتهم ببني حيد كانت دولتهم بالمهدية والمنصورية والقيروان ولما
تملكت منها جنة على افريقية كانت عمالهم بتونس وعصت عليهم غير
مرة وقدم اهلها احمد بن خراسان ورضوا به فكان يذب عنهم وبنيه بعده
فكانت احوالهم مثل الشايين بالقيروان واحدهم الشيخ الذي بمقبرة
السكاجين بآزاء دار الحاج محمد لاز والناس يقولون انه من السلاطين
العادلين ولم اقف له على ترجمة لاصحح خبره . ثم لما اراد الله باصلاح
حالتها قامت بها الدولة الحفصية فعظم قدرها بين البلاد وما ذلك إلا
لانهم قاموا مقام الخلفاء وخطب لهم بامير المؤمنين وجعلتهم البيعة من
الاقدرس ومن مكنه شرف الله تعالى قدرها سنة سبع وخمسين وستمائة
فحينئذ ضخم امر تونس وشدت اليها الرحال وهجر اليها من كل البلاد
وكنت متشوقا الى الكشف عن هذه البيعة واي شيء كان سببها وسالت من
لم اعتد بعلم التاريخ فلم يكن عنده جواب الى ان فتح الله علي بعد زمان
وذلك ان الخلافة العباسية كانت يعداد وانقرضت في سنة ست
وخمسين وستمائة على ايدي التتار لما قتلوا الخليفة المعتصم وبقيت بلاد
المشرق ثلثة اعوام بلا خليفة الى ان بويع بمصر الخليفة العباسي سنة
ستين وستمائة وكذلك بلاد المغرب صعدت بها الخلافة المومنية وانهدمت
قواعدها فاحتجج الناس الى خليفة فلم يكن اقرب منهم لما ادعوه من النسيب

وأنهم من قريش من بني عدي من جمعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 فحينئذ ارتفع ذكرهم وعمرت البلاد وجاءها الناس من أقطر الأرض وكثرت
 علموها وانتشر ذكرها في الألفاظ بحيث إذا قلوا علماء أفرقيته في هذه المدة
 إنما يعنون بها تونس . وكان بنو أبي حفص يجلبون العلماء ويحافظون
 على الشرع ممثلين لأمرة وأخبارهم في ذلك شهيرة . وكان بنون أربعة
 من القضاة قاضي الجماعة وقاضي الانكحة وقاضي المعاملات وقاضي
 الأهل وقاضي الجماعة عبارة عن قاضي القضاة بالمشرق . وكان بالمحصرة عدة
 من المفتين فمنهم من يكون متصدرا لها بالقلم ومنهم من يتصدر للأخبار
 فقط وإنما تنفذ الأحكام على يد قاضي الجماعة يتصرف في الأحكام الشرعية
 من غير مطلع عليه . وفي المائة التاسعة ظهرت رتبة المفتي وصارت
 أرفع درجة من درجة القاضي وإذا أشكل على القاضي بعث إلى المفتي
 يسأله ولا سيما في هذه الدولة التركية فإن القضاة تعيّن من بلاد الترك
 والغالب عليهم العمدة ومذهبهم مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه
 وأهل المحصرة على مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه فاحتاجوا
 إلى نائب يكون بين يدي القاضي فيكون بمثابة قاضي الخصومات
 والقاضي الشرعي مقام قاضي الجماعة . وكان بنو أبي حفص يجلبون
 يوم الخميس لاجتماع القاضي والعلماء في مجلسهم وتنفيذ بين أيديهم الأحكام
 الشرعية وذلك في كل أسبوع وتلقى بين أيديهم المسائل المعضلة والمباحث
 بين العلماء والأحكام تتصرف بين يدي السلطان ولا يقع بين يديه من
 الأحكام إلا ما هو مشهور بين العلماء وذلك المجلس ساعته من نهار وبقي
 الأيام يتصرف القاضي في أحكامه في داره أو مكان يختص به . ولما جاءت
 الدولة التركية وصارت القضاة من تلك الديار كما قدمت احتاجوا إلى
 مجالس كما مرث به العدة فجعلوا بين يدي العامل وهو المعبر عنه بلبشا
 بلغتهم فيجلس في مجلسه في دار الخلافة وهي التي يقال لها دارالبش وان
 لم يحصره فالخليفة الذي له وحصر القاضي والفنيون ونقيب الأشراف

تبركا بالنسب الشريف وتلقى بين ايديهم المسائل المشككة وذلك لما جرت
به العادة والعمل بالمحصرة ان المندعي عليه اذا لزمه شيء عند القاضي وخاف
من الميل عليهم يقول انا بالله وبالشرع وبالمجاس فتوقف امرة الى يوم
الخميس فاذا حضر اليوم المعلم رضى بما يحكم به عليه هذه القاعدة الى
يومنا هذا وبزيادة وانما صار المحاكم بها كما قدمنا سردارا على العسكر
وانما كالتاظر على العمل وهو الدولاني بل ان العامل لا حجة له معه صارت
الاحكام تنصرف في المجاس وبعد تمامها يخرجون باجمعهم القاضي والمفتيون
ويطوفون الى دارة ويخبرونه بما وقع وبجميع ما حكموا به وربما يتوقفون
في معصل لا يتم امرة الا بين يديه اما لشغب بين الخصمين او لالتجاء
احدهما ببعض الامراء فلا يتم الا بحضرتهم وهلم جرا . وفي الدولة التركية
كان يحضر بهذا المجلس المذكور اربعة من المفتين حتى اذا مات احدهم
قام آخر عوضه الا ان في يومنا هذا ليس بها الا مفتين لا غير . وفي اول
ولايتهم لم يكن لهم مفتي حثي الا القاضي وكان الشيخ محمد بن ابي ربيع
من يتعاطى حل المسائل من مذهب ابي حنيفة حتى نشأت منهم جماعة
فغاطوا المذهب هناك وذاع بينهم وشاع فقدموا مفتيه على مذهب الامام
أبي حنيفة واول من تصدر لهذه الرتبة الشيخ ابو العباس احمد الشريف
الحفي وذلك بعد الاربعين والالف . واما الذين على مذهب الامام مالك
ابن انس فكانوا في اول الدولة اربعة ولا يتقدم احد لهذه الرتبة الا صاحب
فدين وعفتى وكذلك الباشوات الذين كانوا في اول الدولة عليهم كان على
منهمج وفيهم من كانت له خبرة بالعلوم وسمعت ما حكى عن احدهم
وهو فاضلي باشا وكان بعد العشرين والالف من الهجرة وهو آخر باشا كان
مقامه بالقصبة ولم يحكم بها احد بعده من الباشوات كتب بين يديه
كاتبه تذكرة لمن يتعاطى حسابات المعاصر فكتب هذه اللفظة بلسين فقال
المعاصر . ولما وقف الباشا المذكور على هذه الكلمة قال يا حسيونا على فاضلي
فنا كاتبهم لم يشرى بين السنين والعدد وهذا دليل معرفته وناقته رجه

الله فإذا كان الباشا بهذه المماثلة فاحتمى أن تكون العلماء أعلى من ذلك
 وكانوا إذا حضروا بالمجلس إنما يكون منهم الاختبار بالأمور الشرعية إذا
 سئلوا عنها وينفذ أحكامهم حاكم الوقت . وأول من أظهر لهذه الرتبة تعظيما
 وزادها بشهادتهم مفتحيها الشيخ أبو الحسن النفثاني ابن الشيخ سالم النفثاني
 وصحبا الشيخ سالم مفتيا في أول الدولة معاصرا للشيخ قاسم عظم والشيخ
 إبراهيم والشيخ محمد قشور وكلهم على طريقة حسنة رحم الله الجميع . ولم
 ننبعثنا اسمه من ولي منهم الفقيه لعجزنا من حصرهم لفوات عصرهم ويعز علي
 إذ لم أرهم وإنما اذكر من أدركتهم وشهدتهم والشيخ أبو الحسن من رأيته
 وكانت بينه وبين والدي صداقة وكان عظيم العجب رفيع الجناب وعاصره
 في رفته الشيخ أبو يحيى الرصاع وتصرف في حياته والشيخ محمد أبو ربيع
 وهو ممن شهدتهم أيضا وكان صديقا لوالدي والشيخ أبو الحسن انقذهم كلمة
 وأسلامهم بجدا فكان يصرف في الملكة تصرف الوزير المستشار بحيث
 أنه في أحكامه - إذا قالت حذام فصدقوها - وتسام البيت معروف .
 وكان قبل ذلك أهل المحصرة إذا ترسب على أحدهم حق بالأحكام الشرعية
 وحكم الحاكم أو أفتى المفتي بغير المشهور رفع أمرة إلى بعض العلماء فيخبرونه
 بما عليه العمل وربما أطلعوه على محل النزاع أو يقولون له المسألة في كتاب
 كذا وفي موضع كذا وإن كانت له خبرة أو قهوة على مسألة ثم إذا حضر
 بالمجلس الشرعي تكلم بحجته وقال مسألتي كذا وكذا وتقع المشاجرة بينه وبين
 من قال بخلاف قوله وهذا مما يتجربا به العوام على أهل العلم ولما سافر الشيخ
 أبو الحسن المذكور إلى الديار الرومية في مهم اقصى إرساله جاء ومعه خط
 شريف من الباب العالي وأنه لا يسئل عن نص أفتى به ولا يرد ما حكم
 به فلانحصرت هذه المدة ولم يتعرض أحد لذلك فيما بعد وبه جرت العادة
 إلى يومنا هذا ولم يزل في رتبة عالية مدة حياته ومات من كان معاصرا له
 وانفرد بالكلمة هو وأخوه الشيخ علي النفثاني والشيخ محمد النفثاني ، ولما
 كانت سنة تسع وأربعين وألف وشي به عند حاكم الوقت يوسف داي .

وشدعت على الشيخ ابي الحسن مسائل شنعها عليه بعض الصوريين له
فتغير عليه حاكم الوقت المذكور فخرج الشيخ الى ناحية المشوق لزيارة
النبي عليه الصلاة والسلام فمات في الطريق في مكان يقال له الينبع وقبر
هناك وقبرة مشهور وقام اخواه مقامه من بعده . فلما تولى اسطا مراد الدولة
فكبهما واقام بدلا منهما الشيخ ابا الفضل المسراتي والشيخ احمد الرصاع
وكانت بين الشيخ ابي الحسن والشيخ ابي الفضل المسراتي صفات في
النفس موجها حب الرئاسة فلم حلت بخويهم هذه الذلة كان ممن
افق بقتلهم فضلا عن العتوبة فنجاهما الله وصودرا بابل . ولما تولى احمد
خوجته منصب الديات بعد اسطا مراد طلبا منه الاذن الى الحج الشريف
فاذن لهما ولما بلغ الى الديار المصرية والحجاز يدكنا سؤالا على حسب
النازلة التي نزلت بيما وبدا فاقى به الشيخ المسراتي خافق طبعه المشرق بما
واقفهما وبعد تمام الحج رجعا الى الديار الرومية وعرضا امرهما على الابواب
السلطانية فقبلت هجتهما وكنت الامر على وفق مرادهما واقام الشيخ محمد
في تلك البلاد وترقى الى رتبة الوالي الى ان مات هناك في حدود السبعين
والالف وله عقب هناك ورجع الشيخ علي التتائي الى تونس واستقل بمنصب
الفتيا من غير منازع وعزل المسراتي وصاحبه احمد الرصاع ولم يزل في رتبته
نافذ الامر ومواقفه في المنصب الشيخ احمد الشريف الحنفي السابق ذكره
ومن بعده الشيخ محمد بن مصطفى الازهري فزيل تونس الى ان مات الشيخ
علي في عزة بعد الستين والالف فعند ذلك استقل الشيخ محمد بن مصطفى
وانفرد بالمذهبين الى ان توفاه الله سنة ست وستين والاف . فاقم بدله
الشيخ مصطفى بن عبد الكريم فتولى رئاسة الحنفية لا غير واعيد الشيخ
المسراتي والشيخ الرصاع الى مكانهما . ولما كانت سنة اربع وسبعين صرف
الشيخ مصطفى عن ولايته الحنفية واقام بدله الشيخ ابو الحسن يوسف
درغوث فباشر المنصب بتعطف وامسك وصلابة في الحق ووقوف عند الكلمة
فكنت تحدث من الشيخ المسراتي هفوات ياخذها منه الشيخ يوسف

الذكر ولم يتم له قولاً ويعرضه في سقائهم الى ان تسبب في عزله
وبقي معه الشيخ احمد الرصاع وليس له مع الشيخ يوسف إلا الاسم والشيخ
يوسف صاحب الحل والعقد الى ان مات في الواقعة المنقمة ذكرها رحمة الله
عليه . ولما قدر الله تعالى بالطامة الكبرى وهي الواقعة التي كانت بين
العسكر والمرحوم مراد باي وقد تقدم ذكرها كان الشيخ المسراي احد اسبابها
وهو الكاتب من املائه الحجة التي شنت عليه فلم يتم ما اراده وانصر
الباي المذكور وعاقب من عاقب عن بيئته وعنه عن عفا عن بيئته مصادر
الشيخ المسراي ونكبه واراد قتله فشفع فيه صهره ابو العباس الشيخ احمد
الشريف فشفعه فيه وذلك سنة اربع وثمانين . ثم ظهر للمرحوم بركة الله
مراد بي ان يولي هذا المنصب الشريف لمن يكون اهلاً له فوقع اختياره
على شيخ الوقت بالاطلاق . ومن شدت الرجال اليه من جميع الافاق . الشيخ
العالم العلامة . الحبر الفهامة شيخ مشايخ الديار التونسية . ومن يشار اليه
بالبنا في العلم الموسوية . ومن تفتخر به الفضلاء من ائمة محمد . ومن سعى
بسعيه المشكور وعلمه المبرور وادركه بركة سمي لما سمي بمحمد . المتفنن
في العلم الثقيلة بما رواه عن النفاة . المتصرف في الغوامض العقلية بممارسة
العلم وبالحفظ والشبث . الذي طالع في سماء البلاء بعلم البيان فظهر
القطب . ونحو المعرفة ففأخرنا به العرب . الهمام الامجد الشيخ ابي
عبد الله محمد المدعو بقائمه . سلم الله من كل الحوادث ذاته . وصرف عنه
كيد الكاهين . ومنع احبابه بعلومه الشريفة وحياته الى حين . وبشهادة
الله لم استوف حقه فيما قلته . ولم اك من المتعصبين في مدحه بما
فقدته . ولم يكابر إلا تن طمع على قلبه . وانقطع سببه من سببه .

ومن يقل المسكت ايس السذا كذبه في الحال من شمه

ولما عرض عليه المرحوم مراد باي ان يتولى هذا المنصب ابي ذلك . واستمع
من التعرض لهذا الامر الخطير والدخول في صيق هذه المسالك . وتقرر
اعتداله عند اهل البلاد فعظم عند الناس قدره وزاد مكانه وعلم الخاص والعلم

ان تمنع نزلها وديانته وكنت نطفلت على ذوقه السليم بان مدحتهم بعدة
أبيات وقابلت سبائك ابريره بما سبكتهم من مناقيل النحاس فسترني
بستائر حلم وهكذا فليفل النس بالنس وارنت ان ابث بعض ما قلتم
على جهة الاينس ونغرلت في اول القصيدة لمساعدة كنيته على الروي فقلت
بديع الحسن لو ابصرت ذاته رايت الحسن مجموعا شتته

وانا مستمر في تغري الى التخلص وهو المراد وفيه اشارة لاعراضه -

فاعرض جانباً وازور عيسني اسما اعرض عن الشئ فتائه

ولولا خشيته الاطالته لاتييت بها ، ثم بعد ايام اضطر السبي اليه لانه لم
يجد من هو افهم منه سلم الله له كان يعرف من دينهم وعلوه على غيره في
منصبه فالزمه على كره منه وهذه كانت تعد من حسنات النبي رحمه الله
فامتثل لامره ذلك ، ورضي بما قصي به المالك ، فسر به اهل الصلاح
والسداد ، واقتدوا به الى طريق الرشاد ، فحذفتني اريحة اديبة ، ومدحتهم
بقصيدة رائية ، وجاءت براعة استهلاليها وتخلصها صنع الله الذي انقن كل
شيء ببركته فيتم الصالحة ، ومطلع القصيدة وفيه نغزل ونورية حيث قلت -

تمنع يوم الوصل واستعظم الامر واعرض اجلالا فقلت له صبرا

مليح حري ماء النعيم بوجهه وفي كل قلب من حرارته جرا

ورحمت وانا مستمر الى ان تخلصت وانتم من المحاص العجيبة التي
حصلت لي ببركته ايضا فقلت -

تعلم من شيخ الانم تمنعسا ولكن ولي الامر الزم جبرا

ولا يخفى على اهل الادب ما اشرت به في قولي تمنع واستعظم وفي التخلص
ولكن ولي الامر الزم جبرا فلا يخفى هذه الكلمات الا على اكمل لا يبصر
القمر وما اطالت من ذكره الا بما يستحق من الفضائل ولم ابلغ الى كنه
وصفه والحق يقدر والشيخ المذكور من اعتقد حبه في الله لا شيء الا
لشرف علومه وان كنت حرمت ان اغترف من بحره ولم يساعدني الحل
أو النقط من درره فلقد اصدقني وذاذ من وابله وذلك ان نجلاه السيد النقيب

الشاب الانجد الشيخ اب العباس احمد ابن الشيخ المذكور عدي له يد
افادني بمسائل فتق دعني بها واستفدت به زاد الله في حسناته وهو من
قرجى له بركة ابيه ان شاء الله لانه تصدر للتدريس في حياة والده وله
مسائل دقيقة على كتب العلوم وعدة علوم زاده الله من فضله وكذلك اخيه
ابراهيم ممن احبه في الله ويحبني فيه واظن ان شاء الله ان والدهما كذلك
ولولا خشية الملالة لاملث في مناقبهما عدة كراريس وفي هذه الميزة كفاية
واحلف بالله ما رفعت هذه الكلمات الا بوقاحة مني لاني لست من اهل
التعرض الى ذكره ، ولما تم له من الامر بهذه الرتبة ما تم بشرها بتواضع ووقار
ولم يغير من هيئته بل زاد في تواضعه يقتضي حوائجه بنفسه ويبشر اموره
لا يكلف به احدا ولم يأخذ على ما يكتبه اجرا عمله الله ينيره وحفظه
في ذريته ، واعجب من هذا انه لما امتحن في الواقعة التي سلمه الله منها
بسعاية الكاهنين لما قبض عليه وعلى الشيخ يوسف درغوث وقد تقدم ذكرهما
وقتل الشيخ يوسف ونجى الله من ذلك الشيخ محمد المذكور كل هذا من بركة
العلم الشريف لانه لم يدلس فيه ولم يدنس ، وكنت كتبت له رسالته
هنيئته ولكن لم تصل اليه ومنعتني من الحشمة وافتحتها بقولي سبحان الذي
اسرى عبده ليلا والحمد لله الذي انزل على عبده ان اسر باهلك بقطع من
الليل ان منجوك واعلك الا امرائك والهم عدة لما حصل في وثاق الاعداء
ان فر من بين العسس فكتب له النجاة الا واعوذ بالله من قوم ليس لهم
عهد يعد ولا ذمة لذمم ولا يراعون فيكم الا وهي طويله اضربنا من ذكرها
وهو حفظه الله تعالى ملازم للاشتغال بالقرأة وله عدة دروس في الجامع الاعظم
وفي مسجده بمقربة من كتاب الوريث وفي داره هذا مع اشتغاله بما ينفع
الناس اذهب الله تعالى عنه الكدر والوسواس والباس ، ومن فيته الصالحة
ان جعل الله رفيقه المتي على مذهب الحنفية الشيخ اب السعادة عبد الكبير
ابن المرحوم الشيخ ابي المحسن يوسف درغوث قدم بعد وفاة والده بالخطبة
مع المرحوم يوسف داي فم قدم القيا بعد فممع واستغاث فصار بسيرة

موصيته . ولم تجر احكامه إلا على القواعد الشرعية . وهو في صفوان الشعب .
ولم تظهر له صبوة في السابق يلزم منها الخراب . وهو حفظه الله من
أهل الصلح بين الخصمين . ومطالب أوقائه في المساعدة بين الناس بلا
مين . وكان تقديمه أول سنة تسع وثمانين وألف عن كرامة منه وجبوة
على ذلك علي بابي لطف الله به وهو حسنة من حسنته كما أن رفيقه
حسنة من حسنت والده رحمه الله .

الفصل الثاني

فيه حوادث ظهرت في الديار التونسية غير ما كانت
عليه في الدولة الحفصية

كانت أيام بني أبي حفص في أول بدايتهم من غرر الأيام . وانتشرت
دولتهم حتى عمت بلاد الاسلام . ومقدم من ذكروهم ما فيه كفاية . ولكن
فأني بطرف من ذلك ليكون خبرة لأهل الدراية . وكانت دولتهم على
أسلوب العرب وعدنتهم الرماح والسيوف والنبال ولم تكن المكاحل ظهرت
في مبتدا أمرهم وإنما ظهرت في آخر أيامهم في أيام الفش لأحول صاحب
قشتالة لعنه الله ومن هنالك أخذت صناعته في الزيادة إلى أن كثرت في
غلب العمور . وكانت صاكرهم يدعون بالموحدين لأنهم من أتباع ابن
تومرت كما تقدم ذكره لأنهم سماهم بالموحدين لرعيه أنه قائم بالتوحيد أي
بكلمة التوحيد وجعل لأصحابه توحيداً بلسان البربر فمن لا يقوم بحفظه
لا دين له فبقيت أسياسهم من بعده على دعوته وأقصدوا بأمامته . والطبقة
الأولى من بني أبي حفص امتد سلطانهم من تلمسان إلى طرابلس الغرب
ولما تفتقرت دولته بني عبد المؤمن من بلاد المغرب وكثرت الفتن بين أبناء
الخلافة منهم تسمى بنو أبي حفص بالخلفاء وجاءتهم البيعة من الأندلس
وفيها وجاءتهم أيضاً من مكة المشرفة لعدم الخلافة بالشرق ولم يزل أمرهم
على أحسن حال حتى وقع بينهم التماسد واختراق الكلمة فدخلت دولتهم في

الادبار الى ان كانت دولة السلطان محمد بن الحسن خرجت طرابلس عن حكمه واخذها عسكريا ل عثمان وكذلك الجزائر ولم يبق بيده الا تونس وبلد العناب . وفي ايام ولده الحسن نافقت القيروان على ابي الشابيخ وناقض الفليحي بسوسة والمهدية . وفي ايام السلطان احمد بن الحسن وصل العسكر العثماني الى المحمدات وطالت ايام السلطان احمد في الدولة واحبى بعض ما درس منها وكان عسكريا لا يزيد على الف فارس وسماه الزمرمية ويكبرون الخيل وكان مغرما بالتنجيم واهله ومعلوم الاجفان وكانوا يخبرونه بزوال الدولة منه وتسير الى قوم لغتهم اعجمية الا ان سلطانهم يمشي على الاقدام لا يركب الخيل فذهب به رايه كل مذهب فلم يجد ملكا على هذه الحالة فانخذ جندا من العبيد ناولا وصارت لهم دولة يذل لها الدولة الجناوية ثم قتلهم وكذلك سمي مملوكا له علي باشا ناولا له كان يحذره والله غالب على امره . ولم جاءت الدولة التركية ظهروا كان يحذره لانهم مشاة على الاقدام وكبيرهم الذي يقال له الداي كذلك فهو بمنزلة السلطان على الحقيقة لانه المصروف بحكمه في الاقاليم فصحت الاخبار التي اخبر بها ولما تمكن حكمهم ودانت لهم البلاد اتخذوا اصطلاحا واحدا في امورهم كانت عليهم اولا من ذلك ان لهم جماعة يذل لهم اوده باشية واحدهم اوده باشي معه راس الدار لانهم يقدمون المصنف اليه فلعنة اوده هي الدار وبشي هو الراس واصلمه باش والياء زائدة عندهم الا انها كاحد الصائغر وتحت يد كل واحد منهم جماعة نحو العشرين واكثر واقل ولهذا الواحد النظر على جماعة واعلى من هؤلاء جماعة يقال لهم بلوك باشية واحدهم بلوك باشي والبلوك اسم للجماعة والبش للرأس كما تقدم ومعه راس الجماعة وهو اعلى من لعنة الاوده واعلى رتبة منه وكلهم بالشرقي فمن الاوده بمشي الى بلوك باشي ومن البلوك باشية يصير اعنتهم وهو كبيرهم لا يصدرون ولا يردون الا عن مسورته وكان الاعنة في مبتدا امرهم ثمانية الاوامر السلطانية من الباب العالي من عند الاعنة الذي هلك اسم الجوريت هذه القاعدة

فصار يلي هذه الرتبة اكبرهم ولم يحتاجوا الى امر سلطاني وعدة الاودة باشية قبل اليوم مائة وخمسون ولما تزايد العسكر زيد فيهم ايضا فعددهم في زماننا مائتان واذا نقص واحد منهم حطوا بدله ولهم لباس يتميزون به عن سواهم ولهم اقضية باكدام طويلة واسعة من عند المرافق وخم الكم ضيق ويضم ضد الكوعين بصناعة محكمة وعلى رؤوسهم طراطير من الخوج بصناعة مكشفة يمتاز بها ويمتاز البلوك باشي بعمامة يكبرها قليلا فيعرف بها وكذلك الاعة له عمامة مفردة لا تكون لغيره ولها رجل مكلف بصلاحها ومن تحتها جماعة يقال لهم ايم باشية معناه الحجية الكبرى لهم علامة على رؤوسهم يقال لها اسكفة مزركشة بالتصيب يلبسونها ساعة من نهار في مواكبتهم وهم ركب من امام عانتهم . وكان في اول الامر الحكم للافة والجماعة التي ذكرنا الى ان كان من امرهم ما يقدم عند ذكر مقل البلوك باشية وتولتة الحكم الدولاقلي فصار غالب الطر في الاحكام له الا ما قل ولهم مكان يحضرون فيه كل يوم ساعة من نهار فيحضر الافة وهذه الجماعة المذكورة في ذلك المكان ويسمونه دار الديوان ولهم شواش ستة ولباسهم مثل الاودة باشية الا ان الذي على رؤوسهم فيه بعض خلاف فيعرفون بذلك فاذا اجتمعوا في المكان المذكور جلس الافة على كرسي في الصدر ثم الذي يليه بحيث لا يتقدم احد عن رتبته ولهم كتابة وترجمان ولهم اربعة من اكابر الاودة باشية يقال للواحد منهم بش اودة معناه كبير رؤوس الديوان ويصلون الى هذه الرتبة بالترقي ثم اذا انفصل عن هذه الرتبة صار من البلوك باشية ويرتقى الى ان يلي منصب الافة وحادة الافة ستة اشهر لا يخرج من بينه الا الى الديوان او في يوم معلوم ثم اذا جلس في الديوان يكون اكبر الشواش قائما بين كتفيه والترجمان براء الافة فاذا اخذوا مراتبهم قام خطيبهم فدعا بدعوات السلطان والعسكر وقرئت الدائمة ثم يخرج مناديتهم عند الباب فيقول من له دعوة فليدخل فاذا دخل قابلهم الترجمان واخذ دعوتهم من لسانهم ثم ياتيهم بالاشارة ثم ينادي مناديتهم الى النباش اودات الاربعة فيحضرون

بين يدي الاغمة ويعرض عليهم تلك الدعوة وان كانت من الامور الشرعية ردها الى الشرع وان كانت قنونية فعلوا بأرائهم او بما جرت به العادة بينهم وان كانت مسالمة معصلة اخروها الى مشورة حاكم الوقت وان كانت صدرت من اذنه امضيت فاذا تمت احكامهم حط لا كابرهم طعام اكلوه ثم يتصرفون الى ما يريدون الا ان اخذتهم يروح الى بيته واذا افرق ذلك الجمع انصرف من اكابرهم جماعة مثل الخوجات واكبر الشواش ومضوا الى حكام الوقت فيخبرونهم بجميع ما حكموا به الا النادر الذي لا يعبا به هكذا دأبهم كل يوم الى اقتضاء مئة اشهر يعزل ذلك الاغمة ويقوم مقامه الذي يابيه وهم جرا ولهم مواكب يظهرون فيها ابهة الملك وينشرون نمرسا للسلطنة وذلك انهم اذا ارادوا اخراج المحلة على حسب العادة نادى عناديتهم وهم الشواش يرتكبون الخيل ويلجئون في الاسواق ويخبرون جماعة العسكر ويأمرونهم بالتأهب للخروج ومن المناد يصبحون وقد لبسوا االث حروبهم ويجمعون عند باب القصبه ويكون الحاكم هناك ثم يمضي الاغمة والادوة باشية الى دار الخلافة ويحضر هناك الخوجات الذين يحملون البيارق فينشرونها ويحضر الباي المعين او خليفته فيخلع عليه الباشا خلعة سلطانية ثم يخرج كاهية الباشا معه وبين ايديهم الشطار والايك مشاة على لاقدام وتشر الرايات الملوكية وتندق النوبة العثمانية بلطبول والانقرة والزنجهارات ويخرجون بدب وسكينة مصطفىين من دار الخلافة الى باب القصبه ويكون العسكر قد اجتمع هناك فاذا قرب الديوان اي الجمع الذي فيه الاغمة والباي الى باب القصبه قام الداي بنفسه ان شاء ومشى في اول الصفه وان شاء قدم احد الاكابر من جماعته وامره بالمسير عرصه وذلك تعظيما له بحيث يكون هو المتصرف تلك الساعة وامره نفذ على ذلك الجمع فاذا خرجوا من المدينة الى طهرها حيث يكون الوطى والاخسية المهيئة للسفر دخل الباي والاغمة والجماعة المستعدة للسفر ورجع الباقيون الى البلد ويكون قد تعين على المسافرين منهم جماعة يتعاطون الاحكام في السفر مثل الاغمة

والأودة باشية والبلوك باشية ومن يقوم مقام الداي فيهم مدة إقامتهم في السفر إلى أن يرجعوا إلى المحضرة ولهم أدب في رحيلهم وإقامتهم وأمر آخر أصربنا عنها فإذا رجعوا من سفرهم بعثوا أرسالا يخبرون بوقت مجيئهم في يوم كذا فيتأهبون للقائهم على العادة التي قدمنا إلّا أن في يوم دخولهم زيادة على ما ذكرنا وذلك أن العسكر الذي يخرج من البلد إذا صاروا من خدج المدينة وتقابل العسكران يجعلون برورا وهو أن يمرأ بمكانهم ثلثا ثم يجيئهم المسافرون بثلث ثم يجتمع العسكران ويدخلون البلد ويكون يوما مشهودا تجتمع الناس لمشاهدته ويبضي أكابر العسكر إلى دار الخلافة ويخلع هناك على البني أو على خليفته خلعة سلطانية ويرجع بأكابر الديوان إلى منزله وتدفق هناك الطبول ساعة ثم ينصرف ذلك الجمع هكذا ذابهم في كل عام مرتين وهذا النعوس لم يكن مثله في البلاد الغربية التي تحت أيدي العساكر العثمانية . جعل الله أعلامهم بالعدل منشورة . وأحكامهم بالتوفيق مذكورة . وجعل سيف هذا السلطان قاطع في رقاب الكافرين .

انقضاء لأصلاح الدين والدين *

الفصل الثالث

فيما تميزت به الديار التونسية

وما تفتخر به بين أحيائها

اعلم أيها الواقف على هذا المجموع أن لتونس معاخر جمة لو استقصيها لظال بنا المجال ومخرجنا من الحد ولكن نأتي من كل شيء بطرف . وقد كانت قبل هذا الرمان في غاية من الشرف . وأهلها في النعيم والترف . بحيث لم تكن بلد تضاهيها . ونفوس أهلها عظيمة بأمنها وأمانها . وكانت محط الرحال . ومبلغ الأمل . إلّا أن في زمانه هذا تلاشى أكثر نعمته . ولكن بقيت منها بقية تستل علىك لتعلم بيزيتها . وإذا اقتحرت مدينة من مدن المغرب فما أحق الشجر بتونس . وإذا حل بهم غريب نال الشانس من

نوفس ، والدليل على ما كانت عليه من رفاهية أهلها في القديم وبقيت إدارة
حوار غالب أهلها كانت لهم حمامات وبساتين يخرجون إليها بعيالهم في زح
الصيف والخريف وتكون النس في أسواقهم يتعاملون إلى آخر النهار ومبيتهم
في بساتينهم ومن الغد يسكرون إلى البلد ولهذا كان سوق الربع وهو أكبر
أسواقهم لا يفتح إلا بعد طالع الشمس وجرت عادة العدة إلى اليوم ولهم غير
ذلك من الأعياد والمواسم والتفخر بالأعراس الحفلة وإظهار النعم حتى بالمأتم
وناهيك أن أعيادهم مشهورة فمما يستعملونه في أيام العيد من الحلوات
والأطعمة التي لا توجد إلا في الحصرة المقروص الذي يتفخرون به وهو مشهور
بينهم لا يحتاج إلى تعريف وهو أطيب حلواتهم وأيسر بعده شيء حتى أنني
التقيت بعن أكله في الحصرة وأعجبه غاية الإعجاب فقال عجبت أن في
بينهم المقروص كيف ينام الليل وكذلك اللحم الذي يسمونه المروزية نسبة
إلى مروز مدينة ببلاد العجم يطبخونه بإزار تملح لها قيمة ويرون أكلها
عقيب الصوم من التطيب وكذلك الخمر ايعلم في أعيادهم لم ير مثله في
العمور ويتفخرون بعظمه وتقونه حتى أن الرغيف الواحد لو وضع بين
جماعة من الناس من عشرين فصاعداً لكفاهم ويطول مكث هذا الخبز إلى
فجر شهر وأكثر وهو في غاية الحسن وسبب تكبيره عندهم له ذكر فالتقرر
بينهم أن بعض العمال سكن به في الزمن السابق دامت ولايته واشتد
سلطانه فمضى به بعض الكاهنين إلى استاذة وأدعى أنه استعل بلامر وخرج
من الطاعة وحرصه على الفتك به فتحرك إليه استاذة بعسكرة فلما قرب
من نوفس خرج العامل بذات نفسه وقيل أنه ابن خراسان وصحب معه
رغيفا من أعجب ما يكون فلما وقعت بينه على استاذة لرجل وقبل بركا به
وأخرج ذلك الرغيف وناول له فأخذه من يده وقبله ورده إلى صاحبه
ورجع من مكانه وقبل لحاضته هذا مستمر على طاعتنا والإشارة لذلك خطابه
بلسان الحال أن هذا ما أفضت به علي فإن أردتم فهو مردود اليك فعلم
حسن طويته فبها على عمله ورجع مسرورا فمن هناك استمر الحال على

لكبير هذا الرغبة وقد يكون اتفاق ذلك اليوم انه يوم عيد او انهم تفاعلوا
بسلامة عملهم بسبب ذلك الرغبة الى ان صارت لهم عادة في كل عيد
هذا هو المأثور بينهم ويعلم على طي غير ذلك وهو ان حريمهم اي حريم
هذه المدينة اكثر انهما كما من رجالهن ويكرهن الاقتصار بالخدمة عدة ايام
بعد العيد فلهذا جعن بين الخبز والبروزية لطول بقائهما . وكذلك العادة
التي جرت بين اهل المحصرة ان مدة اعيادهم خمسة عشر يوما وهذا الميعود بينهم
وجرى العمل به وادركنا قبل اليوم ان اسواقهم لا تفتح الا بعد تمام الخمسة
عشر يوما وتكون ايام تنزهات خرج المدينة وللأشياء البعض وبقي البعض .
ومن ايامهم المسهورة اليوم العاشر من شهر المحرم يحتفلون له غاية الاحتفال
ويصرفون فيه اموالا وافرة في الاطعمة والفواكه وقل ان تجد من لا يصرف
شيء واوغل ولو حصر اتفاق ذلك اليوم لبلغ مقدارا غريبا وكذلك اليوم
التاسع منهم يواطبون فيه على اكل الدجاج والطعام الذي يقال له الدويضة
وهو بمثابة الكدفة عند المصريين ولكن الدويضة اصنعهم عند اهل المحصرة
ويعبرون عن طعامهم هذا فيقولون الفطير وما يطير ويعظمون هذا اليوم وان
كان عطيما الا انهم اكنوا في تعظيمه عن سواهم ويرون الاتفاق فيه من
التوسعة على العيال والملازمة اكل الدجاج على جهة التطيب لان الحكماء
قالوا لا بأس به مرة في السنة والمداومة عليه تورث النقرس اعاذنا الله
منه . وكذلك جرت العادة بركة اموالهم يخرجونها في هذا اليوم ويلزمون
على حرمة والاتفاق فيه وتربى الحوانيت التي تساع فيها الفواكه اليابسة
ويكون لها منظر عجيب وتنفق الناس من مدهم على قدر اقدارهم حتى لا
يحلوا مكان احد من الفاكهة الا القليل منهم . ولقد حصرت لرجلين قدخا
احدهما من الجزائر والاخر من تونس فقال التونسي للجزيري وددت ان
هذه الحوانيت يعني التي بها الفاكهة في يوم عاشوراء ترفع ليلا ونحط في
الحرائر فادا اصبح اهل الجزائر وراوها على هذه الحال تسامعت ليلا الى
مكاتها اظن ان نساءكم يطلقنكم ويأتين الى بادن وهذه مبالغتي اني بها

ومن رأى ذلك اليوم شهد بما قلناه وهذا من الايام المشهورة عند اهل تونس
وتباع فيه من آلات الطرب والملاهي لعبيانهم بما لا حصر له وهذا من
رفاهية عيشهم وانهم اكثروا وكذا جرت عادتهم وهي باقية الى الان ، ومن
اعبادهم المشهورة ومواسمهم المذكورة ومواسمهم المشكورة تعظيمهم ليلة المولد
الشريف وذلك لاجل محبتهم لمن ولد فيه وهو سيد الكائنات صلى الله عليه
وسلم ، واول من اعتنى بتعظيمه في البلاد العربية واظهر فيه شعائر الولادة
المحمدية السلطان ابو عنان المريني شكر الله سعيه فسم اقتدى به بتوايبي
حفص في الديار التونسية واولهم امير الموحدين ابو فارس عبد العزيز وكان في
اول المائة الثامنة واحتفل بتشييد شعائر هذا اليوم المبارك جعل الله ثوابه
في صحائفه واظهر في ظل النجاة يوم لا ظل الا ظله عرشه واقترنت به بنو
ابني حفص من بعده ولم تنزل عادتهم مستمرة على تعظيم عاملهم الله ببنائهم
فانهم يحضرون ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الاول ويتشدون الاشعار في
المكاتب ويحتفلون لتلك الليلة ويزينون المكاتب وربما يجعلون ديدانات
وهي المعبر عنها بالاصطبلات وتقرأ فيها النكاحيس وتشد الابيات الشعرية
التي تضمنت مدائح خير البرية وتوقد القناديل وتخرج الشموع وتكون
تلك الليلة اشهر ليالي ستمهم ويصنعون الاطعمة الفاخرة احتسابا لله وربما
يجعلها بعضهم للباهة والتفاخر ولكل امرء ما نوى وتكون ليلة عظمى
بدار نقيب الاشراف يحضرها الاجلة من الناس والقراء والفقهاء ويقع
فيها السماع والانشيد بالمدائح النبوية ويهرع الناس اليها من اطراف
البلد وتكون عندهم من الليالي العظمى ولنقيب الاشراف عادة ياخذها من
السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن
بني ابي حفص ودامت هذه الدولة عليها وادركنا قبل اليوم بالزاويتين
المشهورتين القشاشية والبكرية محاسن جنة بحيث قدوم زيتتهما خمسة
عشر يوما لا تخليان من المدائح وتهرع الناس للفرح والبيت وقد نلأسى
الحل ، واما غيرها فبحسب الامكان والافاق وهذا الشهر المبارك له حرمة

عند أهل الحضرة لتعظيمهم لهذا اليوم زاد الله في حسناتهم وربنا وثق فيهم
ما يذمه الشرع وذلك لجعل العوام ويرون ذلك صلاحها وتن اود تفصيل
ذلك فليطالع المورد في اخبار المولد للعلامة جلال الدين السيوطي فخل فيهم
مغفاه الغليل . ومن ايامهم المشهورة اول يوم من شهر مايم فانهم ينفقون
فيهم اموالا لا تحصى ويظفخرون فيه بالاطعمة الفاخرة التي لا توصف
ويكثرون من الانفاق فيه ويجتهدون في صناعة المرقاز حتى لا يخلو منه
إلا مساكن الضعفاء ويكثرون من الرياحين والبقول ويباع في هذا اليوم
من النارج والليم الخل والليمون بقدر ما بيع في السنة كلها ومن الحشايش
مثل الحص والياقوت الحضرة والحصى وغير ذلك ما يقوم بالمدينة سنة في غير
هذا اليوم ويجعلون اخصاصا في بيوتهم مزينة ويعبر عنها بالهوانيت وتعلق
فيها جميع البقولات والرياحين الموجدة حتى لا تخلو دار من ديارهم من مثل
ما ذكرنا إلا ما قل ويتجاوزون الى الغاني والآلات الطرب لما لا حد له
وانهم ما كهم في هذا اليوم اكثر من ايام الاعياد . وادركنا بعد الخمسين والآلاف
من الهجرة مسكانا لهم عند باب الحضرة يسمونه بالوردة يجتمع فيه أهل
الخلاعة والبطالة ويكثرون من المجنون هنالك من مغان ومطربين ومشعوذين
وتباع فيهم الفواكه اليابسة والخلوة وتخرج أهل الخلاعة ارسالا بعد صلاة
العصر الى وقت الغروب ويكون هناك مفتوح عظيم ايهج من ايام العيد
ويستمررون على هذه الحالة خمسة عشر يوما هذا دايم في كل سنة توارثوا
ذلك خلفا عن سلف وابطلت هذه الايام في زنس اسطا مراد ثم اعيدت من
بعده ولكن على غير هيئتها الاولى ثم ابطلها احد خوجة ولم تعد بعد . ولقد
ادركت للقرن في هذه الايام خلاعة لم تكن لغيرهم في غالب المعمور في
هذا المكان الذي يقال له الوردة ولم ادر لم سمي بهذا الاسم إلا انه بطني
انه كانت به حديقة بالوردة فسمي بها والله اعلم وانقرضت هذه الحالة
ولم يبق إلا اسمها واما الذي يستعملونه في الديار فهو باق على حالته
وبزيادة وعند النسوة تناخر بينهم لما يهدون من الزيت والاطعمة ولم يعلم

احد من اهل الحصرة ما السبب لاطهار هذا اليوم إلا لشكرهم فيه حيث
يقول هذا اليوم عيد لفرعون لغنه الله فكيف يعظمونه ويستدل بقوله
تعالى - موعدهم يوم الزينة - والمجيب عنهم يقول فيه نصر الله موسى عليه
السلام على فرعون وكل ليس تحته طائل لان غير مكلفين بهذا اليوم ولا هو
في شريعته غيرنا وهذا من خرافات العوام ، وسمعت من مشيخة الحصرة
ما يقارب الطن وهو ان اول يسوم من شهر مايه تكون الشمس فيه
مصرة بالصبيان الذين هم دون البلوغ فلماذا يجعلون تلك الحوائث لتقي
صبيانهم الحر بحيث يلعبون فيها وتحتهم من اللعب خارج الديور وكذلك
يجعلون في انوف صبيانهم شيئا من القطران لخصيته في رائحته والله اعلم ،
ومنهم من يقول هذا اليوم هو النوروز ويحكم بصحته وليس عنده علم ما هو
النوروز ولا لاي شيء وضع في هذا اليوم ولم لم يكن في غير هذا الشهر ولم
اخص به هذا الشهر دون غيره الى غير ذلك إلا انها جبلت بجولون عليها
صعرا عن كابر الى يومنا هذا والذي صبح صدي انه هو النوروز لاشك فيه
إلا ان النوروز كان في غير هذا الشهر ثم صار اليه ولذلك حكاية نطول
ولكن ناتي بعضها ليعلم من يقع عليها ان كلابين من اهل الحصرة لم تكن
افعالهم سدى وسيتلى عليك ان شاء الله تعالى ذكر اهل السير والاحبار ان
النوروز كلمته اعجمية معناها اليوم الجديد لان نو هو الجديد وروز هو اليوم
لان العجم يقدحون المضاف اليه على المضاف واول من اطهر هذا اليوم
بارض فارس ملك من ملوك الفرس اسمه جسيدي من الطبقة الاولى من
ملوك الفرس الذين يقال لهم ابيشدافيه وهو الملوك من ملوكهم وكان قبل
ابراهيم عليه السلام وجمشيد معناه شعاع القمر لان جم اسم القمر وشيد اسم
الشعاع وكان ملك الاقلام السعته وسلك السيرة الصالحة ورتب الناس
على طبقاتهم كالنخب والكاتب والرم كل صاحب طبقة مكانه لا يتنقل منه
الى سواه وجعل النوروز عيدا يتنعم الناس فيه وكان صاحب عدل ووضع
لكل امر خاتما مخصوصا به محتاتم الحروب مكتوب عليه الرفق والمداينة

وخاتم الخراج العدل والعمارة وخاتم البريد والرسائل والامانة الصديق
والامانة وخاتم المغرم الانصاف والسياسة وبقيت تلك الابار الى ان
مجدد الاسلام وعآخر حاله تكبر وتجب ونزعت السيرة الصالحة فتكر عليه
الخواص وقام عليه بيوارسب فقتله واستقل مكانه . وكان الثوروز اول يوم
من يناير ويسمونه ايضا دينماه معناه غرة الحول الجديد والهرجان يجعلونه
سادس عشر من برجمات هذا اصطلاحهم في ذلك الزمان واول سن احدثه
من ملوك القبط بمصر مقلدوش بن مقلدوش وهو اول سن عبد البقر واستخرج
الحكمة واول سن عمل العجل يحرق البقر وفي زمانه بنيت البهشما من
اموال مصر ودام ملكه ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في الاحرام الصغير ودفن
معهم من الاموال والعجائب شيء كثير منها اصنام مدبرة على الكواكب السبعة
التي يرى بها الدفائن والخسبات والف سراج من الذهب والفضة وعشرة
الاف جنام من ذهب وفضة والف مقدار لغنون الاعمال من الكيمياء وغيرها
وله اخبار غير هذه ليس هذا محلها وانما جذبت مساق الحديث . ونرجع الى
ذكر الثوروز . وامسا الصابيون فهو عندهم يوم دخول الشمس برج الحمل
وهو من اعظم الاعياد عندهم لان الشمس حلت في برج شرفها ثم ان الفرس
جعلوه في الخامس من حزيران لان فيه استواء الروع عندهم واذا حل
خروجت العمال لاستنتاج الخراج . وكان هذا العيد عندهم لإدراك الغلال
يستبشرون بالسنة فيظهرون فيه من المأكول والمشرب ويتهادون بينهم
ويهادون روعاءهم وهو من اعظم الاشياء عندهم ولم يرالوا على ذلك الى ان
افى الله بالاسلام وهم باقون على حالهم . وفي اول الاسلام كانت السنوات
متقربا بعضها من بعض والزمان متقارب بين الشمسي والقمر في حساب
السنين وملت الاسلام خراج اهل دمهها وزكاة اموالها ومواقيت حجها بالسنة
القمرية وجميع شعائر الاسلام كذلك . واما اعشار الغلال فتكون عند تمامها
وحسابتها بالسنة الشمسية وايام السنة الشمسية ثمانمائة يوم وخمس وستون
يوم تركسور فيكون التفاضل بينهما احد عشر يوما على التقريب واليوم

كانوا يكسبون سنينهم يوما في كل رابع من السنين وام الفرس فانهم يكسبون شهرا تماما بعد مائة وعشرين سنة فاذا انقضت هذه المدة ودخل شهر ايار الغرة ورجعوا الى حزيران فكان النوروز من الخامس من حزيران الى الخامس من ايار ولا يتجاوز اكثر من ذلك . ولما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وسكن عامله على العراق خالد بن عبد الله القسري وجاء وقت التكيس عند اهل العراق اعلوا خالدا المذكور فمنعهم فبدلوا له اموالا فابي وبعث الى هشام بخبره ويقول له هذا من الذي قال الله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يصل به الذين كفروا يحلونهم عاما ويحرمونهم عاما فانه الجواب بمنعهم فمنعوا وصار النوروز لا يتعدى زمانه وفيه يكون افتتاح الخراج والسنة تتقدم الى ان تشارت جدا . وفي ايام المتوكل على الله العباسي كانت سنة احدى واربعين ومائتين تسجي في سنة اثنتين واربعين ومائتين فتنبه لهذا الامر وامر ان تثنى سنة احدى واربعين وتذكر سنة اثنتين ولولا خشية الاطالة لاستوفيت السبب في ذلك وكيف تنبه وفيه قصته يطول شرحها . وفي تلك السنة جيبت البلاد بذكر سنة احدى واربعين واثنتين واربعين وخرجت بذلك الكتب الى العمال ومات المتوكل على الله ولم يتم له ما اراد ومن بعده رجع الامر الى الحالة الاولى . وفي خلافة المعتضد بالله جعل النوروز على حساب الروم وكذلك رتب المصريون حسابهم ووافقهم حساب الفبط وفي ايام المعتضد كانت سنة ست وسبعين ومائتين تجري في سنة سبع وسبعين ومائتين فنقلت سنة ست الى سنة سبع . وكان المعتضد على الله العباسي اخر النوروز عن وقت ستين يوما وجرت جباية البلاد على هذا النمط وقدم المهرجان يوما واحدا ولم تزل خلفاء بني العباس يوخرون النوروز عن وقتهم عشرون يوما واكثر واقل ليكون سببا لتأخير الخراج . وفي خلافة المطيع لله العباسي وسلطنة معز الدولة بن بويه والوزير المهلب كان النقل من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وكتب في ذلك العصر الصابي رسالة وادع فيها من الصناعة الفلكية ما يعجز عنه الكتبة وهي

رسالة مشهورة ولولا الاطالة لاوردتها بكمالها لخص منها عنها كما ان رسالت
القاضي عبد الرحيم اليسياني كثيرة الایجاز والاعجاز وكان هذا النقل اقل
في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين دار بمائة تجري مع سنة
احدى وخمسة و كذلك سنة خمس وستين وخمسة تجري مع تسع
وستين وخمسة فنقلت برسالة من انشاء القاضي الفاضل عبد الرحيم
المتقدم الذكر ورسالة موجودة في ايدي الناس ولولم يكن له من الرسائل
إلا هذه الرسالة لكنت فخرا . وكانت الخلفاء من بني العباس وسلاطين وتهم
مولعون بايام النوروز وتعظيمه وكذلك الروساء والكتاب ولهم فيه مجالس
انس مشهورة وتهدى لهم فيه الهدايا الجليلة وتمنحهم فيه الشعراء ولهم
فيه الاشعار المستحسنه ومجالس الانس التي يتفاخر بها بعضهم على
بعض وغير ذلك مما هو مشهور وجرت به دولة بني امية بالاندلس ولكن
ليس لي علم به اي وقت كان عندهم الا ان لهم فيه مجالس مذكورة بين
اكابرهم وهدايا جرت بها عاداتهم الى انقراض دولتهم . واما تونس حرسها
الله تعالى فحساباتهم بشهور الروم وذلك انهم يكسبون يوما في السنة الرابعة
فكان النوروز لا يتعدى وقته في كل سنة الا ان الفرش كانوا يجعلونه في
الخامس من شهر ايار وايار هو شهر ماية بحساب الروم وانما يجعلونه في
حزيران في السنة الكبيسة لانهم اذا ارادوا تكريس سنيهم كما جرت به
عادتهم بعد المائة والعشرين سنة كما تقدم به الخبر جعلوا تلك السنة ثلثة
شهرها فاذا صاروا في شهر حزيران الذي هو يونية بحساب الروم الغوا
ذلك الشهر ورجعوا القهقرة الى شهر ماية فلماذا كان اختلاف حال النوروز
منهم كما ذكرنا ومنعهم خالد بن عبد الله الفسري على فعلهم وزعم انه من
النسي الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز والنسي المذكور غير هذا وليس
هذا محل بيانهم ونمشی اصطلاح النوروز في مدينة تونس اول يوم من شهر
ماية لان غالب سنيهم بطيب فيها زرعهم وتخرج الجبابة الى اطراف البلاد
وكذلك جملة تمار تظهر في هذا الشهر واهل تونس يقولون تظهر يوم ماية

سبع غلال وبعدها ولهم الخشخاش في عددها وليس لهم في رصهم الا ظهور
هذه الفواكه في هذا اليوم وجرت به العدة من زمن بني ابي حفص الى يومنا
هذا ولولا خشية الاطالة لاتيتم بجملة من القصائد والمقطعات التي قيلت
في النوروز وما ذكرت هذه النبذة الا ليعلم من يقف على كتابي هذا ان اهل
الحضرة لم يكن عندهم مدى كل ما هو متعمل بينهم لان السلطنة في
تونس كانت ضخمة وملوكها يعدون من الخلفاء وهذا مما هو مشهور عند اهل
الامصار الا انه لما تعيرت الدول جهلت مسائل كثيرة مما كانت عليه
واندرست قواعد كان الاهتمام بها وصعب الامر على ردها كما كانت عليه
فمن بعضها ما يناسب النوروز مما كانت تهتم به الملوك في اول الزمان
مثل النقل للسنين كما ذكرنا وهذا اليوم جار في وطن الساحل ويعتونه بالحوار
ودلك ان جباة اعشارهم من الحبوب والريثون تبينت عن مواعيدها حتى انهم
يذكرون في تذاكر اعشارهم سنة ثمان ولعاقين تجبي سنة احدى وتسعين
ولم يفتن احد الى هذا الامر وان تبادى الحال على مر السنين تقام الى
اكثر من ذلك وهذا من الازدلاف بسبب المسينة بين السنة الشمسية
والقمرية لان القواعد تلزم على حساب السنة القمرية والاضطر على حساب
الشمسية فسقطت في كل ثلث وثلثين سنة شمسية سنة قمرية واستمر العمل
بها واتسع الخرق على الراقع والكلام يطول ولكن جذبت المدة وفي هذا القدر
كفاية والله اعلم بحقائق الامور وما تخفي الصدور ولهم اصطلاحات غير ما
ذكرنا لو تتبعناه لطل بنا الاكبر وخرجنا عن حد الاختصار . واما تعظيمهم
ليلته النصف من رجب ويلة السابع والعشرين منه وكذلك ليلة النصف
من شعبان ويلة السابع والعشرين منه ايضا لا يخفى على احد من الناس
هذا التعظيم وان كل غيرهم مشاركتهم في هذه الايام فان تعظيم اهل الحضرة اعظم
من غيرهم وكذلك شهر رمضان المعظم قدرة فانهم يحتفلون فيه غاية الاحتفال
ويقتربون بواجبه وواجب حقه انهم القيم ويختصمون في علب المساجد
الغرة ان التعظيم في صلاة الراويح الا فيما قل من المساجد . وكذلك اعتدوهم

بختتم المسند الصحيح للإمام البخاري رضي الله عنه وبقيته الاسانيد الستة
إلا أن البخاري عندهم أشهر ورواجهم أظهر وإن سكان فيهم من المغاربة
يقدمون كتاب الامام مسلم بن الحجاج رضي الله عنه على كتاب البخاري
وكلهم على حقيقة وصحة . فاهل تونس لهم ولع بالرواية لكن المشاهير من
علمائهم وغيرهم مولع بالختم لا غير واردنا ان نقي بصورة الختم لئتم به الختم
ونحصل له حسن الختم ان شاء الله ولكن ناتي ببعض ونذكر بعض علماء
المحصنة الذين ادركتهم في هذه الايام تبركا باسمائهم لانهم فرسان هذا الميدان
وعلماء هذا الشأن ولم انعرض لغيرهم ممن تقدم لكنونهم وفواتهم وربما تنس
الحاجة لبعضهم فناتي به عنوا ان شاء الله تعالى * فمن المشاهير من علماء
المحصنة الشيخ الامام علم الاعلام القدوة البركة المتتدي به المتبرك به المعمر
الذي الحق الاصغر بالاكابر وتخرجت به جماعة من الاعلام في ايام حياته
ورأى من فلامذنه ما قوت به عينه ولم الاساد العالي ورحل الى الديار
المصرية والاماكن الحجازية والتقى بالرجال واخذ عن جم غفيرة واجيز واجاز
وافاد واستفاد بالحرمين الشريفين وارض الحجاز الامجد الشيخ ابو العباس
احمد الشريف زاده الله شرفا وهو اليوم بركة هذا الاقليم ودارم لافادة الطالبين
بجمعه المبارك بازاء دار الباك وهو من الحافظين على رواية المسند زاد
الله في علومه ونفع به المسلمين يبداه من اوله الى اخره في مدة الثلاثة
اشهر الى ان يختتم على وفق المراد فيكون الختم على يابه وهو حفظه الله
باق الى يومنا هذا متمتعاً بسمعه وبصرة ملازماً للتدريس بجماعته المعروف
بـ ملائق لدار الخلافة وهو في سن الشيخوخة في الثمانين وفيه خشوع
ورقة وتخرج به جماعة وسلكوا طريقه زاد الله في شأنه بمنه وكرمه *
ومنهم الشيخ المعروف الشريفة الخمر الخبير الفقيه المتكلم المصطفى المحكم
المفوض العروصي الاصولي البياني الاديب المذهب الورع المرحب الذي
جمع بين العقول والمنقول مفتي المحصرة العلية وشيخ شيوخ البلاد الافريقية
المشهور في ادبه بابن نبائته الشيخ ابو عبد الله محمد عرف فنانته ابنتي الله

بركته وقد تنقلهم ملهى من ذكورة ولا باس باعدته تعظيما لقدرة وهو باقى الى يومنا ملازما لافادة الطالبين وله عدة دروس منها في المسجد الاعظم وشيرة مع ما يطوفيه من مصالح المسلمين وتخرج به جم فخير وتصدروا في حياتهم لنفع المسلمين نفع الله ببركته * ومنهم شيخنا وصديقنا الشيخ الفقيه والخبير النبيه الوجيه الشيخ الامجد ابو عبد الله محمد عوف ابن الشيخ متصلي بعلوم شتى ملازم للاشتغال والافادة بجماعته المعلق بمقربة من سوق المختارين وبالمدرسة المنتصية وقد سبق التعريف به في اول الكتاب وهو من المحققين على التعليم لعلوم الدين وتخرج به جمعة كثيرة وهو من بدار الشيخ احمد الشريف وبه تخرج واخذ عن جمعة غيره متع الله بحياته المسلمين * ومنهم الشيخ العلامة وحيد دهره وعريده عصره المتصرف في علوم كثيرة الا انه بعلم المطلق اشتهر من علم كشهرة ابيه من قبله بهذا الفن وهو مدرس بالمدرسة المرادية المحدثت عند باب الربع وهو وند من اوتاد العلماء الانجاد الحاج الشيخ ابو عبد الله محمد عوف الغماد زاد الله في حسناهم * ومنهم الشيخ الركعة القدوة المدقق المحقق المتكلم الورع المبرك به المشتهر بالورع في هذه البلاد الشيخ ابو الحسن علي عوف الغماد ابى الله بركته وهو من المدرسين في الجامع الاعظم من تونس وله درس بجامعه المشهور به في حومة الدبابين وبالزاوية الخلفاوية في ربح باب السويقة متع الله المسلمين بحياته * ومنهم الشيخ المعمر العلامة المتورع المبرك به الشيخ ابو العباس احمد عوف المهدوي وهو كان خطيب بجامع الحلق قريبا من باب الحديد زاد الله في حسناهم * ومنهم الشيخ الفقيه المثمن الورع العفيف الشيخ سعيد الشريف وهو من بدار الشيخين الشيخ سيدي احمد الشريف والشيخ سيدي محمد فتاته ونصدر في حياتهما للافادة بالجامع الاعظم وفيه وقار وسكينة زادة الله من فصلهم * ومنهم الشيخ الفقيه عبد القادر الجبالي وهو من المدرسين بالجامع الاعظم ومن تلامذة الشيخ فتاته وفيه قوة ودين ورفاه * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس

المشرف في علوم كثيرة إلا أنه بعلم الحديث الشريف أشهر الشيخ سعيد
 المجوز إمام جامع الخطبة خارج باب الجزية وفيه نيت وتدين وعفاف
 زاده الله من فضلهم * ومنهم الشيخ الفقيه المدرس أبو عبد الله محمد عرف
 قويسم من أهل باب السويقة ولأهل روضه فيه اعتقاد * ومنهم الشيخ
 الفقيه المدرس المتوفى أبو القاسم الغفاري من أهل باب السويقة أيضاً إمام
 بجامع حومة الاندلس وفيه تدين * هؤلاء من مشاهير المالكية وغيرهم خلق
 كثير من ولكن لم يبلغوا شأواً من ذكرنا وغيرهم لم يحصوني أسماؤهم إلا عدد
 ذكرهم * ومن مشايخ الحنفية الشيخان الفقيهان الشيخ محمد بن شعبان
 إمام جامع المرحوم يوسف دامي وخطيب جامع المرحوم محمد باشا والشيخ
 مصطفى بن عبد الكريم المنفصل عن الفتيا وهو اليوم إمام جامع المرحوم محمد
 باشا * ومنهم الفقيه النسيم الشيخ أبو الحسن علي عرف الصوفي عنده ملكة
 في العربية والصرف والفقه وعلم الحديث * ومنهم الفقيه الشيخ أبو
 الحسن علي كربصة مدرس بالمدرسة الشيعية عنده ملكة في علم الحساب
 والميقات والفرائض ومختص بعلم الهيئة والهندسة * ومنهم الفقيه الشيخ
 أبو عبد الله محمد المبتار وهو راو للحديث في جامع القصبته * هؤلاء الذين
 بلغوا درجة الرواية للسند الصحيح وغير هؤلاء جماعة يتعاملون الرواية وإنما
 دخلوا بمخالفهم بين ذوي الاقتناص وأكثرهم يس بناء وعوام ولم يكن بالديار
 التونسية من يرمحل بها العسكر العثماني من تعالي الرواية والدراية إلا
 الشيخ العالم العلم الرباني الشيخ أبو عبد الله محمد ناج العارفين العثماني
 سقى الله ثراه من صوب الرحمة والرضوان وكان مجلسه بالجامع الأعظم من
 أجل المجالس وتحصيرة الاجلاء من أهل العلم وتندور بينهم المباحث الجميلة
 في العلوم الجليلة ولا يخلو مجلسه من فوائد في الثلاثة أشهر رجب وشعبان
 ورمضان إلى يوم الختم وهو اليوم السادس والعشرون من رمضان ثم ثلاثة ولادة
 العلم الشهير والعالم التكرير الشيخ أبو بكر فزار بسيرة والده وقام بعلم الحديث
 الشريف أحسن قويم وشهد له بالدراية علماء الاسلام فكان في هذا الفن

فسيح وحده وحصل له سر ابيه وبركة جده الى ان سار الى رحته وبه
في سنة ثلث وتسعين والفت فتغيرت تلك القاعدة وصارت رواية لا
غير وجرت بها العادة للتبرك وانقطعت المدة من السير لان ولديه لم
يبلغا مبلغه ولا سعيا سعيه الا ان الله تبارك وتعالى من بمن اقام مقامه
بملازمة الرواية للتبرك بالحديث النبوي وهو الشيخ العالم العامل البركة
سيد علي الغماري فسمح الله في مدته هو الذي يتعاطى الرواية في
الجامع الاظم الى يومنا هذا والله الحمد ، وحيث بلغنا في خاتمة الكتاب الى
ذكر ختم البخاري الشريف وجب ان نذكر صورة الختم عسى ان يحصل لي
مبركة الختم ومجدنته الختم والختم ان شاء الله تعالى لا اله غيره ولا خير
الا خبره وهو نعم المولى ونعم النصير *

الفصل الرابع

في تعظيم اهل المحضرة لختم البخاري

ولهم اهتمام عظيم يحصل للشيخ لذلك اليوم غاية الاحتفال ولهم اماكن معلومة
وايام معدودة بحيث يكون يوم كذا في المسجد العلاني عند الشيخ فلان فتخرج
الناس الى محله وتوقد الشموع وتسرج القناديل ويختر المكان بنواع الطيب
وقد نكلم الرائد رحمه الله على تعظيم اهل افرقيته لختم البخاري وله في
ذلك تصنيف سماه ناهب الراوي الفصيح لفتح الجمع الصحيح ونقل عن
اشياخه من العلماء جلته من عادات المحدث واستفتاح مجلس الاملاء ثم
قال واستحسن الشيوخ عند الاملاء استفتح مجلس الاملاء بقراءة قري لشي
من القرءان العظيم ثم يستنصت لسماع الحديث ثم قل قلت وعليه عمل
الناس اليوم بفرقيته عند ختمهم للبخاري يقرأون قبل افتتاح المحدث من
سورة الملك الى سورة هم الى اخر سورة من قصار المفصل ويختتمون بأية

الكرسي وءاخر البقرة ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقرأ
الراوي الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولتتم جامع البخاري
في القيروان بلدن شان عظيم ومشهد كريم . ومن تعظيمهم له واجلالهم اياه
انهم يشتغلون به عن اهم شيء من جميع اشغالهم ويغلقون حوانيتهم وينادي
المنادي قبل ذلك الا ان الختم لجامع البخاري ثدا صباها او صشة في موضع
كذا فيفرغ الناس ويشعرون لذلك وتساارع له النساء والصبيان والخواص
والعوام ويبدا الراوي بما فيه تعظيم لجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بعض سيرته ومعجزاته حتى يحصل لذلك صحيح برفع الصوت بالصلاة
عليه والتسليم ثم يذكر مواظ ودقتق ويخوف الناس حتى فيكون ويندمون
على ما فرطوا في جنب الله تعالى في ايامهم السالفة وربما حصل للذنوب
بسبب ذلك التوبة ثم يذكر بعد ذلك من سعة رحمة الله تعالى ثم يصلي
ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يختم بالجامع الصحيح فربما
اشتغلوا بذلك من طلوع الشمس الى قرب الزوال ، واما عمل اهل تونس
بجلاى ذلك فلا يقرأون إلا ءاخر الجامع الصحيح او ءاخر الشفا للقاضي
مياص بعد ان يستفتحوا بقراءة القرآن العظيم وعمل اهل القيروان اخص
واهم وعمل حضرة تونس اخصر والله تعالى ينفع كل احد بيته وكل بحسب
سعيه وقوته واجتهاده لينفق ذو سعة من سعته ثم ذكر كل ترجمته وما
يناسبها ثم قال وعادة اهل تونس ان يشتكوا مجلس الختم بترجمة كلام الرب
مع اهل الجنة ومنهم من يبتدي بباب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
وروايته عن ربه عز وجل وعادة اهل القيروان منهم من يبتدي بباب الماهر
بالقرءان مع الكرام البررة ومنهم من يبتدي بترجمة باب بل هو قرءان
بيد في لوح محفوظ ومنهم من يبتدي بترجمة باب والله خلقكم وما تعملون .
انتهى باختصار منه . قلت هذا قبل اليوم واما في هذا الزمان اختصروا
بزيادة عما كان قبل لان هذه الرتبة لا يصل اليها الا زيد وعمر وفي هذه
الايم تصدر اليها خلد وبكر لمحبتهم للمهابة وليقال فلان من الرواة .

فاما الاماثل فلم يورونه إلا احتسابا لله ويدأومون على روايته الثلاثة أشهر
 فلذا كان يوم الختم جعلوه على بابهم وبعضهم لم يتعاط شيئا من ذلك إلا
 انه يحتفل ذلك اليوم ليدهي من اربابهم حتى أن بعضهم يكتف من اول
 السنة بجميع في اقوال العلاء ويحفظها باللوح فلذا جاء ذلك اليوم املاها
 من حفظه وسودها ولو سأل احد في ذلك الجمع عن مسأله لعجز ان يسندها
 وهذا في بعض من تكون مباشرته للختم بوقاحة منه واستجراة وإلا
 فالاجلاء من اهل الحضرة جاشاهم من هذه الرتبة الغير المرضية وغالبهم منزه
 عن الرتبة الدينية والدنيوية فاذا حضر يوم الختم تكون عليهم سكينته
 ووقار ويلوح عنه نور الحديث الشريف ويكون يومه يعد من الاعمار فاذا
 اتى على ما املاه ختم مجلسه بحديث الشيخ ثم يسبح الله تعالى ويأتي
 ببعض المواظع مما يناسب تلك المحل ثم يدعو بما يتقبل الله منه ويؤمن
 على دوائه اقوام باصوات مرتفعة بقولهم اللهم آمين يا رب العالمين فاذا
 كان في آخر التامين قالوا اللهم آمين يا رب العالمين وسلام على المرسلين
 والحمد لله رب العالمين ثم تقرأ الفاتحة عدة مرار بما يقتضيه المحل
 وينصرف ذلك الجمع بعد ان يقبل اكثرهم على ذلك الشيخ ويهتونه ويبتكرون
 به ويكون له جمال في ذلك المجلس والله تعالى يجازي كل احد ينهيه وهو
 المطلع على ما في طويته ولكل امرء ما نوى . ولتختم هذا الختم بحديث
 الختم الذي جاء عن سيد البشر ونطق به وما ينطق عن الهوى وهو قوله
 صلى الله عليه وسلم كلمتان حبیبتان الى الروحان خفيفتان على اللسان ثقیلتان
 في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . اللهم يا قابل الدعوات
 ويا قیل العثرات اسالك بحبيبك وصفيك محمد صلى الله عليه وسلم افضل
 ولد عدنان والاحاديث التي وردت في هذه الليلة المباركة واخبرت بانك
 تنقسم فيها الارزاق وتجييب فيها الدعاء والاستغفار ولها شان بين الليالي
 واي شان اسالك الاجابة وان تغفر ذنبي وتشر عيبي وترحم شبي وان لا
 تياخذني بما فرطت ولا بما رقت وجمعت وان تعاملني بحلمك ورحمتك

في الدنيا والاخرة انك اهل التقوى واهل المغفرة وكما فتئت لسانى بكلمة
التوحيد في الابداء اجعل ختامى بها عند الختام يا رب العالمين .
وكان الفراغ من هذا التعليق ليلة النصف من شعبان المبارك سنة اثنتين
وتسعين و الف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وعلى
عالمه واصحابه ازكى التحية ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم *



فهرس الكتاب



صحيحة

- ٠٠٦ الباب الاول في التعريف بنونس
- ٠١٥ الباب الثاني في التعريف بافريقية
- ٠٢٢ الباب الثالث في فتح جيوش المسلمين افريقية
- ٠٥١ الباب الرابع في الدولة العبيدية
- ٠٧١ الباب الخامس في الاسراء الصنهاجية
- ٠٩٥ الباب السادس في الدولة الحفصية
- ٠٩٥ الفصل الاول منه في ذكر سن تولى من الخلفاء في المغرب معن بلغ
درجة الملك ولم يبلغ درجة الخلافة النخ
- ٠٩٦ بنو امية
- ٠٩٩ الادارسة
- ١٠١ المرابطون
- ١٠٧ الموحدون
- ١٠٩ وفاة المهدي

١٢٢	الفصل الثاني في تن تولى من بني أبي حفص
١٢٧	بنو حرين
١٤٢	صاحب كتاب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب
١٥٤	خير الدين بامنا
١٦٩	الباب السابع في الدولة العثمانية
١٩١	عثمان داي أول الدايات
١٩٢	مجيي أهل الأندلس إلى إفريقية
٢١٥	البايات محمد باي
٢٢٧	مراد باي ابن محمد
٢٢٨	محمد باي وعلي باي ولدا مراد
٢٢٥	محمد الحفصي
٢٦٨	بناء القنطرة
٢٧٢	الخاتمة الفصل الأول منها
٢٨٢	الفصل الثاني في حوادث ظهرت في الديار التونسية الخ
٢٨٧	الفصل الثالث في ما تميزت به الديار التونسية الخ
٣٠٠	الفصل الرابع في تعظيم أهل المحصرة لحتم البخاري



ثم الكساب
يعون الملك الوهاب



لما لكم السعادة والسلامة وطول العمر ما هملت غصامة
وما طلعت نجوم بنات نعش وما ناحت على غصن يمامة



الحمد لله وحده

تيسر ما يوجد الآن في المطبعة من
الكتب للبيع



كتاب الوفا للامام مالك رضي الله عنه
كتاب واسطحة السالك في سلسله الملوك
كتاب ملوان الطاع في ادوان الاساع
كتاب لونه السلكي وذمعه المكي
كتاب مناقب الائمة الاربعه رضي الله عنهم
كتاب تعلم المتعلم طريق التعلم للامام الرضوي
ومسا قريب ان شاء الله تعالى نفع من طبع
تاريخ الزركني وعمدة ابن ربيع وحسانيته
الصبا على مصام النخ الخ

